العَرَنْجِيَّة

بلسانٍ عربيٍّ هجين

للترجمان

أحمد الغامدي



العَرَنْجِيَّة

بلسانٍ عـربـيٍّ هجين

للترجمان: أحمد الغامدي

الطبعة الأولىٰ

١٤٤٣هـ/٢٠٢١م



Business Center 2 Queen
Caroline Street, Hammersmith
London W6 9Dx, UK

www.Takween-center.com
info@Takween-center.com

الموزع المعتمد

+966555744843
المملكة العربية السعودية – الدمام

+201007575511
مصر – القاهرة

مؤسسة دراسات تكوين
للنشر والتوزيع
س ٠ ت : ٢٠٥٠١١٧١٢٠
جوال : ٠٥٥٥٧٤٤٨٤٣





المُحتَويات

الموضوع	الصفحة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبيَّ بعده.

لم أزل -أعزَّك الله- أخبِّر من جالستُ بعجمة هذا الزمان، وبُعدِ أهله من الفصاحة، وأزعم فيما أزعم أن (الفصحىٰ) التي يكتبون بها أقرب إلىٰ لغات الإفرنج منها إلىٰ لغة القرآن، فما يسمع مقالتي منهم أحدٌ حتىٰ يرميني بطَرْفِه ويُنْغِضَ رأسَه كأنما نلته بسوء، فمنهم من ينكر أنَّ في عربية الزمان عجمةً ويجعلها ولغةَ الأوائل سواء، ومنهم من يرىٰ العجمةَ فيها يسيرةً هيِّنة، ويحملني علىٰ المبالغة والتزيُّد. فكنتُ -لما لقيتُ ما لقيتُ- أراود النفسَ مليًّا علىٰ كتابةِ شيءٍ في ذلك، وبيان هذه البلوىٰ بيانًا شافيًا، وما يصرفني عن ذلك إلا كثرة الشواغل، وما أعلمه عن نفسي من غلَبة الجهل وكثرة الخطأ وضعف الحجة، غير أني سُمت نفسي مشقَّةَ معالجة هذه المسألة وغالبت شواغلي إذ لم أجد في ذلك تأليفًا شافيًا أحيل عليه وأقنع بالردِّ إليه.

وإن للترجمة أثرًا لا يُدرِكُ كنهَهُ إلا قلة من الناس، علىٰ أن من فطِنَ لبعض أثرها خفِيَ عنه كثيرٌ منها، ولا غروَ، فالناسُ تحسب أثرَ الترجمة قصرًا علىٰ كلمةٍ أعجمية أُدخلت في العربية المعاصرة بحروفها، كقولِ الناسِ: «كيوت» و«كمبيوتر»، أو في لفظٍ أو عبارةٍ تُرجمت لفظيًا كقولهم: «حرفيًّا» و«تغذية راجعة» و«صنعت يومي». وهذه المولدات -لا ريب- مستهجنةٌ ينفر منها صاحب الطبع

السليم الذي لم تفسد العجمةُ لسانَه، ولم يهجِّن التفرنجُ بيانَه، إلا أنَّ المشتغل بآحاد المولدات هذه يذهل عن أكثر العجمة، فيذكر هذا النزرَ ويشنع علىٰ فاعله وآتيه، ويغفُل عن كثيرٍ غيره، وقد يصيب هو من العجمة ما يخطئه العدُّ. ولستُ أريد هنا عامة الكُتَّاب ممن لا دراية لهم بالكتابة وعلوم العربية، بل أريد خاصةَ الخاصة، وأساتذة العربية، والمكثرين من ذمِّ عجمة زماننا، فإن التفرنج في كلام هؤلاء أشد وهو في حقِّهم أعظم، لأنهم مَظِنَّة حفظ هذه اللغة، ولإحسان الناس الظنَّ بهم والتماسهم دركَ الفصاحة منهم، هذا مع خفاء كثيرٍ مما في كلامهم من العجمة عليهم. وقد رأيت بعض الفضلاء ممن ألَّف في هذا الباب، يريد إصلاح المنطق وبيان خواطئ التوليد، وهو مع ذلك ممعنٌ في هذه العجمة وهو لا يدري.

وإنما مثلهم في ذلك كمَثَلِ رجلٍ سمع أن السكَّر مُضِرٌّ، فامتنع منه وصار ينهىٰ أهله عنه، وهم مع ذلك لا يتحاشون السمنَ والدهنَ والمقالي وكلَّ ما كثرت ألوانه واختلفت أنواعه من مفسدات الأبدان، مع إخلادهم إلىٰ الكسل والدَّعة، ويظنون أنهم بمجانبةِ هذا السكَّرِ في كُؤيسَةِ شاي يصيرون أصحَّ الناس. وكذلك الذين شُغِلوا بـ(صنعتَ يومي) وما شاكلها من آحاد المولدات، وذَهَلوا عن فسادِ اللغةِ بأسرها. فـ(فصحىٰ) أهل العصر فاسدةٌ كلُّها، وإنما هي عربيةٌ في ظاهرها إفرنجيَّةٌ في باطنها، ولذلك سميتُها: العرنجية، فهي لغةٌ هجينة مذبذبة بين عربيٍّ وإفرنجي. ووالله لم أشطط بزعمي أن (الفصحىٰ المعاصرة) كلَّها فسدت، كما سترىٰ إن شاء الله.

وقد بوَّبتُ هذا الكتاب أربعة أبواب:

الباب الأول: مقدمةٌ فيها معنىٰ العربية الفصيحة، وبيان حقيقتها، وعظيم شأنها، ومغبة هجرها.

الباب الثاني: ذكرتُ فيه نشأة هذه اللغة المعاصرة التي يسمونها (الفصحىٰ المعاصرة)، وتاريخها، ودخولَ العجمة عليها وتغلغلها بتصرم الأيام، ثم ذكرتُ غفلةَ الناس عن هذا التبدل في العربية، وأقوالهم فيه.

الباب الثالث: في بيان عجمة هذه الفصحىٰ المعاصرة، وأنها عربيةٌ في ظاهرها، إفرنجيةٌ في جوهرها وروحها، وهذا هو الأصل الذي وضعت كتابي لأجله. وقد ذكرتُ فيه شيئًا من النحو والصرف، فالألفاظ، فالاستعمالات والأساليب، وهذا أوسع الأبواب، وقد بسطته جدًّا.

الباب الرابع: ختمتُ بشيءٍ مما وقفتُ عليه من السبل التي تعين علىٰ تقويم اللسان ونفي العجمة عنه للناس عامة، وللتراجمة خاصة.

وأكثرتُ في هذا الكتاب من ذكر الأمثلة والشواهد، واجتهدتُ ألا أجاوز فيها الحدَّ فأُمِلَّ وحاذرت ألا أحيل الكتاب معجمًا، وقد أعيد كلامًا وشاهدًا في غير موضعٍ لتجدد الدليل عليه، ولتوكيد عِظَمِ خطره. وأعرضتُ -ما استطعتُ إلىٰ ذلك سبيلًا- عن ذكر اصطلاحات الفنون وغوامض الألفاظ.

وقد عرضتُ هذا الكتاب بعد الفراغ منه علىٰ طائفةٍ من الأصحاب والأشياخ أستهدي بهم وأستبصر، فأصلحوا كثيرَ خلله، وقوَّموا شديدَ عَوَجه. وهم: المترجم الحاذق: يحيىٰ فتحي، والمترجم المحقق المدقق علي أدهم، وهما من الجامعين بين العناية بالترجمة والنظر في كتب الأوائل، فنبهاني علىٰ شيءٍ كثيرٍ من مسائل الترجمة، وبصَّراني كثيرًا من النقص الذي ضلَّ عني والتصحيف الذي زاغ عنه بصري. وأرسلت الكتاب إلىٰ الشيخ المتفنن سالم القحطاني، فزاد الكتاب تهذيبًا وإصلاحًا، وأفادني فوائد جليلةً زدتها فيه. وبعثتُ بالكتاب إلىٰ اللغويِّ المحقق والشاعر الفحل أيوب الجهني، فوقفني علىٰ دقيق علله وخفيِّ آفاته. ثم ختمتُ بالشيخ الأريحيِّ النِّحرير فيصل المنصور، فنظر في

الكتاب كأنما هو كتابه، ومحَّصه تمحيصًا شديدًا وأصلح أغلاطه وهذَّب لغته ونفىٰ عنه التعقيد والمعاظلة. فجزاهم الله جميعًا خير الجزاء وأجزل لهم المثوبة.

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، ويجعله خالصًا لوجه الكريم، ويصفِّي نِيَّاتنا، ويغفر تقصيرنا، ويستر جهلنا، ويلهمنا رشدنا.

معنى العربية الفصيحة

ذِكرُ العجمةِ لا يتم إلا بالإبانة عن معنىٰ اللسان العربيِّ الفصيح، فإنما يُعرف الشيء بضده، ولا يستقيم في ذهن امرئٍ معنىٰ الركيك المتفرنج إذا لم يعرف الفصيح المحكَّك الذي يقيسه إليه. وقد وجدتُ أكثر الناس في زماننا، ومنهم قومٌ أفاضل، يخلطون في معنىٰ هذه (العربية الفصيحة) وأصلها، ويذهب بعضهم فيها مذاهب المستشرقين، فكان لا بدَّ من التقدمة بهذه المقدمة.

فأقول -والله أعلم-: كان للعرب في الزمان القديم أيامَ عادٍ وثمودَ وقوم تُبَّعٍ ألسنةٌ بعيدةٌ عن اللسان العربي الذي أنزل الله به القرآن، ثم لم تفتأ تجري علىٰ ألسنتهم هذه سنَّة التبدل والتحول، حتىٰ بلغت الغايةَ في البيانِ والنصاعةِ قبل الإسلام بنحو مئة سنة، ثمَّ شاء الله أن يصطفي هذا الجيل من الناس، وينزِّلَ كتابَه بلغتهم. فرفعَ -سبحانه- بذلك شأن العربية، وشرَّفها، وجعل لها حرمةً ليست لغيرها من الألسن، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ فالقرآن كلامه ﷻ، وأيُّ شرفٍ وأي كرامةٍ بعد تكلم الله بهذا اللسان العربي. وبيَّنَ لنا -سبحانه- بهذا اللسان العربيِّ سبيلَ عبادته، وما خلقنا ﷻ إلا لعبادته، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فكان كلام العرب السبيلَ التي يُهتدىٰ بها إلىٰ فَهم مراد الله ورسالته.

واعلم -أكرمك الله- أنَّ العربَ قاطبةً كانت تتكلم إذ ذاك بعين العربية التي أنزل الله بها كتابه، في شأنها كلِّه، تتكلم بمثل عربية القرآن وتستعمل أساليب هذه العربية وتستعمل إعرابها وألفاظها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾. فأنزلَ الله هذا القرآن بلسان العرب، بلغةٍ يفهمها الشيخُ والصبيُّ، والأمير والراعي، والعالم المجرِّب والجاهل الغُمْر، والناس جميعًا علىٰ اختلاف طبقاتهم في جزيرة العرب. حتىٰ إنك لتجد الأعرابي الناشئ في جوف الصحراء ممن لم يقرأ قطُّ كتابًا ولا أمسك قلمًا يفهم القرآن ويتدبره ويستشعر بلاغته، كلَّ ذلك من غير أن يفسر له أحدٌ حرفًا منه، خلا ما خرج عن معاني اللغة وصار إلىٰ معاني الشرع واصطلاحاته وأحكامه وفقهه. والعرب إذ ذاك أمةٌ لا تعرف التفريق بين لغة (المتأدبين المتعلمين) وبين لغة العامة، لأن أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ أصلًا، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ﴾. فأنزل الله كتابه بلسان العرب الذي يتكلمون به سجيةً، حاضرةً وباديةً، خاصةً وعامةً، عِليةً وسِفلة.

وكان بين ألسنة قبائل العرب اختلافٌ يسيرٌ هيِّن، كالفرق اليومَ مثلًا بين عربيةِ مكةَ وعربيةِ المدينة، وذلك كأن يشدِّدَ بعضهم حرفًا في كلمة ويخففه بعضهم، وينطق بعضهم حرفًا بصوتٍ وبعضهم ينطقه بغيره، وكأن يكون لآلةٍ أو شيءٍ من الأشياء اسمٌ في المدينة وفي مكةَ غيرها، وهذا اختلافٌ لا يكاد يفطن له إلا العارفون بكلام هاتين المدينتين، المعاشرون لهم. قال ابن جني في الخصائص: «هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته، محتقرٌ غير محتفلٍ به، ولا معيجٍ عليه، وإنما هو في شيء من الفروع يسير. فأمَّا الأصول وما عليه العامَّة والجمهور، فلا خلاف فيه»[(١)].

وهذه الخلافات دوَّن اللغويون أكثرها، وكانوا ينقلونها عن العرب في كل أحوالهم، فيدونون ما تُرَقِّصُ به المرأةُ وليدها، وما يخاطب به الراعي غنمه، وما

(١) ص٢٥٩.

يزجر به الناسُ ويستنجدون ويغازلون، وكلها أحوالٌ يُرتجل فيها الكلام ويكون علىٰ السجية. ومن كتب المعاصرين الحسنة في هذا المبحث، الباسطةِ القولَ في مسائله وذكر شواهده والجواب عما اشتبه فيه كتابُ الدكتور مختار بن الغوث الشنقيطي، الذي سماه: لغةَ قريش، وأجدر بمن أراد التوسع في هذا المسألة أن يطلع علىٰ هذا الكتاب، فهو كتابٌ نافعٌ نافع، وأذكر لك في هذا الفصل أشياء استفدتها منه.

ومن هذه الفروق اليسيرة التي دوَّنوها: الكشكشة، وهو إبدال الكاف شينًا في آخر بعض الكلم، مثل قول الشاعر:

فعيناشِ عيناها وجيدُشِ جيدُها　　　سوىٰ أنَّ عظمَ الساقِ منشِ دقيقُ

أي:

فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدُها　　　سوىٰ أن عظم الساق منكِ دقيق

وليس هذا -كما ذكر ابن جني- شيئًا يُحفَل به ويُلتفت إليه. فأنتَ ترىٰ الرجل من أهل زماننا يخالف جارَه الجُنُبَ في منطق حرفٍ أو لفظةٍ أو في تذكير لفظةٍ وتأنيثها، وهما أهل مدينةٍ واحدةٍ، بل محلَّةٍ واحد، بل دارٍ واحدة. ولا يُنكِر عليهما عاقلٌ ويقول: أنتما لا تتكلمان باللغة نفسها! إنما هي أمورٌ يسيرة لا يُعبأ بها، أما لغة العرب بكليتها فواحدة.

ثم لما كثر الداخلون في الإسلام من العجم وكثرت مخالطة العرب لهم في الأمصار خاصةً، دخل في كلام العرب شيءٌ من اللحن. وتأمل هذا في حال العجم من أهل عصرنا ممن يسكن الحواضر الكبيرة كمكة، فإن كثيرًا من العجم ممن انتقل إليها صغيرًا يكثر اللحن في كلامه، وحال هؤلاء في العامية، كحال العجم الذين كانوا أول الإسلام. بل إنك تجد بعض من وُلِدَ في بلاد العرب من الأعاجم كثيرَ اللحن، لأنه ما كان يكلم أوَّل عمره إلا والديه، وقد يقع في كلامهما عجمةٌ يتلقفها الصبي ويشق عليه تركها إذا كبر، وهذا أمرٌ شاهدناه وعاينَّاه.

وكان من لحن العجم -ومن خالطهم من العرب- أول الإسلام لحنهم في استعمال الألفاظ، وقد رویٰ الجاحظ عن بعض العرب -من أهل المئة الأولىٰ- أنه نشأ في بلاد العجم فكان يقول: «افتحوا سيوفكم»، يريد سلُّوها[(١)].

ومن لحنهم خطؤهم في الإعراب، ودخل هذا اللحن في كلام كثيرٍ من العرب من أهل الحواضر الكبيرة، كما يُروىٰ في أخبار الخليفة الأمويِّ الوليد بن عبدالملك (ت: ٩٦ هـ). ومن ذلك ما رواه ابن عساكر بسنده، قال: «خطب الوليد بن عبدالملك بن مروان يومًا، وعمر بن عبدالعزيز تحت المنبر، فقال الوليد في خطبته: (يا ليتُها كانت القاضية)، وضم التاء، فقال عمر بن عبدالعزيز: يا ليتَها كانت عليك وأراحتنا منك». وروىٰ ابن عساكر أيضًا أنه كان يقول: «يا أهلُ المدينة»[(٢)].

إلا أنَّ العربَ النائين عن العجم لم يفشُ فيهم اللحن إلا بعد ذلك بمدة، وكانوا يعجبون من لحن الحواضر. روىٰ ابن قتيبة أن أعرابيًّا سمع مؤذنًا يقول: (أشهد أن محمدًّا رسولَ الله) بنصب (رسول)، فقال: «ويحك! يفعل ماذا؟»[(٣)]، لأنك إذا نصبتَ (رسول) لم تتم الجملة، فكأنما جلس الرجل ينتظر الخبر الذي يتم به الكلام. ومثله قول بعض الأعراب لمَّا دخل سوقًا فسمع ناسًا تلحن في الكلام، فقال: «سبحان الله، يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح!»[(٤)]

وهذه حال الحواضر والبوادي، فإنك ترىٰ البادية أحفظ للسان كلِّ أمةٍ لبعدها عن مخالطة غير أهل هذا اللسان، وترىٰ التبدل والفساد أسرع إلىٰ كلام أهل الحاضرة الكبيرة التي يكثر فيها العجم، وأنت ترىٰ مصداق ذلك إذا نظرتَ في عربية جزيرة العرب لهذا العهد، فإن في كلام أهل البادية والحواضر القريبة

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ، ج٢، ص٢١٠.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٦٣، ص١٧٩.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، ص١٨١.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، ص١٨١.

العهد بالبداوة تراكيبَ فصيحة لا تراها في الحواضر الكبيرة العريقة في الحضارة (كالجزم بحذف حرف العلة في فعل الأمر، كما في قولهم: رِح لفلان وجِبْ كذا، وقُمْ صلْ) فإنك إن نزلتَ بعض الحواضر الكبيرة كمكة رأيتَ كثيرًا من أهلها يقول: (روح لفلان وجيب كذا، وقوم صلي). وتأمل هذا تعرف شأن العرب الأوائل في سليقتهم، وفي دخول اللحن عليهم. وقد يجيء زمانٌ يذهب حذف حرف العلة في فعل الأمر من كلام العامة جملةً، أو تذهب نون النسوة، أو النعت السببي، أو تنوين النكرة، فيُظَن أنَّ أهل زماننا كانوا يتعلمونها تعلمًا ولا يتكلمون بها سليقةً، كما ظن بعض الناس أن العرب الأوائل كانت تُعْرِبُ بالتعلم لا بالسليقة.

علىٰ كل حال، لمَّا رأىٰ أهل العلم انتشار اللحن طفقوا يدونون أصولَ العربية حفظًا لها، وتفرقوا في جزيرة العرب وبواديها التي لم يدخلها العجم، من نجدٍ وحجازٍ وسراةٍ ويمنٍ، وصاروا يدونون كلَّ ما يقفون عليه من نحوٍ ولغةٍ، وكان لسانُ تلك البلاد -بعدُ- لم يتحول عن الفصيحة. ومن ذلك ما رواه ابن عساكر بسنده أن الأصمعي (ت: ٢١٦هـ) قال: «مررتُ بصنعاء اليمن علىٰ مزرعةٍ وبجنبها عين، وإذا غلام قد ملأ قربته وهو متعلق بعَزَالِيها، وهو يصيح: (يا أبيه، يا أبه، فاها فاها، قد غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها)، وإذا به قد أتىٰ بوجوه الإعراب في حال الرفع والنصب والخفض[١]». وهذا غلامٌ صغيرٌ -من أهل المئة الثانية- كان يصيح بأبيه أن ينجده، ولا يكون لمثله إلا أن يتكلم علىٰ السليقة. وكان علماء العربية إذا وقفوا علىٰ خلافٍ يسيرٍ بين العرب ردُّوه إلىٰ القرآن الكريم، وإلىٰ كلام قريشٍ التي نزل القرآن بلغتها. وأكثر القرآن مكيٌّ نزلَ بين ظهراني قريش. وأثبتَ القرآن أمورًا خالفت فيها قريشٌ أكثر العرب، ولذا عدُّوا أفصح اللغات لغةَ قريش، ومن ذلك أن الزوج في لغة القرآن لا تؤنث مع

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٣٧، ص٨٢.

أن أكثر العرب يؤنثها، قال الله ﷻ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾، فكان الأصل والعمدة في هذا التدوين: كتاب الله.

فالمراد بالكلام الفصيح: ما وافق كلام العرب في قوانينه وأساليبه واستعمالاته، وإن وقع خلافٌ -وهو يسيرٌ- رُدَّ إلىٰ عربية القرآن لتحكم فيه.

لزوم الناس الكلام الفصيح علىٰ اختلاف ألسنتهم وبلادهم

ثم تبدلت ألسنة الناس وجرت عليها الغِيَر كما ذكرتُ بمخالطة العربِ العجمَ وتآخيهم وتساكنهم وتزاوجهم، ولتقدُّمهم في الزمان أيضًا وبعدهم عن عصر الفصاحة. إلا أنهم لزموا الفصيحة في كتابتهم قاطبةً، يأخذها الخلف عن السلف، يتفاوتون في عذوبة كلامهم، ويتفاضلون في بلاغتهم، إلا أن ذلك كتفاضل أهل البلد الواحد، ولغتهم هي هي. وصارتِ الناس في كتبها وأشعارها تستعمل هذه العربيةَ الفصيحة، ويتشبهون فيها بلغةِ كتاب الله ﷻ ولغةِ نبيه ﷺ. وما زالت الناس تبدع في هذه اللغة، وتأتي بالمستملحات، وتحدث فيها الألفاظ والأمثال، إلا أنها كانت تصدُرُ عن ملكةٍ عربيةٍ فصيحة. فكانت العربية بفعلهم هذا كالشجرةِ تطول وتعظم وتتشعب وتثمر وتسر الناظرين، إلا أن أصلها: العربيةُ التي كانت علىٰ ألسن العرب عند نزول القرآن.

فتجد الرجالَ في المئة الثانية والسادسة والعاشرة يكتبون في أبوابٍ من العلم مختلفة، وأغراض متنوعة من حوادث عصورهم وخصائص بلدانهم، ولا تكاد تفطن إلىٰ زمان واحدٍ منهم، بل ولا إلىٰ موضعه من الدنيا إلا بشيءٍ من التدقيق والنظر في القرائن، أمةٌ واحدة، ولسانٌ جامع لا يتقادم عهده.

ودوَّنوا بهذه العربية الفصيحة حتىٰ لا ينقطع السبب بينهم وبين كتاب الله وسنة نبيه، ولا ينقطع بينهم وبين بعض. وهذا لا يُتوسل إليه إلا بحفظ اللسان العربي. والناس إذا جهلوا اللسان العربيَّ وقل استعمالهم لهم، لم يحسنوا فَهم

مراد الله ومراد نبيه، وما خُلقنا إلا لفهمه والعمل به، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. ولنا عبرة فيمن سبقنا من الأمم التي قلَّت عنايتهم باللغات التي كانت بها كتبهم، فصارت كلُّ طائفةٍ منهم تقول في الدين برأيها، وتتخرص فيه، فتفرقوا قددًا، حتىٰ ما عادوا يقيمون لكتبهم وزنًا. وهم لم يهجروا هذه اللغاتِ عمدًا ويأتوا بغيرها من أكياسهم، وإنما هي ألفاظٌ تبدَّلت دلالاتها، ومعانٍ إستعملت لها ألفاظٌ غير الأُوَل، ونحو ذلك. وفي القرآن قدرٌ زائدٌ علىٰ المعاني وهو بيانه وبلاغته المعجزة وحلاوة ألفاظه وأساليبه، كما في قول الوليد بن المغيرة: «والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة»[1]. فكيف يتدبَّر القرآن حقيقةً إلا من خالطت العربيةُ نفسَه، ولا تكون هذه المخالطة إلا بكثرة ورود اللغة علىٰ النفس إما سماعًا وإما قراءةً، وأما من تعوَّد لغةَ العصر العرنجية فإنما يجعل بينه وبين القرآن حجابًا، وسترىٰ فيما يتقدَّم من الأبواب شيئًا كثيرًا من ذلك.

ولا يُعترض هنا بقول إن العربية الفصيحة إنما حُفظت حفظًا للدين فلا ينبغي أن يُعتنىٰ بها إلا في شؤون الدين. فالإسلام لم يجئ دينًا يتكلم بلغته عابدٌ في صومعة، فإذا خرج من صومعته غسل لسانه من هذه اللغة! وأجدر بمن لا يعرف الفصيحة إلا في المسجد ألا يعرفها. ولا أقول هذا تخرُّصًا، بل يُعرف هذا بالنظر في حال مسلمي العجم ممن يقرأ القرآن ويسمعه في المسجد، بل يحفظه. فهذا -إن لم يعالج الفصيحةَ- لم يفهمها البتة، ولا يفهم كلامَ الله وكلام رسوله ﷺ إلا بتُرجمان، وأخلق بالترجمة أن يكون فيها ما فيها من النقص والقصور عن تأدية المعاني والخطأ والتأويلات الفاسدة وفِقدان البلاغة والحلاوة. ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ قال:

---

(١) للأديب أيوب الجهني مقالةٌ حسنةٌ في موقع (أثارة) سمَّاها: (هذه التلاوة، فأين الحلاوة والطلاوة؟) فراجعها، وهذا رابطها:

https//:atharah.com/this-is-the-recitation-almogherah/

«اعلم أنَّ اعتياد اللغة يؤثر في العقلِ والخلقِ والدينِ تأثيرًا قويًّا بيِّنًا، ويؤثر أيضًا في مشابهةِ صدرِ هذه الأمَّةِ من الصحابةِ والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقلَ والدينَ والخُلُقَ. وأيضًا فإنَّ نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرضٌ واجبٌ، فإنَّ فهم الكتاب والسنة فرضٌ، ولا يُفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[١]».

هذا الثبات من المحامد لا المذمات

وقد ذمَّ بعض الجهال هذا الثبات في العربية، وسموه جمودًا ورموه بكل مذمة تصريحًا وتعريضًا، وهذا الثبات -لو تأملتَ- من مفاخر أمة الإسلام، وحقيق أن نُغبط عليه. وكيف لا نُغبط والنبيُّ ﷺ يجالس الصحابة قبل ألفٍ وأربعمئة سنة، فيحدثهم بحديثٍ، فنفهمه نحن. ويؤلف ابن حزمٍ كتابًا في الحب قبل ألف سنة فنستملحه ونفهمه كأنَّا من أهل زمانه، ويؤلف بعضُ العلماء في بلاد العجم، كالخوارزمي، والبيروني وابن سينا في المئة الثالثة والرابعة والخامسة شيئًا في علوم الدنيا فنفهمه، ويؤلف ابن الكتبي كتابًا في الطب قبل سبعمئة سنة فلا يشق علينا منه شيء، ويذكر الغزال رحلته إلىٰ إسبانيةَ قبل مئتين وخمسين سنة، فنفهم كلامه كلَّه. ولا يدخل في هذه المحمدة الآخذون باللسان العرنجي.

وتأمل كلامَ هذا المستشرق سنةَ ١٢٩٠هـ[٢]:

«لا ريب أن هذه العربيةَ الفصيحةَ تتفاوت بتفاوت الكُتَّاب في حذقهم، وباختلاف العلم المُتَكلَّم فيه، إلا أن الفصيحةَ غايةٌ في العجب، فلا تكاد ترىٰ في سمتها أثرًا لتباعد الزمان والبلاد. واعتبر ذلك في الإنجليز، فإن المتأدب منهم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، ص٥٢٧.

(٢) اسمه ثيودروس، وكان شيخ العربية بجامعة أُوِن، بمنشستر. نقل كلامه المنصِّرُ ألفرد في مقدمة كتابه (الإنجيليُّون الأربعة: العربية واللاتينية، The Four Evangelists; Arab and Latin)، ص٧-٨، والترجمة لي.

عاجزٌ عن فَهم كلام من تقدَّمه من قومه قبل أربعمئة عام أو خمسمئةٍ فقط، إلا أن يخصَّ كلامَهم بالتعلم. أما أن يؤديَ بكلامٍ مثله، فذلك لا يتأتَّىٰ إلا لرجلٍ أُوتي قريحةً كقريحةِ ابنِ شاترتونَ وجسارةً كجسارته[1]. وكذا حال الفرنسيس والألمان من أهل زماننا، وليست كذلك حال المتأدبين من مشارقة العرب ومغاربتهم. فهذا الأمير عبدالقادر وهو في أرض غربة، كتب إلىٰ امرأة من أهل باريسَ في رابع ذي الحجة سنةَ أربعٍ وستين ومئتين وألف (١٢٦٤هـ) قصيدةً علىٰ طريقة العرب التي تعوَّدها، فما نَبَتْ بشيءٍ من لغتها عن ذاك العصر وتلك البلاد التي نزلها، وجاءت كأنما هي من مَقُول الأصمعي، الشاعر الفحل[2].

وما ترىٰ لتباعد الناس في الأرض طولًا وعرضًا ولا لتصرم القرون عنهم كثيرَ أثرٍ في العربية المكتوبة. فهذا أبو محمدٍ الحريري، صاحب المقامات الهزلية، من البصرة عند بحر فارس، وأبو الوليد ابن رشد، القرطبي الأندلسي، ومحمدٌ نصيرُ الدين، مصنف الزيج الإيلخاني في جداول الفلك، من طوس بخراسان، ومصطفىٰ بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، المصنف الفذ من القسطنطينية، وأبو الطيب المتنبي، أمير الشعراء، الكندي المولد، وكندة قريبة من الكوفة غرب الفرات، وأما مولد ابن سينا، شيخ الطب، فبديارٍ مغمورةٍ قريبة من بخارىٰ، في بلادٍ أهمل أهلها -لهذا العهدِ- العلوم والصنائع جملةً. هؤلاء القوم كلُّهم سلكوا مسلكًا واحدًا

(١) توماس ابن شاترتون: شاعرٌ إنجليزي، كان يكتب الشعر وهو غلامٌ ويحاكي فيه شعر الأوائل وينسبه إليهم، فيحسن. قيل إن ذكاءه وإعجابه بنفسه أتعسه حتىٰ مزَّقَ تآليفه وضنَّ بها علىٰ الناس وقتل نفسه وهو ابن سبع عشرة سنة.

(٢) وهم المستشرقُ هنا، فليس الأصمعي شاعرًا فحلًا، وإن كان من أئمة رواية الشعر.

في نحو لغتهم وألفاظها فيما اشتغلوا به من التصنيف في علومٍ شتَّىٰ». انتهىٰ كلامه.

وهذا الإفرنجي كان أستاذًا للعربية في بلده، فتأمل كيف رأىٰ شأن العربية معجبًا، فأنتَ تنظر -إن أحسنتَ الفصيحةَ- إلىٰ كلام كلِّ هؤلاء القوم، المتفرقين في مشارق الأرض ومغاربها، المتقدم منهم والمتأخر، وتفهم كلامهم وتستملحه ولا يعجزك. وهذه المفخرة لم تتأتَّ لغير العرب، لقدر كتاب الله عندهم. فيا للعجب كيف انقلبت أفهام بعض الخلق حتىٰ صار يرىٰ هذا الثباتَ مذمَّةً، وصار يستحسن الانقلاب إلىٰ لغةٍ محدَثة متفرنجة، وصدق الشاعر:

يُقضىٰ علىٰ المرء في أيام محنته … حتىٰ يرىٰ حسنًا ما ليس بالحسن!

مغبة التدوين بكلام العامة

وما تزال الناس تدون بهذه الفصيحة وإن باعدتها ألسنتهم العامية. وليست الناس في هذا البعد سواء، فعلىٰ قدر قرب البلاد من جزيرة العرب يكون قربها من الفصيحة. فلو نظرتَ إلىٰ شعراء الشعر العامي في جزيرة العرب - لهذا العهد - لرأيته قريبًا جدًّا من الفصيحة. ولعل أبعد العاميَّات عن الفصيحة عامية أهل المغرب، وهذا من قديم. وقد ذكر ابن حزمٍ أن العلة في ذلك مجاورتُهم العجمَ وكثرة مخالطتهم لهم[1]، ومما رواه ابن خلدون من أزجالهم قول شاعرهم:

يطمع بالخلاص قلبي وقد فاتو … وقد ضمني عشقو لشهماتو

تراه قد حصل مسكين محلاتو … يغلق وكذاك أمر عظيم صاباتو

توحش الجفون الكحل وإن غابو … وذيك الجفون الكحل أبلاتو

فهذا كلامٌ ما يكاد يُفهم إلا بعد إعمال النظر والتدبر وإعادة القراءة مرةً بعد مرة، وفيه -مع ذلك- ألفاظٌ لا تُفهم. فلو اشتغل أهل المغرب بالتدوين بعاميتهم

---

(١) انظر: (الإحكام في أصول الأحكام) ص٣١.

لصاروا غرباء عنَّا، وانقطعت حبال الوصل بيننا وبينهم. وعلماء المغرب وأدباؤهم خلقٌ كثير لا يُحصون كثرةً، فتفكر في قدر العلم الذي يسَّر الله حفظه بكتابتهم بالفصيحة، وكيف فهم عنهم أهل زمانهم ومن جاء بعدهم من أمة محمدٍ ﷺ، وإن كان بعد ألف سنة، وبينه وبين بلاد صاحب الكتاب المفاوز والقفار والبراري والبحار.

وتأمل قولَ بكر بن قزمان (ت: ٥٥٥هـ)، وهو من شعراء الأندلس:

إذا شمر كمامو يرميها ترىٰ البوري يرشق لذاك الجيها
وليس مرادو أن يقع فيها إلا أن يقبل بدياتو

أتفهمه وتتذوقه إن لم تكن لك عناية بلسان المغاربة؟ لا بد من: لا! فقِسْ علىٰ ذلك حال المغربِي الذي لم تكن له عناية بالكلام الفصيح البتة، فإن الكلام الفصيح عنده -من قرآنٍ وحديثٍ وغيره- بمنزلة هذه الأبيات منك، لا يتذوق من الكلام الفصيح إلا بقدر ما تتذوق أنتَ من هذه الأبيات. ولو نشأ أهل الأندلس علىٰ مثل لغة هذا الشاعر وصنَّفوا بها، لضاع علمٌ كثير، وتصرَّمت الأسباب بينهم وبين كتاب الله وإعجازه وبلاغته. وهذا الشاعر معاصر لأبي بكر بن العربي وابن عطيةَ الأندلسي، وجاء بعده أبو حيان التوحيدي وابن جُزيٍّ، وهؤلاء كلهم أندلسيون من أصحاب التفاسير، ولهم في تفاسيرهم من الشرح والبيان والفوائد والملح والفتوح شيءٌ عجيب. ولو لم يرتاضوا بالكلام الفصيح ويكثروا من مخالطته وإنما اكتفوا بعامية بلادهم التي نشؤوا عليها، لما فهموا كلام الله وكلام نبيه إلا بقدر ما فهمتَ أنت من كلام هذا الشاعر. وهَبهم ارتاضوا بالكلام الفصيح، إلا أنهم لمَّا أرادوا تفسير القرآن دونوا كتبهم بالعامية، فلو فعلوا لما استفدنا من تفاسيرهم هذه شيئًا، ولكانت حصرًا علىٰ بلادهم كسائر التفاسير التي يكتبها الأعاجم لقومهم.

وهؤلاء القوم إنما فهموا كتاب الله، لقراءتهم الكتبَ التي صُنفت بالفصيحة، فإنهم وإن نشؤوا أول عمرهم علىٰ مثل لغة هذا الشاعر، إلا أنهم إذا

كبروا وميَّزوا، تعلموا القراءة وتأدبوا علىٰ الكتب الفصيحة، فحصلت لهم ملكةٌ ثانيةٌ مكنتهم من فهم كلام العرب الأوائل ويسرت لهم فهم كلام الله وكلام نبيه، ثم فَهْمَ ما ألفه علماء هذه الأمة في علوم الدين وعلوم الدنيا. ولو كانت الكتب التي يقرؤها المتأدبون علىٰ كلام العامة، لما وقع شيءٌ من ذلك.

وقد دعت جماعةٌ من المنصرين إلىٰ ترك التدوين بالفصيحة في المئة التي خلت، بل اشتغلوا هم بالتدوين والنشر بالعامية، وقد ذكر بعضهم تصريحًا في كتابٍ إنجليزيٍّ له أنه إنما أراد نقضَ الإسلام لـمَّا دعا الناسَ إلىٰ التدوين بالعامية[1]. والحمد لله الذي قيَّض جماعةً من العلماء ممن ردُّوا عليهم، وذادوا عن حياض العربية. وللدكتورة نفوسة بنت زكريا كتابٌ جامعٌ في هذا الباب سمته: (تاريخ الدعوة إلىٰ العامية وآثارها في مصر)، لمن أراد التوسع في هذا الأمر.

وليس لأمر العامية أردت الكتاب، وإنما أوردت ذكرها لتعرف عظيم قدر الفصيحة والتدوين بها في شؤون الدين والدنيا، ولأوطئ لما سيلي من الكلام.

التدوين بعربيةٍ لا عاميةٍ ولا فصيحة

لمَّا عرف العلماء عظيم قدر الفصيحة، والمغبة التي لربما وقعت للمسلمين -من العرب خاصةً- إذا تركوها إلىٰ عامياتهم، شدُّدوا في التدوين بالفصيح ولم يروا إلا أن يُدوَّن بها وقاموا علىٰ من أراد لهذه السنة تبديلًا. إلا أن بعضهم وقع في أمرٍ قريبٍ من التدوين بالعامية، بل لعله أشد، وهو التدوين بما تواضعوا علىٰ تسميته بـ(الفصحىٰ المعاصرة). وهم لما تساهلوا في هذه اللغة واحتجوا لها وقعوا في أمرٍ مثل التدوين بالعامية، وخيم العاقبة سيِّئ المغبة. وذلك أنهم لما منعوا التدوين بالعامية، فعلوا ذلك لعلتين، وهي: ألا ينقطع اتصال المسلمين بكتاب ربهم وكلام نبيهم، وأن تكون الأمة جسدًا واحدًا لها لسانٌ واحد، يُفهِم به المتقدمُ المتأخرَ، والمشرقيُّ المغربيَّ.

---

(١) وهو وِلْيَم ولككس، في كتابه: (ستون عامًا في بلاد ..١٤٣

ومثل هذه المقاصد لا تتحصل في (الفصحىٰ المعاصرة)، فليست تصل بيننا وبين كتاب الله وسنة نبيه، وليست تصل بيننا وبين من خلا قبلنا. بل إن هذه اللغة إذا ترسَّخت في النفس كانت حجابًا بين المرء وبين كلام الله وكلام نبيه وكلام سلفنا. وإن كثيرًا من أهل زماننا ممن يرطن بـ (الفصحىٰ المعاصرة) ويتشدق بها لو قرأ كلام القدماء لاستبهم عليه، ولو فهمه لرآه بعيدًا عن ذوقه واستثقله. وأذكر رجلًا من أهل الفصحىٰ المعاصرة وأئمتها يقول: إن كتابتنا لو عُرضت علىٰ الجاحظ لما فهمها إلا بتُرجمان، لتجدد اللغة وتوسعها. وقد أصاب في الشطر الأول من كلامه، فلو قرأ الأوائل (الفصحىٰ المعاصرة) لما فهموها، إلا أن هذا ليس لتوسع اللغة، بل لتحولها عن عروبيتها إلىٰ عجمةٍ شديدة، وتفرنجٍ بيِّن.

وهي تُوهم الناسَ أنها علىٰ سنن العرب، وما هي منها في شيء، فكانت بهذا الإيهام أسوأ مغبةً من التدوين بالعامية؛ لأن الناظر في العامية يعلم مباينتها للكلام الفصيح. أما (الفصحىٰ المعاصرة)، فهي تلبس ثيابَ العرب وعمائمها لتوهم أنها عربية، فيركن إليها المرء، ويشرح لها صدره، وهي في حقيقتها منافقةٌ أعجميّةُ الباطن، ولهذا أسميها العرنجيّة، لأنها لغةٌ عربية الظاهر إفرنجية الباطن.

وهذه العرنجية -كما ذكرتُ لك- حجابٌ بين الناس والكلام الفصيح، فإنك تجيء إلىٰ شيءٍ كثيرٍ من القرآن والسنة، فتجد الناس لا تفهمه إلا بأن يُبيَّن بلفظٍ أو عبارةٍ متفرنجة. وقد ادَّخرتُ الأمثلة والشواهد للباب الثالث، وأورد لك منها هناك شيئًا كثيرًا إن شاء الله.

العربية ديانة وليست «هُوية ولا تراثًا»

ورأيتُ من الناس مَن يعلق استعمال (الفصحىٰ المعاصرة) بمعانٍ غريبةٍ أخذوها من الأعاجم أصلًا، فيقولون نستعمل الفصحىٰ لنحفظ (النسيج المجتمعي)، و(الهوية العربية)، و(التراث العربي) و(الثقافة القومية)، وغير ذلك من المعاني الغريبة. وهذا أمرٌ لا يُلتفت إليه، بل ضرره أشد من نفعه. فلو أراد

العرب الاجتماع لما لزمهم أن يجتمعوا علىٰ لغة القرآن، ولكفاهم كدَّ التعلم أن يستعملوا ما يسمونه اللغة البيضاء، أو لربما اجتمعوا علىٰ كلام أهل قطرٍ بعينه يفهمه العرب كلهم، كعربية المصريين، أو استعملوا لغةً هجينة بين العربية والإنجليزية، أو غير ذلك من وجوه الاجتماع.

وأعجب من ذلك عندي من يعتني بكلام المتقدمين دراسةً وبحثًا وتحقيقًا، وهو يستعمل -مع ذلك- في تآليفه أساليب الإفرنج لا أساليب العرب الذين يتكلم عن لغتهم! وهؤلاء مثلهم كمثل من اعتنىٰ باللسان اللاتيني واللسان اليوناني وما أشبهها من ألسنة الأولين، لا يقيم لها قدرًا إلا لأنها كلامٌ قديم و(تراث)، وحقُّها -عندهم- أن تلزم الأوراق ولا تغادرها. وكنتُ أعجب إذا رأيتُ ناسًا يستشهدون بشعر الفصحاء وكلامهم، ويذكرون كتبَهم وينقلون عنها، وهم أبعد عن الناس عن استعمال لغتهم، وأكره الناس لذكر إحيائها، حتىٰ عرفتُ أن العربية عندهم إنما هي «ثقافة»، و«نسيج مجتمعي»، و«هوية عربية» وغير ذلك من المعاني الغريبة الإفرنجية. يذكرون شعرَ جريرٍ كما تذكر الإنجليز شعر شوسر (ت: ٨٠٤هـ)، ويذكرون نثر الجاحظَ كما تذكر الإنجليز وِكلِف (ت: ٧٨٦هـ)، شيءٌ قديمٌ يتذاكرونه كتَذَاكُرِ الأساطير.

ولو تواضع الناس علىٰ عربيةٍ يُقال فيها: «أنا أكون كثيرًا أفعل حبًّا لك في القلب خاصتي». لقبلوها، لأن عربية الأوائل لا تعنيهم إلا من حيث أنها تُراثٌ وثقافة للأوائل، لا غير. ولكلِّ عصرٍ -عندهم- لغة وأسلوب وألفاظ. ولستُ أريد هؤلاء بكلامي، وليس لي عليهم سلطان، ولا أظن كلامي يعجبهم، وإنما أريد مَن رَفَعَ قدر العربية لأنها لغة القرآن، ومن أراد أن يصل بين الناس وكلام ربهم وكلام رسوله ﷺ، ومن أراد ألا ينقطع السند بين المتقدم والمتأخر، وأن يفهم الآخِرُ كلام الأول، والله المستعان.

العربية الفصحى المعاصرة

ذكرتُ أصل الفصيحة ونشأتَها وعناية الناس بها زمانًا طويلًا، واقتصارهم عليها في تآليفهم، ولم تزل هذه حالهم في التأليف حتىٰ زمانٍ قريب. واصطلح أهل زماننا علىٰ تسمية هذه (الفصيحة) بالفصحىٰ[1]، وأراد بعضهم أن يفرق بين العربية التي يكتب بها الأوائل والتي يكتب بها أهل عصرنا فقال: فصحىٰ التراث، والفصحىٰ المعاصرة. ورأيتُ بعض أساتذة العربية يركن إلىٰ تسمية الإفرنج ويأخذ باصطلاحهم، فيقول: العربية الكلاسيكية، والعربية المعيارية المعاصرة، وهذا من عجيب التفرنج. فآثرت لهذا وشبهه أن ألزم ما اصطلح عليه الأوائل من تسميتها (الفصيحةَ)، وسمَّيت كلام المعاصرين (عرنجيةً)، لما فيه من امتزاج العربية بالإفرنجية، وهذا أحسن في التقسيم وأوجز في الكلام.

والظاهر أن هذه العرنجية إنما ظهرت في نصف المئة الثالثة عشرة من الهجرة (نحو ١٢٥٠هـ)، أي المئة التاسعة عشرة من الميلاد. وذلك بعد غزو الفرنسيس لمصر، وغلبتهم عليها. وكانوا جلسوا فيها نحوًا من سنتين، ثم خرجوا منها سنةَ ١٢١٦هـ، ووَلِيَ بعدهم ببضع سنين رجلٌ اسمه محمد علي، وكان

(١) والعلماء المتقدمون يطلقون لفظة الفصحىٰ ويريدون بها غير ذلك، فهم يستعملونها عند المفاضلة بين اللغات الفصيحة الثابتة عن العرب، كأن يقولوا: (هذه زوجتي)، لغة فصيحة، و(هذه زوجي) هي اللغة الفصحىٰ.

أُشرِبَ حبَّ الإفرنج، والنظر في علومهم. فبعث خلقًا كثيرًا إلىٰ طائفةٍ من بلاد الإفرنج ليتعلموا فيها، وأكثر ما خصَّ من هذه البلاد فرنسةَ، وكان ذاك نحو سنة ١٢٤٠هـ. فلمَّا رجع هؤلاء التلاميذ أساتذةً تفرقوا في البلاد يعلمون الناس، وكان خيرٌ كثير، ترقَّت به البلاد وارتفع الجهل عن كثيرٍ من أهلها، حتىٰ إن الناس اصطلحوا علىٰ تسمية ذاك الزمان: عصرَ النهضة العلمية الحديثة. وعماد هذه النهضة الذي بنيت عليه: الترجمة عن كتب الإفرنج. فترجموا منها شيئًا كثيرًا جدًّا، في علومٍ كثيرة، وصارت هذه هي الكتب التي تُدَرَّس لتلاميذ البلاد. وهذه الكتب في غالبها لا تباعد النصَّ الإفرنجي الذي نُقلت عنه في أسلوبه وتراكيبه واستعمالاته وعجمته.

وممن نظر في أساليب ذلك العصر وأحسن تتبع مذاهب أصحابه وتراجمهم جمال الدين الشيال في كتابه (تاريخ الترجمة في عصر محمد علي)، فقسَّمهم علىٰ عهد محمدٍ هذا إلىٰ ثلاث طبقات، الطبقة التي كانت تحسن شيئًا من لغات الإفرنج لمَّا صار الملك إلىٰ محمد علي، فتعلَّل بهم أول أمره، ومنهم القس رفاييل زخورة، الشامي الأصل المصري المولد، وكان يترجم عن الإيطالية والفرنسية. والطبقة الثانية، وهم الذين بعثهم محمد علي إلىٰ بلاد الإفرنج فأخذوا العلوم عنها وتخرَّجوا فيها وصاروا أركان العلم في مصر وأئمته، ومنهم رفاعة الطهطاوي الذي تولىٰ كِبرَ الترجمة في مصر، وصنع تراجمتها من بعده علىٰ عينه. والطبقة الثالثة المتخرجون في مصر من تلامذة رفاعة وطبقته.

وعرض الشيال لشيءٍ من تراجم هذه الطبقات (ص٢١٦ فما بعدها) -وأكثرها من لسان الفرنسيس- فتكلم فيها من جهة حسن أدائها للمعاني وأساليبها واختيارها للألفاظ والتراكيب، وذكر أن الغالب عليها قاطبةً لزوم النص الأعجمي. فقال عند ذكره الطبقة الأولىٰ وكبيرها القس رفاييل: إن الناظر في تراجمه «يدرك لأول وهلة ما تمتاز به من ركاكة، بل عجمة في الأسلوب، والسبب في ذلك كما يتضح من مقارنتها بالأصل أنه تقيد بالمبدأ الأول من

المبادئ العامة للترجمة في ذلك العصر، **وهو التقيد التام بالأصل، فرفاييل في ترجمته لم يفعل أكثر من حذف كل لفظٍ إيطالي ووضعِ عربيٍّ مكانه»**.

أما الطبقة الثانية، وهي طبقة أعلام النهضة وأئمتهم وكبرائهم وشيوخ من جاء بعدهم، وهي طبقة رفاعة ومن معه. ورفاعة عند أهل العصر في الترجمة كالخليل في العربية والشافعي في الأصول والجرجاني في البيان. وقد ذكر الشيال أن الترجمة قد حسنت في هذه الطبقة شيئًا قليلًا، إلا أن رفاعة كان: «يخضع للمبدأ العام الذي قررناه، وهو التقيد بالنص الأجنبي تقيدًا يخرج الترجمة وفيها شيء من العجمة، حتىٰ ليحس القارئ لأول لحظة أن ما يقرأ نص مترجم . . . وحتىٰ عندما كان رفاعة يبيح لنفسه التصرف في أوضاع أجزاء الجملة الواحدة، لم يستطع صياغتها في أسلوب عربي مقبول». وأما الطبقة الثالثة، فيقول الشيال في رجلٍ منهم اسمه خليفة: «تلاحظ أن المترجم كان ككل مترجمي العصر أسيرًا للنص الذي ينقل عنه». وقد أبان خليفة نفسه عن منهجه هذا، فقال في مقدمة ترجمةٍ له: «كانت بعض العبارات في ترجمتي علىٰ نسقٍ يبعد بعض الوجوه عن قالب الفصاحة العربية، ويقرب من قالب اللغات الأعجمية، لأن المترجم يلزمه أن يكون أسيرًا للأصل في تركيبه، ونظمه وترتيبه»[١]. وقد مثّل الشيال في كتابه لتراجم كلِّ طبقةٍ وقارنها بأصلها لمن أراد التوسع في هذه المسألة.

وللدكتور إبراهيم عوض مقالٌ سمّاه: (ترجمة الطهطاوي لـ «جغرافية ملطبرون»)[٢]، يصلح أيضًا لمن أراد التوسع. ذكر فيه أمثلةً علىٰ الترجمة اللفظية في كتاب رفاعة، ومنها قوله: «أما بلاد النصرانية بأوربا وأقاليم أفريقة المسكونة بالسودان فكانت عند هذا المؤلف ليست جديرة بمزيد الاعتناء بها والاهتمام

---

(١) في كتابه (إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في أوروبا) ص٨-٩.

(٢) واسم الترجمة (الجغرافية العمومية لملطبرون)، واسم الأصل الفرنسي: Géographie Universelle De Conrad Malte-brun. ومن أراد المقارنة بين الترجمة والأصل ولم يتيسر له ذلك لجهله بكلام الفرنسيس، فالكتاب الفرنسي مترجَمٌ إلىٰ الإنجليزية ويصلح أن يُتعلل به، واسمه: Universal Geography by Conrad Malte-Brun، وكل ذلك في النتِّ تجده بنقرةٍ إن أردتَه.

بشأنها» وقوله: «وُضِع عليه السجن بأمر المشورة». وغيرها من الجمل الظاهرِ عليها أسلوبُ الإفرنج وعباراتهم.

والحق أن تراجمَ هذا العصر جيدةٌ إذا قيست بتراجم المئة التي بعدها (١٣٠٠هـ)، بل هي رصينةٌ إذا قيست بتراجم هذه المئة (١٤٠٠هـ). وذلك لأمرين. أولهما عناية بعض علماء الأزهر بهذه التراجم وتهذيبهم لها، فكانت تُجوَّد قليلًا، ويدخل فيها قدرٌ طيب من الفصيح يُخلط بالعجمة، وثانيهما، وهو الذي أريده هنا، وعليه ينبني ما بعده، أن تراجمة ذلك العصر لم يتربوا علىٰ هذه التراجم. فهؤلاء القوم لمَّا نشأت سلائقهم، وفُطرت قرائحهم، لم تكن هذه التراجم -بعدُ- بين أيدي الناس، ولم تتشربها نفوسهم، وإنما كانت أقلامهم وألسنتهم الفصيحة تُراض بما يرد عليها من كتب العرب الطاهرة التي لم تهجِّنها -بعدُ- عجمةٌ ولا تفرنج. فكان ما وقع في تراجمهم من العجمة إنما دخل عليهم للزومهم الأصل الذي يترجمون منه، وهذا جهل بصنعة الترجمة، لا لفساد السليقة نفسها، وتعرف ذلك من كتبهم التي ألَّفوها أصالةً بالعربية، ككتاب التلخيص لرفاعة، فإنه جعله بلغةٍ رشيقةٍ فصيحة وبيانٍ رائقٍ عالٍ.

ثم جاء الناس من بعدهم، فكانوا إذا قرؤوا العربيةَ أخذوها من الكتب المترجمة، وإذا تعلَّموا في المدارس كانت هذه التراجم كتبَهم التي يدرسونها، فنشؤوا علىٰ عربيةٍ شابها البيانُ الفرنسي، والأساليب الفرنسية، والاستعمالات الفرنسية، والمجازات الفرنسية. وحريٌّ بمن نشأ علىٰ هذه الكتب المترجمة أن يؤدي بمثل الذي قرأ، ويحاكي أساليبها ويحتذي مثالها، فكانوا إذا كتبوا شيئًا أصالةً بالعربية أدخلوا فيه هذه العجمة، فتسربت بذلك العجمةُ إلىٰ الكتب العربية نفسها. وكانت مصر إذ ذاك قطب بلاد العرب وقبلتها، فأذاعت هذه اللغةَ في الأمصار، لا سيما الشام لقربها منها، ولاشتغال ناسٍ منها بالترجمة.

وقد تجد في بعض تراجم هذا العصر وكتبها شيئًا فصيحًا رصينًا بعيدًا عن العجمة، إلا أنه نادر، كتراجم الشدياق مثلًا، ولا حكم للنادر في حصول

الملكات لأن الملكة تنبت بما ينصب عليها صبًّا دائمًا، لا بما يصيبها مرةً أو مرتين. وأنتَ إذا قرأتَ الكلام الركيك دهرَك كلَّه، ثم قرأت من كتب الفصحاء كتابين أو ثلاثةً لم تقوم لك لسانًا ولم تهذب لك ذوقًا، لأن الحكم في الذوق للغالب الأكثر.

ومن أشدِّ الكتب المترجمة في ذلك العصر أثرًا: ترجمة الإنجيل التي خرجت سنةَ ١٢٨١هـ، وكانت من أشدِّ ما كُتِبَ في ذلك العصر عجمةً وتفرنجًا، ويسمونها الترجمة البيروتية البروتستانية أو ترجمةَ الفانديك. وقد تعمَّد أصحاب هذه الترجمة -وهم من العجم!- أن تكونَ متفرنجةً ركيكةً حتىٰ تكون مخالفةً لعربية القرآن. وكانوا استعانوا أول أمرهم بناصيف اليازجي، وهو من نصارىٰ لبنان، إلا أنهم ضاقوا به بعد مدةٍ ذرعًا لكثرة ما يريد أن يجعل الترجمة فصيحةً، وصرفوه عن العمل ثم أتموا الترجمة وحدَهم[1]. وقد بلغت الترجمةُ من العجمة أن الأب أنستاس الكرملي، وهو من رهبان النصارىٰ ولغوييهم، قال فيها: «ليس في الترجمة البروتستانية من العربية سوىٰ الحروف والكلم، أما العبارة وصيغتها فليستا من لغتنا بشيء»[2]. وكثيرٌ مما يذكره أهل عصرنا من الخطأ في التراكيب والألفاظ تجده يتكرر في هذه الترجمة، ومن ذلك ما ذكره الهلالي في كتابه تقويم اللسانين، كالكاف الدخيلة واستعمال (برَّر) و(تنبَّأ) وعبارة (نكران الذات)، كلُّ ذلك وجدتُه في الترجمة الفاندَيكية البروتستانية، وهم يتعمدون هذه التراكيب ويتحاشون كلَّ ما شابه عربية القرآن والسنة. وأقد أثنىٰ أنستاس علىٰ الترجمة الدمنكية، لأنها ترجمة قومه نصارىٰ العراق، ثم جعل بعدها الترجمة اليسوعية

(١) ذكر المترجم الأمريكي نفسه في رسالةٍ له سنةَ ١٣٠٢هـ أنه إنما أراد أن يترجم الإنجيل بعربيةٍ تخالف عربية المسلمين، وذكر خبر صرف اليازجيِّ، وزاد فيها أن اليازجي لم تكن له عنايةٌ بالنحو وكان كثير الأوهام! واليازجي من أئمة العربية ومن أعلم أهل عصره باللغة وأفصحهم لسانًا، وما نقم هذا الإفرنجي منه إلا أنه يريد الكلام فصيحًا. راجع رسالته في Brief Documentary History of the Translation of the Scriptures into the Arabic Language، ص٢٩.

(٢) في مجلته لغة العرب ١٣٤٨ هـ، ج٨، ص٦٦٨.

لأنها ترجمة رهطه الكاثليك، والحق أن كل هذه التراجم في الرداءة والعجمة سواء، إلا أن الترجمة الفانديكية طارت في الآفاق وغلبت علىٰ سائر التراجم فكان أثرها أشدًّا. ولمَّا كثرت قراءة النصارىٰ لهذه الترجمة وكانت المقدَّمة عندهم بان أثرُها في كلامهم، وتأثُّرُ كُتَّاب النصارىٰ يتبعه تأثُّر كُتَّاب المسلمين بهم، ولو شيئًا قليلًا، فإن كثيرًا من كبار كُتَّاب ذلك الزمان كانوا من النصارىٰ. وتأمَّل الفرق في بعض نصوص الإنجيل هذه بين الترجمة الفانديكية وترجمةٍ غيرها، ترىٰ في الترجمة الفانديكية الثِقَل والركاكة والاجتهاد في مخالفة الكلام الفصيح، وهي في لغتها مشابهةٌ لـ (الفصحىٰ العاصرة)-:

الترجمة الفانديكية	الترجمة اليسوعية (الحديثة)
ولكن عند الله كلُّ شيء مستطاع	أما الله فإنه علىٰ كل شيءٍ قدير
لأنه ليس بالكيل يعطي اللهُ الروحَ	ذلك بأنَّ اللهَ يهبُ الروحَ بغير حساب
ولا تعط إبليس مكانًا	لا تجعلوا لإبليس سبيلًا
من أراد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه	من أراد أن يتبعني، فليزهد في نفسه

وأحسب أنَّ أثر هذه الترجمة -وما عاصرها من تراجم الإنجيل- كان شديدًا علىٰ أساليب العربية، وهو أمرٌ يُغفل عنه، وقد فطن الرافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ذلك فكتب مقالته المشهورة التي سمَّاها (الجملة القرآنية) سنةَ ١٣٤٣هـ، وقال فيه ذامًّا أصحاب العرنجية: «يحاولون أن يختلقوا في اللغة فطرةً جديدةً غير تلك الأولىٰ التي وُضعت عليها جِبِلَّتُها واستقام بها أمرُها وتحقق إعجاز الفصاحة العربية بخصائصها. ومرجع هذا البلاء كلِّه أن عربية الجملة الإنجيلية تغزو عربية الجملة القرآنية من حيث يدري أولئك أو لا يدرون»(١). ومثَّل الرافعي في مقالته علىٰ عربية الجملة الإنجيلية بالترجمة اليسوعية التي صحَّحها إبراهيم اليازجي، وقال إن اليازجي «قد رغب إليهم أن يصرِّف قلمه في الترجمة وينزلها منزلتها من اللسان،

---

(١) مجلة الزهراء، ج٦، ص٣٥٤-٣٥٥.

ويتخيَّر ألفاظها ويزيل عجمتَها ويخلصها من فساد التركيب وسوء التأليف ويفرغ عليها جزالةً ويجعل لها حلاوةً، فأبوا عليه كل ذلك ومنعوه منه»[1]. ومترجمو اليسوعية -كمترجمي الفانديكية- كلُّهم عجم، وهذا والله من عجيب تسلط الإفرنج علىٰ العرب. وقد نظرتُ في الترجمة اليسوعية فوجدتُها ركيكةً لا تكاد تُفهم في كثيرٍ من المواضع لشدة عجمتها، إلا أنَّ أصحابها رجعوا -في نسختهم الحديثة- عن هذه الهجنة، وهذَّبوا ترجمتهم وأزالوا عنها كثيرًا من عجمتها، كما رأيتَ في الأمثلة التي تقدمت. ولست أدري ما هداهم إلىٰ إصلاح ترجمتهم ونكَّبهم عن طريقتهم الأولىٰ وعرَّفهم قبحَها.

وعلىٰ كل حال، طفق الناس يؤلفون في ذمِّ هذه اللغة الهجينة وينبهون الناس علىٰ ما فيها من العجمة، طلبًا لإصلاحها قبل أن يتسع الخرق علىٰ الراقع. فألَّف شاكر بن مغامس اللبناني كتابًا سنةَ ١٣٠٨هـ (١٨٩١م)، وسمَّاه: لسان غصن لبنان في انتقاد العربية العصرية، وشاكر هذا ممن عاصر الطبقة الأولىٰ من مترجمي العصر، وقال في كتابه إن من أغراض كتابه أن يبين فيه: «ما [عثر] عليه، من الخطأ في التعريب وقواعد اللغة واستعمال ألفاظها، فيتضح جليًّا ما ألمَّ بها من الفساد والخلل وسقم التراكيب ونحو ذلك»[2]. فقدَّم التعريب، وهو الترجمة، علىٰ سائر ما وقع في كلام الكُتَّاب من الأخطاء في العربية. وهذا الكتاب قديمٌ جدًّا، وبه يُرد علىٰ من زعم أن العجمة في العربية إنما حدثت هذه السنين التي خلت آنفًا. ومما ذكره من مولدات الترجمة عن الفرنسية ولا وجه له قولهم: فلانٌ طلب يد فلانة، وفلانٌ لعب دورًا مهمًّا، وبالرغم من كذا، ويقتل الوقت بكذا، وكذا يوفر عليك التعب، وقرأت علىٰ وجهه الغضب أو الفرح، واستعمال (أو) التخييرية محلَّ (أي) التفسيرية، كأن تقول: هذا البيت للحسن بن هانئ أو أبي نواس، وتكرار (كلما) في جواب شرطها كقولك: كلما اجتهدت

(١) مجلة الزهراء، ج٦، ص٣٥٤.

(٢) ص١٤.

كلما نجحت، وذكر شيئًا مما تبدل في أعراف الكتابة كأن يُقال: («إليك عني!» صاح الرجل في غضب) فقُدِّم المقول علىٰ القائل كما تفعل الإفرنج.

ومما زاد الطينَ بِلَّةً دخولُ الإنجليز إلىٰ مصرَ وغلبتهم عليها، ولا أريد بذلك ما خاضوا فيه من الدعوة إلىٰ العامية، وترك الفصيحة ونحو ذلك، فهذا بيِّن، ولم يكن له عظيم أثرٍ في لغة الكتابة والحمد لله. وإنما أريد أن الإنجليز لما ملكوا مصرَ اجتهدوا في تعليم الصبيان الإنجليزية أول عمرهم، بل طفقوا يعلمونهم أكثر العلوم بالإنجليزية، حتىٰ فسدت الألسن والأقلام، فصار الناس إذا تكلموا بالعامية أدخلوا فيها شيئًا من كلام الإفرنج، حتىٰ قال محمد بن عمر في كتابه (حاضر المصريين)، سنةَ ١٣٢٠هـ:

«عندما تتكلم مع أحدهم بالعربية الفصحىٰ، فإنك تراه لا يدرك [معاني] اللغة، فضلًا عن دس كلمة أو كلمتين من لغة الغير بين جملةٍ وأخرىٰ إما بالفرنساوية أو بالإنجليزية. حتىٰ إن اللغة العامية المصرية نفسها قد حرفوها عن مواضعها، حتىٰ لم يبق لنا ما يمكن أن ينسب إلينا أو ننسب إليه مما يعده الناس شيئًا. ومنهم من إذا تكلمت معه، يقصر تعبيرُه عن فكره، فيقول معنىٰ ذلك باللغة الإفرنجية ... وإذا نبهت أحدهم إلىٰ ذلك هز كتفيه مستهزئًا، وهو يقول لا أدري اللفظة التي بها أؤدي المعنىٰ الذي أريده بالعربية، كأنه ليس من أبنائها»(١).

ونقل جرجس بن سلامة في كتابه (أثر الاحتلال البريطاني في التعليم) كلامًا لمصريٍّ عاصر ذلك التعليم فقال سنةَ ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م):

«نتج عن تعليم كل العلوم باللغة الإنكليزية أن الطالب المصري وهو بين ١٤ و١٥ من عمره يحسن اللغة الإنكليزية ... حتىٰ لقد قيل إن اطلاع الطالب المصري علىٰ اللغة الإنكليزية يزيد كثيرًا علىٰ اطلاع الذين يتعلمونها في مدارس حكومة إنكلترا بالذات، ولكنه يدرك كل هذا بعد أن يخسر كل شيء آخر، حتىٰ اللغة العربية، وخسارته فيها عظيمة جدًّا»(٢).

---

(١) ص٣٦-٣٧.

(٢) ص٢٤٧.

وإقحام لفظةٍ أعجميةٍ بصورتها الأعجمية إنما يكون في العامية، ولا تزال الناس تتحامىٰ ذلك في الكلام المكتوب، وتجتهد في استعمال لفظٍ عربيٍّ، ولو في ظاهره. إلا أن تعلم جماهير الناس الإنجليزيةَ فتح بابًا عظيمًا من الإفساد لا يُتفطن إليه. وهو أن ملكةَ الناس صارت إنجليزيةً لاشتغالهم بالإنجليزية في صباهم، وأثبتُ الملكاتِ ما كان في الصبا، وصدق من قال إن: التعلم في الصغر كالنقش علىٰ الحجر. فصار الرجل إذا أراد أن يؤلف بالفصيحة لم تسعفه سليقته فيها، وغلبت علىٰ نفسه ملكتُه الإنجليزية، فصار يجتلب المعاني من الإنجليزية، ويدحسها في كلامه العربي دحسًا، ويسبك عبارته سبكًا إنجليزيًّا، وقد قال الجاحظ: «اللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد، أدخلت كلُّ واحدةٍ منهما الضيمَ علىٰ صاحبتها»، وهذا أمرٌ يعلمه من تكلّم أكثر من لغة.

وعلىٰ أن مِن المتقدمين في عصر الترجمة مَن اجتمعت في ألسنتهم لغتان فأكثر، إلا أن أثرها كان في كلامهم قليلًا لا يُعبأ به، تعرف ذلك من كتابتهم إذا ألفوا من تلقاء أنفسهم ولم يترجموا. أما أكثر من جاء زمانَ الإنجليز، فلم تكن له ملكةٌ تصون لسانه، وقد فسدت سليقته من وجهين: من جهة نشأته علىٰ التراجم وتشرب لغتها المتفرنجة، ومن جهة إدخال إنجليزيته الضيمَ علىٰ عربيته. وكثيرًا ما سمعت قومًا من المعاصرين ممن يحسنون الإنجليزية إذا تكلموا بالعربية تلفظوا بكلامٍ ظاهره عربي، وباطنه عجمي. وقد سمعت رجلًا يتكلم في مجلسٍ في اليُثْيوب في نحو ساعتين، وفيه من هذا الضيم ما تتعب وأنت تحصيه، قال في جملةٍ واحدة مثلًا: «أنا أجي من بيتْ أهلُه [كذا وكذا] فالتقطت هذه العادة منهم». وهذا كلامٌ إنجليزي، فالإنجليز تستعمل (أجي منI come from)، بمعنىٰ (مِن) في العربية. فأنتَ قد تقول في العربية (هو من أسرة غنية) أو (هو من قبيلةٍ كبيرة)، والإنجليزي إذا أراد أن يعبر عن ذلك قال: (هو يجيء من أسرة غنية وهو يجيء من قبيلة كبيرة). وأما قوله التقطت هذه العادة فهو من: picked up this habit،

أي صارت عادةً لي، أو تعلمت هذا الطبعَ وأخذته منهم. وقال في عبارةٍ ثانية: «أدري من وين إنت جاي»، وهذه في الإنجليزية I know where you are coming from، أي: أدري ما حملك علىٰ قول ذلك. وهذه وأشباهها دخلت عليه من إنجليزيته.

وعلىٰ كل حال، نشأت هذه الطبقة التي كانت بعد سنة ١٣٠٠ هـ في مدارس الإنجليز وعلىٰ لغتها، وكانت إذا قرأت كتابًا عربيًّا كان في الغالب مترجمًا علىٰ طريقة الإفرنج. وعمَّتِ العجمةُ الناسَ، وشاعت المجلات لتيسر الطباعة وتيسر نشرها. وكثر المشتغلون بالترجمة لكثرة من يحسن الإنجليزية، ولم تكن علماء العربية تهذب الكتب وتراجعها كما كان في الطبقات التي قبلهم. فزاد ذلك كلُّه العربيةَ عجمةً وتفرنجًا. ولا يأتي زمانٌ إلا والذي بعده أعجم منه.

وتأمل ذلك في أدباء المئتين التي مضت، فإنك تجد غالب الذين وُلدوا قبل سنة ١٣٠٠ هـ فصحاء رُصَناء سُلَماء اللغة، ولا تكاد ترىٰ أثر التفرنج في كلامهم، إلا قليلًا منهم ممن اشتغلوا بكتب الإفرنج المترجمة. وهم -بالجملة- أنقىٰ لغةً وأبعد عن العجمة وأساليب الإفرنج ممن وُلدوا بعد سنة ١٣٠٠ هـ، لا لاجتهادٍ منهم أن يباعدوها، وإنما لأنهم نشؤوا قبل عموم فساد الأذواق ومسخ القرائح، ولذلك ترىٰ أكثر مَن كان قبل سنة ١٣٠٠ هـ مِن كُتّاب النصارىٰ فصيحًا بليغًا قريبًا من لغة الأوائل، لهذا الأمر الذي ذكرتُه[1]. وتأمَّل هذا التاريخ الذي ذكرتُه لك، فإنك ترىٰ الكاتب كلَّما زادت مدة سَبقه لهذا التاريخ كان أجود قلمًا وأعذب كتابةً، وكلما جاء بعده بمدةٍ كان أقرب إلىٰ أساليب الإفرنج وأكثر عجمةً. ولهذا

---

(١) للكاتب النصراني لويس شيخو كتابٌ اسمه (تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين)، ذكر فيه أسماء طائفةٍ كبيرةٍ من الأدباء من سنة ١٢١٥هـ، حتىٰ سنة ١٣٤٥هـ. وقد ذكر فيه أدباء المسلمين وأدباء النصارىٰ، إلا أنه أكثر من ذكر أدباء النصارىٰ وبسط في تراجمهم الحديث. ولو نظرتَ في لغة من يورد كلامهم لرأيتَ مصداق مقالتي، فإنك تنظر إلىٰ شعر النصراني مِن مَن كان قبل ١٣٠٠هـ، فتراه أفصح وأقرب إلىٰ لغة المتقدمين من شعر كبار الإسلاميين من أهل عصرنا، لهذا الأمر الذي ذكرته لك.

علا قدرُ الفصحاء ممن وُلدوا بعد هذا التاريخ كعبدالرحمن السقَّاف، وعبدالعزيز البشري، وعبدالرحمن المعلمي، ومحمود شاكر، وأمثالهم.

وأكثر من ذمَّوا هذه اللغة أول أمرها كانوا ممن وُلدوا قبل هذا التاريخ، كإبراهيم اليازجي (١٢٦٢- ١٣٢٤ هـ)، وشكير اللبناني (١٢٦٦- ١٣١٤ هـ) وحافظ بن إبراهيم (١٢٨٨- ١٣٥١ هـ)، فهؤلاء قومٌ أدركوا يومَ يفصح الناس، وشهدوا يومَ تفرنج الناس، ففطنوا إلىٰ التبدل الذي وقع. وفي ذلك يقول حافظ بن إبراهيم سنةَ ١٣٢١ هـ علىٰ لسان العربية[1]:

أيهجرني قومي عفا اللهُ عنهُمُ ... إلىٰ لغةٍ لم تتصلْ برُوَاةِ
سَرَتْ لُوثَةُ الإفْرَنْجِ فيها كما سرىٰ ... لعابُ الأفاعي في مسيلِ فُرَاتِ
فجاءتْ كثوبٍ ضَمَّ سبعينَ رُقْعَةً ... مُشَكَّلَةَ الألوانِ مختلفاتِ

والناس تكثر من ذكر قصيدته هذه، وهي لا تفهمها. فيظنون أنه إنما أراد بذلك اصطلاحات العلوم دون غيرها من وجوه العجمة. وهذا وإن كان داخلًا في كلامه، فإنه لم يرده وحده، فهو يقول إن الناس هجرت العربية إلىٰ لغةٍ غيرِها مرقَّعةٍ سرت فيها العجمة، ولم يقل إنهم استعملوا ألفاظًا أعجمية. وتعرف مراده من هذه الأبيات من مقدمته لترجمة البؤساء التي قال فيها إنه إنما ترجم الكتاب: «[ليصل] بها تلك الرحم التي قطعتها يد الترجمة التجارية بيننا وبين أولئك الرجال الذين تجردوا لتعريب أساطير الأولين فوفوها قسطها من الإتقان، وألبسوها من البهجة لباسًا ترضاه اللغة ويرضاه أبناؤها. ومن نظر في بطون تلك الكتب التي تترجم اليوم، رأىٰ هذه الغادة الشرقية وهي علىٰ فراش موتها تندب خدرًا قد ابتذلته الأقلام، وسترًا قد هتكته الأوهام، وقد فتحوا لها في بطون الكتب قبورًا، وخاطوا لها من تلك الصحف أكفانًا»[2].

---

(١) في مجلة الهلال، في العدد ١٧، ص٥٢٨.

(٢) وهذا سنة ١٣٢١هـ.

فرَحِمُ هذه العربية الفصيحة قُطعت، أما (العرنجية) التي يرطن بها الناس ويسودون بها كتبَهم فهي لغةٌ هجينة مرقعة، سرت فيها لوثة الإفرنج.

دهشة علماء العربية عن هذا التبدل

وأكثر علماء العربية اليومَ لا يفطنون إلىٰ هذا التبدل، وإذا تكلموا في هذه العجمة ظنوها لا تجاوز شيئًا من أفراد الألفاظ والتراكيب. فهم يتجادلون في (يلعب دورًا) ويرددون الكلام فيها منذ مئة عامٍ وزيادة، كأن لغات الإفرنج لم تُدخل إلا هذه الأساليب. وتأمل المولدات التي ذكرها شقير اللبناني سنةَ ١٣٠٨هـ، وقد تقدَّم ذكرها، تجدها أكثرَ ما يذكره الناس حتىٰ زماننا هذا. وأكثر أهل (الفصحىٰ المعاصرة) لمَّا تكلموا في هذه المولدات مالوا إلىٰ قبولها لأنها (عربية الألفاظ)، وتأمل ذلك في قول الشيخ عبدالقادر المغربي، وهو من أهل الفضل، ومن أرباب مجمع العربية بالقاهرة، يقول:

«الباب مفتوح للأساليب الأعجمية تدخله بسلام، إذ ليس في هذه الأساليب كلمة أعجمية ولا تركيب أعجمي، وإنما هي كلمات عربية محضة ركبت تركيبًا عربيًّا خالصًا، لكنها تفيد معنىٰ لم يسبق لأهل اللسان أن أفادوه بتلك الكلمات»[(١)].

فجعلَ العجمةَ مقبولةً شريطةَ أن تكون الألفاظ عربية، وأن تكون موافقةً في تراكيبها لقواعد العربية. ولازم كلامه أن يُقبل كلُّ ما عَجُمَ شريطةَ أن يكون عربيَّ اللفظ موافقًا للنحو والصرف. ولستُ أظنَّ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد ذلك، إلا أنَّ هذا الذي يلزم من قوله. وهذا القول ينتهي إلىٰ إذهاب اللغة كلِّها ودروسها بتطاول الزمان، لأنه لا يُبقي منها إلا صورتَها، وينزع عنها جوهرها. واللغةُ ألطف من

---

(١) في العدد الأول من مجلة مجمع اللغة الملكي ١٣٥٣هـ، الذي سُمِّي بعد ذلك مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في مقال اسمه (تعريب الأساليب)، ص٣٣٢-٣٤٩.

هذا الجفاء، ألا ترىٰ أنك إذا سمعتَ قائلًا يقول: «حدث الأمر خارجًا من الأزرق»، أو: «شعره مستقيمٌ ويلبسه أحيانًا طويلًا وأحيانًا قصيرًا» استنكرتَ قوله مع أنه كلامٌ مستقيمٌ إعرابه، عربيةٌ ألفاظه، علىٰ شرطهم. وليست الفصيحة بموافقة النحو وعروبية الألفاظ فقط، بل بألفاظها ومعانيها ونحوها وأساليبها واستعمالاتها، وشأنها كلِّه من موافقة الملَكَةِ الأولىٰ والسليقة العربية. وهَبِ التراجمة المتقدمين في عصر الترجمة مرَّت بهم هذه العبارات المتفرنجة التي ذكرتُها لك، وترجموها بألفاظها هذه كما صنعوا في (لعب دورًا) حتىٰ تعوَّدها الناس وقبلتها أذواقهم، فإن لازم كلام الشيخ أن تُقبل كما قُبِلَ غيرها، إما بتكلف التخريجات، أو بالقول بجواز تبدل الدلالات وقبول مولد الأساليب وزعم تجدد العربية.

فساد الذوق والاستئناس بالعجمة

أكثر الناس إذا سمعوا قول القائل: (هذا الأمر يصنع فرقًا، وفلانٌ يؤلف في حقل الترجمة، وأنا لا أتبنَّىٰ هذا الكلام، وهذا حلم تحقق، وهذا أمر ينفع الإنسانية) وغيرها من الألفاظ والعبارات المترجمة، لم يفطنوا لعجمتها، ولم يستنكروها، لكثرة ما سمعوها وألفتها نفوسهم. وهذه طبيعةٌ في النفس أنها إذا ألفت المنكر وأُشربته لم تنكره. وهذا مِثلُ تشبيهٍ بديعٍ ذكره رسول الله ﷺ، فقال: **«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَىٰ الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ، عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»**. وحال النفوس واحدةٌ مع كلِّ منكرٍ، في الديانة وفي غيرها. فالنفس لا تنكر عبارة (تبنَّىٰ هذا الرأي) لاعتيادها لها، وكثرة ورودها علىٰ القلب من غير تمحيصٍ ولا إنكار. والنفس -مع ذلك- تنكر ما لم تعتده، كـ(شعره مستقيم

ويلبسه مضفرًّا) فإذا عُرض علىٰ النفس مرةً بعد مرة، أُشربته وما وجدت فيه نكارةً. ولهذا لم يكن ذوق العصريين حجَّةً علىٰ العربية، فإن سلائقهم لم تتشرب العربيةَ، وإنما تشربت هذه اللغة الهجينة، فصارت تستحسن ما أُشرب هواها، لا ما وافق اللسان العربي. ولو كان الرجل يقرأ في كتبٍ تكتب بلغةٍ مثل: «أنا أفعل الجوع اثنين مرَّات في وقت اليوم»، لتعوَّدها واستأنس بها، وقبلها ذوقه. ومن اللطائف في هذا الباب ما ذكره شاكر اللبناني في كتابه (غصن لبنان)، فقال: (فلانٌ طلب يد فلانة: فمن من أبناء العربية يفهم المراد بهذه العبارة؟ فالأصل الفرنسوي Demander sa main، وهو كناية عندهم عن الخطبة) والشاهد في كلامه قوله: «ومَن مِن أبناء العربية يفهم ذلك؟»، فسلائق العرب إذا ذاك تستغرب هذه الكناية ولا يفهمها منهم أحد، إلا أن يكون الرجل عارفًا بكلام الفرنسيس. أما الآن فهي الأصل في التعبير عن الخطبة في أكثر البلاد، وما ذلك إلا لكثرة ورودها علىٰ النفوس، حتىٰ استملحها الذوقُ. ولو كَثُر ورود (أفعل الجوع) لكان شأنها مثل ذلك. وتأمَّل هذا في (صنعتَ يومي وتغذية راجعة) التي كانت الناس تستنكرها أول أمرها، ثم لما كثر ورودها عليهم استأنسوا بها وقبلتها أذواقهم ولم يروا فيها بأسًا.

ولستُ أزعم أنَّ كلَّ أمرٍ ورد في كلام الإفرنج مخالفٌ لكلام العرب، ولا ينبغي الأخذ به. فالعرب لم تتكلم بكل شيء، إلا أنها تكلمت بكلامٍ حسبك به في معرفة ما يوافقه ويخالفه. ومناط الأمر بالذوق، هو الذي تروز به الكلام وتعرف به صحيحه من سقيمه. والذوق لا يُراد به استحسان الناس واختياراتهم، فإن في الناس من يعجبه كلامٌ لا يعجب غيره، بل فيهم من قد يُعجبه بيتٌ في قصيدةٍ وهو يستسمج سائر القصيدة. وإنما المراد بالذوق الملكة المتحصلة في النفس التي يميز بها صاحب اللغة الخطأ من الصواب. وما زالت الناس -حتىٰ عصر الترجمة- تولِّد الأمثال والاستعمالات والتراكيب في كتابتها الفصيحة ولا يُنكر عليها. والذوق -إن صلح- يكفيك في تمييز الجيد من الرديء، بل اللغات كلُّها مدارها علىٰ الذوق. غير أن الناس لا يعجبهم تحكيم الذوق

لأنهم يحسبون أنّا نريد بالذوق مجرّدَ الاستحسان والرأي، ونحن إنما نريد به الملكة المتحصلة في النفس، وهذا يكون في العامية والفصيحة. فهب أنك سمعتَ في العامية: (هو يجي من غامد)، لقطعتَ أن المتكلم أعجمي. إلا أنّا سمعنا -كما تقدّم- بعض من يستعملها من العرب لفساد ذوقه، وأنتَ مجّها ذوقك لسلامته. وهبك سمعتَ في العامية: (عندي كثيرْ علىٰ صحني ولازم أكون فوق من انفتاق الفجر[1])، أيقبلها ذوقٌ سليمٌ؟ أيزعم عاقلٌ أن هذا كلام عربي؟ والمرء لا يستنكر هذه الأمور في العامية بقاعدةٍ وضعت له يُرجع إليها كما قالوا، وإنما بذوقه وسليقته. ولا تجد العاميَّ يحسن في بيان استنكاره لها إلا أن يقول: ما هكذا نتكلم. وهَب هذه الجملة معرَبةً بالعرنجية: (عندي شيءٌ كثيرٌ علىٰ صحني ولا بد أن أكون فوق من انفتاق الفجر)، لا تزال ممجوجةً نابيةً. وأهل (العرنجية) يشترطون في الكلام السليم أن تكون ألفاظه عربيةً، وإعرابه مستقيمًا، فهذا الكلام صحيحٌ علىٰ شرطهم. وإن ردَّه أصحاب العرنجية فإنما ردوه بالذوق، وما مجّه ذوقهم إلا لأنه لم يعتادوه، فكانت نكارته بيّنةً، ولو كَثُر وروده علىٰ الناس ودام زمانًا طويلًا لما رأىٰ أكثرهم فيه بأسًا، ولاستساغوه، بل لاستعمله كبار الكُتَّاب واستُحسِن منهم. فإذا قبل الذوق، سهل الاحتجاج بعد ذلك والتخريج، كأن يُقال في هذه العبارة إن قولنا (صحن) هنا استعمالٌ فصيحٌ، كما في الآية ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾، والفراء -وهو من أئمة اللغة- يقول: «نزل بساحتهم ونزل بهم سواء»، والصحن والساحة معناهما واحد، كما في اللسان: «الصحن: ساحةُ وَسْطِ الدار»، فبذلك يكون قولنا: (عندي بصحني أمور)، و(عندي أمور) سواء. وأما قولنا (فوق) بمعنىٰ الاستيقاظ، فتوليدٌ صحيح، وأين نحن من قول العرب: أفاق، وفي المقاييس: «فَوْق: يدلُّ علىٰ أَوْبة ورُجوع .... أفاقَ السَّكرانُ يُفيق، وذلك من أوبةِ عقلِه إليه»، ويجوز أن يُقال إن أهل العصر أرادوا

(١) هذه ترجمةٌ لفظيةٌ لقول الإنجليز: I have so much on my plate, so I have to be up from the crack of dawn. ومعناها: «عنديَّ أشغال كثيرة، فلا بد أن أصحو من الفجر.»

(فائق) وأخطؤوا التصريف. ووصف الفجر بالانفتاق قديم، كما في قول ذي الرمة -واصفًا طلوع الفجر-:

وقد لاحَ للساري الذي كَمَنَ السُّرىٰ — علىٰ أُخرياتِ اللَّيلِ فتقٌ مُشَهَّرُ

وليس والله يعجزنا فعل ذلك، وهو أيسر شيء، فنحصر العربية في تنوينِ آخر الكلمة وتصريفٍ للفظة كما يفعل بعض النحويين، ونتناسىٰ أن اللغةَ إنما هي في أصلها معانٍ واستعمالات وأساليب، فنميتها بإماتة ذلك كلِّه وتحريفه، ولا نبقي من اللغة إلا صورتَها وإعرابها، ثم نزعم أنَّ ذلك من إحياء اللغة وتجديدها، والله المستعان.

وأهل العرنجية لا يرضون بالذوق إذا احتججنا به، وهم مع ذلك يتعلقون به أشدَّ التعلق في الاحتجاج لما استعملوه من مولدات الترجمة وما وافق هواهم. فتجد المرء يقول مثلًا: (صنعتَ يومي) يقبلها ذوقي، والذوق حجة، فلا وجه لتخطئتها. فنقول: بل هو حجةٌ عليك، لأن الذوق قد يفسد لكثرة ورود الفاسد عليه حتىٰ يصير كالكوز المجخي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، فالمرء إن تعوَّد سماع: (عندي شيءٌ كثيرٌ علىٰ صحني)، قبلها ذوقه. فالذوق حجةٌ لمتشرِّبِ كلام العرب القح، المتبحبح في الفصيح، العارف بمواضع العجمة المتفطن لها، أما الكوز المجخي، فلا! ولا ندِّعي بذلك أنَّا صرنا من أهل الفصاحة كالعرب الأوائل، إلا أن المرء يجتهد ما استطاع إلىٰ تحصيل ملكةٍ في العربية جيدة، وذلك بالنظر في كلام الأوائل والصدر الأول من هذه الأمة.

قول بعضهم إن العربية تبدلت لتصلحَ لأحوال العصر

وزعم بعضهم أن ما وقع للعربية من تبدلٍ في هذا العصر إنما كان لأن الفصيحة لم تف بأغراض هذا العصر. وهذا كلامٌ لا معنىٰ له لأن أكثر ما حدثَ في العرنجية إنما هو من المعاني التي عبرت عنها العرب قديمًا، بل ربما عبَّرت عنها قبل الإسلام. ويرد من ذلك شيءٌ كثير جدًّا إن شاء الله، لا أقول يوقفك

علىٰ صحة ذلك، بل لا يدع في قبلك منه شكًّا. فترىٰ هذه التراكيب والاستعمالات الإفرنجية لا تُزاد في العربية لنقصٍ فيها، وإنما تأتي علىٰ الأصل العربيِّ -الذي يكون في القرآن والسنة وكلام العرب- وتميته، ثم تجعل محلَّه شيئًا إفرنجيًّا. بل إن بعض هذه التراكيب الفصيحة حيٌّ في كلام العامة مُمَات في العرنجية معدولٌ عنه، كقول بعض المعاصرين: «كان يبدو كما لو كان يكتشف عالمًا من الخيال لأول مرة»، فقوله (يبدو كما لو كان) إنما هو من قول الإنجليز seems as if he was. وهذا معنًى عبَّرت عنه العرب قديمًا بـ (كأنَّ)، ولا تزال تستعمله في عاميتها. وترىٰ الإنجليز إذا ترجموا قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ قالوا: (يبدو كما لو كان هو)، وإذا ترجموا وصف هند بن أبي هالة رضي الله عنه للنبي ﷺ: (يَمْشِي هَوْنًا، ذَرِيعُ الْمِشْيَةِ، إِذَا مَشَىٰ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ)، قالوا: (إذا مشىٰ بدا كما لو كان ينحط ..). فهذا المعنىٰ الذي أراده الكاتب من قوله «كان يبدو كما لو كان يكتشف ...»، سبقت إليه العرب قبل أكثر من ألف سنة، بل قبل الإسلام. فهي أغراضٌ قديمةٌ يُحسِنُ التعبيرَ عنها أعرابيٌّ حِلسُ خبائه، جليس شاته، وليست من حوادث هذا الزمان. فالعربية لم تُبدَّل لتبدل الزمان، وإنما هو مسخٌ وفَرْنَجة، وإحداث شيءٍ جديدٍ موافقٍ لكلام الإفرنج، وإماتةٌ لكلام العرب الموافق لكلام الله سبحانه وكلام نبيه. فليت شعري أين الأغراض التي زعموا أنَّها ألزمتهم هذا التبديل، فمسخوا لأجلها العربيةَ جميعًا، حتىٰ لم يدعوا منها إلا صورتها!

زعمهم أن في هذا المسخ إحياءً للعربيةِ وتجديدًا وجسارةً

وقد رأيتُ (العرنجيين) يرمون أصحاب الفصيحة -من أهل عصرنا ومن سبقهم- بالتقليد والبلادة والجمود ويتهمونهم بإماتة العربية لأنهم -بزعمهم- لا يجاوزون لغةَ الأوائل وليس لهم من الأمر شيء. أما العرنجيون فيرون أنهم جسروا علىٰ ما لم يجسر عليه هؤلاء من إعمال للذهن وتوليد للكلام ونفي

للوحشي عن العربية وإبداع للكلام فيها وتجديدها، وهذا -لعَمري- من أعجب القول. وسترىٰ فيما أورده من الشواهد أنهم أبلد الناس وأبعدهم عن إعمال الذهن، فهم يجيئون إلىٰ الكلام الأعجمي وينقلونه علىٰ حاله، فهم في اتِّباعٍ أيضًا، إلا أنَّا اتبعنا كلامَ الأوائل الفصيحَ الموافق لكلام الله وكلام نبيه واجتهدنا في إحيائه، وهم نزعوا منه اليد وأماتوه وتنكروا له ونبزوه بالوعورة والقِدَم تصريحًا أو تعريضًا، ثم أخذوا بأساليب الإفرنج واستعمالاتهم، واتبعوها حذو القذة بالقذة. وجسارتهم في ذلك كجسارة قائلٍ لو قال: (الـ research كان ok، لكن بعض الـ points ما كان الـ reference مذكور[1]).

ولَعمري ما صدقوا في ادِّعائهم الجسارة ولا الإحياء. وإنما الجسارة في هذا الزمان الأخذ بسَنَن العرب، ولا حياة للغة إلا بذلك. أما جسارة الآخذ بطريقة العرب فلغربته وتنكر الناس له، فما يكاد يكتب شيئًا أو يتكلم به إلا تكالب عليه السفهاء وعابوا عليه لغتَه واستجهلوه وسخروا منه وآذوه، ولا ينبئك مثل خبير[2]. وأما إحياؤه إياها فلوصله رحِمَها بعد أن قطعوها، ولردِّه إياها عربيةً قريبةً من عربية القرآن والحديث وعربية الأمة جيلًا بعد جيلٍ بعد أن فُرنِجَتْ ومُسِخت وأميت كثيرٌ مما فيها. فأي الفريقين أحيا العربية وأيُّهم أماتها! مالكم كيف تحكمون!

---

(١) ومعناها: لا بأس بالبحث، إلا أن بعضَ المسائل لم تُعزَ إلىٰ أصحابها.

(٢) وقد نفعني هؤلاء السفهاء بأذاهم نفعًا عظيمًا، فكانوا لي في تأليف هذا الكتاب الذي بين يديك كما كان أهل الجهل لابن حزمٍ رَحِمَهُ اللهُ حين قال: «انتفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة، وهي أنه توقد طبعي واحتدم خاطري وحمي فكري وتهيج نشاطي فكان ذلك سببًا إلىٰ تواليف لي عظيمة المنفعة ولولا استثارتهم ساكني واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التواليف»، وأسأل الله أن ينفع بكتابي هذا كما نفع بكتب ابن حزمٍ رَحِمَهُ اللهُ.

زعمهم أن في العرنجية تيسيرًا للغة المتقدمين وتقريبًا لها من أذهان الناس

ومن عجيب قولهم، قولُهم: إن العرنجية إنما هي لغة المتقدمين، وما فيها إلا أنها يُسرت للناس وذللت وقُرِّبت من أفهامهم، ونفيت عنها وعورة الفصيحة وتكلفها ووحشيها. وهذا خطأ من وجهين:

أولها: أنه ما هكذا يُقاس اليسر في اللغة. فإنك تقرأ في أخبار العرب أن الغلام كان يتكلم بالفصيحة سليقةً، وهو لم يتعلمها تعلمًّا وإنما نشأ عليها ويرىٰ الكلام بها أيسر شيء. وأنت يثقل عليك جدًّا تعلم اليابانية وهي علىٰ صبيان اليابان أسهل شيء. بل تجد الرجل من العجم إذا أراد تعلَّم العامية في بلدٍ من بلاد العرب، سلخَ من عمره سنين عددًا ولقي في تعلمه ذلك صَعَدًا، ثم لم يتقنها، وأنت تتكلم بها من غير تدبرٍ ولا إعمال فكر، وما ذلك إلا لتشربك إياها في الصغر. فأنتَ لم تستصعب اليابانية لصعوبتها في ذات نفسها ولم تستسهل غيرها لسهولتها في ذات نفسها، وإنما لأمورٍ كثيرةٍ أخرىٰ كأن تكون أخذتَ اللغة في صغرك أو لتقارب الأصول والألفاظ بين اللغة الأعجمية ولغتك وتعوُّد النفس علىٰ استماعها مدَّةً.

وكذلك العرنجية لم تستسهلها الناسُ لسهولتها، وإنما لاعتيادهم لها من صغرهم، فإن أكثر ما بأيدي الناس من كتب المدارس، وما يتداولونه من كتب الوعظ والإرشاد وتهذيب النفوس والفلسفة، إنما كُتب بالعرنجية، لا الفصيحة. وأكثر هذه الكراتين التي يشاهدها الصبيان إنما هي بالعرنجية، وحديثها فَرَنجيُّ الروح ليس له من العربية إلا صورة اللفظ. ولهذا استوحشت نفوسُ الناس من الكلام الفصيح الناصع، واستوعروه لا لوعورةٍ فيه، وإنما لقلة معاناتهم له.

وثانيها: أنك لا تدري ما يريدون بالوعورة والصعوبة، فإن كانوا أرادوا اطراح الوحشي، ودقائق النحو، فهذا لا نخالفهم فيه، وليس هذا خاصًّا

بالعرنجية. فإن الأوائل كانوا يذمون من يكثر من استعمال الغريب ويتكلفه ويجعله الغالب علىٰ كلامه، كما تعلم من أخبار أبي علقمة النحوي[1]. وكلام الأوائل في غالبه سهلٌ لا تكاد تجد فيه كلمةً لا تفهمها. أما إن أراد بالتيسير حالَ العربية التي صارت إليها من الجفاء والركاكة واستبدال أعجميٍّ مكان عربي، فليس هذا من التيسير في شيء، بل هو تحريفٌ للعربية وهجرٌ لها، ولو هجرَ (الفصحىٰ) ودوَّن بالعامية لكان أروح له وأقلَّ كلفة. ومن العجائب أنَّ كثيرًا مما يعيبه الجهال علىٰ الفصيحة، ويعدونه من التكلف والتقعر، موجودٌ في كلامهم العامي. لكن الذوق العرنجيَّ ينفر عن هذه التراكيب الفصيحة. فتجد الرجل مثلًا يستعمل النعتَ السببيَّ في كلامه العامي، فيقول: (أكلتْ أكلة لذيذْ طعمها)، أو يقول: (خالدْ أذكياءْ عيالُه)، فلا يُنكر عليه ولا يرىٰ ذلك منه تكلُّفًا. فإذا أعربتَها، واستعملتها في الكتابة، وقلت: (أكلتُ أكلةً لذيذًا طعمها)، و(خالدٌ أذكياءُ عيالُه)، قالوا: تقعَّرتَ ولم تيسر! علىٰ أنَّك وافقتَ سليقتهم العامية، لكنَّك أتيتَ بما يخالف سليقتهم الكتابية الإفرنجية.

---

(١) وأبو علقمة كان يتكلف الغريب في كلامه ويستكثر منه حتىٰ لا يكاد يُفهم، وله أخبار مستظرفة، كما في كتاب الصناعتين للعسكري (ص٢٨)، قال: «نظر رجل إلىٰ أبي علقمة، وتحته بغلٌ مصريٌّ حسن المنظر، فقال: إن كان مخبر هذا البغل كمنظره فقد كَمُل. فقال أبو علقمة: والله لقد خرجتُ عليه من مصر، فتنكبت الطريق مخافةَ السراق، وجور السلطان، فبينما أنا أسير فىٰ ليلة ظلماء قتماء طخياء مدلهمة حندس داجية، فىٰ صحصح أملس، إذ أحس بنبأةٍ من صوت نغر، أو طيران ضوع، أو نغض سبد، فحاص عن الطريق متنكبا لعزة نفسه، وفضل قوته، فبعثته باللجام فعسل، وحركته بالركاب فنسل. وانتعل الطريق يغتاله معتزمًا، والتحف الليل لا يهابه مظلمًا. فوالله ما شبهته إلا بظبية نافرة، تحفزها فتخاء شاغية . . . قال الرجل: ادع الله وسله أن يحشر هذا البغل معك يوم القيامة، قال: ولم؟ قال: ليُجِيزَك الصراط بطفرة».

البرهان على عجمة عربية هذا الزمان

قد قدمتُ بهذه المقدمة الطويلة، وكنتُ أتقلل فيها من ذكر الأمثلة علىٰ عجمة (الفصحىٰ المعاصرة) حتىٰ أستبقي ذلك لهذا القسم من الكتاب، وأجعله لبيان هذه العجمة بيانًا مفصلًا مبسوطًا، أحسبه يقفك -إن شاء الله- علىٰ حقيقة الأمر ويرفع عنك الشبهة، حتىٰ تعلم أن الخلاف ما هو في ألفاظٍ وتراكيبَ قليلةٍ دخلت العربية من كلام العجم، وإنما هو في أن العربيةَ كلَّها تبدلت.

وكنتُ أرىٰ كثيرًا ممن ألَّف في هذا الباب يجيء علىٰ مولداتٍ مشهورةٍ وينبه عليها، ولا يكاد يزيد عليها، كصنيعهم في (لعب دورًا) فهم يتناظرون فيها ويلتون ويعجنون أكثر من مئة سنة، كأن العربية لم يدخلها غير الدور الملعوب هذا. وآفة هذا الفعل -علىٰ ما فيه من الخير- أنه يبصِّرك بقليل، ويعميك عن كثيرٍ جدًّا. ولهذا ترىٰ كثيرًا من الكُتَّاب يتحامىٰ هذه الأساليب التي يَكثُرُ ذمُّها، ويقع فيما يضيق الإحصاء عنه من مولدات الترجمة، لأنها لم ترد في كتب (الأخطاء اللغوية) فلم يعرفها. وقد قرأت لبعض المتأدبين شيئًا أتىٰ فيه بصنوف العجمة وألوانها، إلا أنه لم يأتِ بهذه الألفاظ التي كثر التنبيه عليها، كأنما جعلها في ورقةٍ نصب عينه إذا كتبَ، فينظر في هذه الأخطاء فيحذر منها، ويرىٰ كل ما سواها صوابًا. بل رأيتُ أشدَّ من ذلك، رأيتُ من يؤلف في أخطاء المترجمين، وينبههم علىٰ (تمَّ إرسال الرسالة)، و(هذه تغذية راجعة)، وأضرابها من الأغلاط،

وهو يكتب بأسلوبٍ أعجميٍّ صِرف، لو قرأه العرب قبل زمن الترجمة لما فهموا منه كلمةً واحدة، ولسألوه: من أي العجم أنتَ؟

وسوف أعرج علىٰ جملة من أبواب اللغة، وأمثِّل فيها علىٰ التفرنج بقدرٍ يعرفك ما وقع من الفساد في العربية، من غير أن أستقصي العجمة كلَّها، فذلك مما تفنىٰ دونه الأعمار. وسأقسِّم الكلامَ ثلاثةَ أقسام، قسمًا في النحو والصرف، وقسمًا في الألفاظ، وقسمًا في الأساليب.

النحو

قال ابن جني في (الخصائص): «[النحو] هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها»[1].

فعلم النحو يبحث في تراكيب اللغة وموافقتها لسمت كلام العرب، وأهل العصر إذا ذكروا النحوَ كادوا يقصرونه على الإعراب ومسائلَ قليلةٍ غيره. وعاقبة هذا أنَّا صرنا نرى كتبًا مستقيمةَ الإعراب ليس فيها من خطأ في الإعراب، وهي مع ذلك أبعد شيءٍ من سمت كلام العرب الذي وُضِعَ النحو لأجله. وأهل العرنجية يخطئون في كثيرٍ من أبواب النحو كما سترى، ويخالفون في بعضها سمتَ العرب ويوافقون فيها سمتَ الإفرنج. والحق أني لم أرد الكلام في باب النحو، لأمرين:

أولهما أنه داخلٌ في ما كنتُ ذكرته أول الكتاب من أنَّ الناس تشتغل بمسائل النحو وتغفل عن ما هو أعظم منها شأنًا في العربية، أريد المعاني والاستعمالات والأساليب. والإعراب دون هذه في المرتبة، بل الأصل في الكلام المعاني والأساليب، والإعراب عارضٌ عليها. ولا تظنَّن ذلك تزهيدًا في

(١) ص٣٥.

علم النحو، بل شأنه عظيم، ولا يُفهم كلام الله إلا بمعرفة الإعراب، إلا إنه يكون -مع ذلك- عارضًا علىٰ الكلام، يزيد في المعنىٰ ويغير فيه وليس هو أصل المعنىٰ. فقولك: (ذهبَ رجلٌ من العراقِ إلىٰ اليمنِ في تجارةٍ له)، إنما تفهمه بفهمك هذه الألفاظ التي وضعتها العرب لهذه المعاني، والأساليب التي استعملتها لتعبر بها عن هذه المعاني، ثم يجيء النحو بعد ذلك ليزيد المعنىٰ بيانًا ووضوحًا ونصوعًا. وأكثر أهل زماننا يشتغلون بمسائل النحو هذه عند الكلام في العجمة، ولا يعجبهم الكلام في المعاني والأساليب وينكرون علىٰ من يخوض فيه، فتركوا الفاضل وأعرضوا عنه واشتغلوا بالمفضول. ولهذا لم أرد الكلام في مسائل النحو حتىٰ لا يقع مني ما كرهت منهم، إلا أني أوردتُ منه شيئًا يسيرًا لأبيِّن أنهم -علىٰ ولوعهم به- قد وقعوا في شيءٍ من التفرنج فيه.

وثانيهما لأنهم يقولون: (ما أخطأ نحويٌّ). فما تكاد تذكر شيئًا من الكلام الذي ينبو عنه الذوق، إلا نبشوا لك بطون الكتب تفتيشًا عن الشذوذات والتوجيهات التي تُسوِّغ اتباع سمتِ الإفرنج، لا يذكرونها رغبةً منهم في موافقة كلام العرب بل تفتيشًا عن المعاذير لاتباع سمت الإفرنج. وليست عجمة النحو علىٰ كلِّ حالٍ في جواز شيءٍ ومنعه، وإنما في مخالفة سمت الكلام وتراكيبه.

ولننظر إلىٰ شيءٍ من أبواب النحو التي وقع فيها التخليط:

النعت:

ذكر أبو الفداء في كتابه الكناش أن النعت: «تابعٌ يدل علىٰ معنىٰ في متبوعه أو متعلقه مطلقًا، والنعت والوصف والصفة ألفاظ مترادفة. ومثال النَّعت: جاءني رجل عالم، فعالم يدل علىٰ معنىٰ، وهو العلم في متبوعه»[1]. والإفرنج تتوسع في باب النعت توسعًا لا تتوسعه العرب، وقد تبعتِ العرنجيةُ لغاتِ الإفرنج في ذلك، فمنه:

---

(١) ص٢٤٤.

أنَّ الأصل في كلام العرب إذا أريدت المفاضلة بين مشترِكين في فعلٍ تفضيلًا مطلقًا أن يكون مضافًا ومضافًا إليه، كما في قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، وفي قوله ﷺ: (خَيرُكُم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ)، وكقولك -في فصيح وعاميّ-: ألذُّ أكلة المندي، وأقبح صفاتك البخل، وأفضل أصحاب النبي ﷺ أبو بكر وعمر. وأما الإفرنج فيستعملون في ذلك النعت فيقولون: (الشخص الأحرص، والشخص الأحسن، والأكلة الألذ، والصفة الأقبح والصاحب الأفضل). واستعمال الصفة والموصوف في التفضيل عند العرب قليل، وهم يستعملون النعتَ غالبًا لبيان أنَّ المذكور بلغَ الغاية في الصفة لا للمفاضلة حقيقةً، كما في قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، وقوله: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، فهذا النعت ليس فيه مفاضلةٌ بين طائفةٍ مشتركين في الصفة نفسها، وإنما يُراد بهذه الصيغة المبالغة هذه الصفات، وبيان أن الموصوف بلغ الغاية والكمال فيها، فأنتَ إذا سمعتَ: (العروة الوثقىٰ) لا يقع في ذهنك أن ثمة طائفةً من العرىٰ اشتركت في صفة الوثاقة، وهذه العروة أوثقها، وإنما تفهم منها أن هذه عروةٌ وثيقةٌ بلغت الغاية في الوثاقة.

وقد تستعمل العرب النعتَ للمفاضلة في بعض المواضع، إلا أنهم إذا فعلوا ذلك وافقوا بين الصفة والموصوف في التذكير والتأنيث والعدد. فلا يجوز في الفصيحة ولا في العامية قول: (الأمهات الكريم جلسن)، ولا بد من قول: (الأمهات الكريمات جلسن)، فتوافقَ بين الصفة والموصوف. فإذا أردتَ أن تستعمل صيغة التفضيل قلتَ علىٰ الأصل: (أكرم الأمهات جلسن)، أو جعلتَ اسم التفضيل صفةً واستعملتَ القياس فقلتَ: (الأمهات الكُرميات جلسن). أما الإنجليز فالصفة عندهم جامدةٌ لا تتبع موصوفها، وأهل العصر يترجمونها لفظيًّا، كما في قول بعضهم في ترجمة كتابٍ إنجليزي: «لكن الليالي الأطول، هي الليالي الباردة». وقد شاع هذا التركيب في كلام المعاصرين من غير ترجمة، كقول بعضهم: «كان من الطبيعي أن يدفع الرجال مبالغ طائلة للحصول علىٰ الفتيات الأجمل»، وكقول بعضهم: «ويُدعىٰ إلىٰ مائدة الوحدة القادة الأكبر ومن

بيدهم حل مشاكل الوحدة». واحتج بعضهم لذلك وجوَّزه[1]. ولو قيل في العامية: «دخل علينا البنات الأصغر»، لاستهجنه الناس ولعُدَّ أعجميًا لا خَلَاق له في العربية، وهو مع ذلك صحيحٌ علىٰ مذهب أهل العرنجية.

ومن الاستعمالات الإفرنجية للنعت، والتي اتبعتها العرنجيةُ فيها، أنهم يستعملون النعت إذا أرادوا إضافة أمرٍ إلىٰ أمر. فـ (مصر) مثلًا اسم علم، فإذا أرادت العرب أن تقول: الرئيس الذي يرأس مصر، أضافت الرئيس إلىٰ مصر، واستعملت صيغة الإضافة، وقالت: رئيس مصر. أما الإنجليز فيجعلونه صفةً وموصوف، فيقولون: الرئيس المصري، وهذا التركيب لا يلزم منه في العربية أن يكون رئيسًا لمصر، وإنما هو رئيسٍ لأمرٍ ما، وبلده مصر، كأن تقول: جاء رئيسا الجماعة، الرئيس المصري والرئيس الشامي. وليس تركيب (الرئيس المصري) بمعنىٰ (رئيس مصر) علىٰ سمت العرب وطريقتهم. وتأمل قول أبي حميدٍ الساعدي ﷺ: «أَهْدَىٰ مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْلَةً بَيْضَاءَ» وليس الملك الأيلي. والعجيب أني رأيتُ قومًا يجيئون إلىٰ التركيب في كلام المتقدمين، وهو علىٰ صيغة الإضافة، فيستعملون فيه صيغةَ النعت الإنجليزية. كقول بعضهم: «الطبقات المعتزلية»، أي: طبقاتُ المعتزلة، و«الطبقات الحنبلية»، أي: طبقات الحنابلة. ويقولون: شبه الجزيرة العربية، تبعًا للإفرنج، والعرب تقول: جزيرة العرب. ولو تأملتَ استعمال النعت في كلامهم محلَّ الإضافة لوجدته كثيرًا. وهو وإن كان له توجيهٌ، فإنه ليس علىٰ سمت العرب، وما غلَّب هذا الأسلوبَ إلا الترجمة.

ومن مواضع فَرْنَجةِ النعت: بيان جنس الشيء، والعرب تستعمل الإضافة وتستعمل (من) أيضًا. ومن ذلك حديث أنسٍ ﷺ أنه «رَأَىٰ عَلَىٰ أُمِّ كُلْثُومٍ ﷺ

---

(١) راجع مثلًا (معجم الصواب اللغوي): «اتفقت الدولتان الأعظم»، ج٢، ص٨٥٦، وفي نفس الكتاب ج٢ ص٩٥٥، ذِكرٌ لإجازة مجمع القاهرة استعمال التذكير والإفراد مطلقًا في هذا التفضيل المحلىٰ بـ (أل)، فتقول: هؤلاء الشيوخ الأكبر في الحي، وهذان الكتابان الأقدم للكاتب، وأنتن البنات الأحسن هناك، ونحو ذلك. وهذا كله -علىٰ هجنته- مبنيٌّ علىٰ باطل، وهو اتباع الإفرنج في استعمال النعت في التفضيل.

بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بُرْدَ حَرِيرٍ»، وهو في الترجمة الإنجليزية (بردًا حريريًّا). وفي قول ثابت بن أسلم أيضًا: «أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَدَحَ خَشَبٍ . . .». وفي حديث البراء بن عازبٍ، قال إن النبي ﷺ: «نَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمِ الذَّهَبِ، وَعَنْ آنِيَةِ الْفِضَّةِ». ومن العجائب أنك لا تجد أحدًا يقول في العامية: لبست ثوب صوفي وأكلت في صحن خشبي واشتريت خاتم حديدي، وإنما يتكلمون علىٰ طريقة العرب الفصيحة فيقولون: ثوب صوف وصحن خشب وخاتم حديد، كل ذلك بالإضافة. فإذا كتبوا تفرنجوا واستعملوا الصفة والموصوف وأنكروا غيرها، حتىٰ إني وجدتُ هذا التركيب في كتابٍ لبعض الأساتذة ألَّفه لتعليم العجم العربيةَ، وجعل (قميصًا حريريًّا) و(خاتمًا ذهبيًّا) مثالًا علىٰ كلام العرب!

ظرف الزمان:

ظرف الزمان يُراد به الزمان والحين والمدة التي حوت فعلًا، وهذا تعبر عنه العرب بالنصب، كأن تقول: (بِتُّ عند أحمد ليلتين) و(كنت أفتش عنه أيامًا)، و(قرأتُ ثلاثَ ساعات). ومثال الظرفية التي يُراد بها المدة من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، وقوله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾. أما الإنجليز فيلزمهم -إذا أرادوا التعبير عن هذه الظرفية- أن يستعملوا حرف جرٍّ، وهو حرف اللام (for)، فيقولون في ترجمة هاتين الآيتين: (لن تتمكن من التحدث إلىٰ الناس لثلاث ليالٍ)، و: (ألم تقم معنا لسنوات عديدة؟)[1].

فلما كثرت الترجمة من الإنجليزية كان المترجمون يرون for قبل الظرف، فجعلوا يترجمونها لفظيًا، ويقحمونها في كلامهم، حتىٰ ألفها الناس في العرنجية،

---

(١) إذا ذكرتُ كيف ترجم الإنجليز آيةً أو حديثًا أو شيئًا من كلام العرب، فإني أردُّه إلىٰ العربية كلِّه بترجمةٍ لفظيةٍ، وأحمِّر الشاهد، وقد يكون في الكلام غير الشاهد ما هو حقيقٌ بالتأمل فتأمله، فإني لا أذكره حتىٰ لا أخرج عن أصل الكلام.

وصار أئمتهم يصوبونها، ففي معجم الصواب اللغوي مثلًا: «(أقام عندهم لمدة يومين) صحيحة ... وقد وردت اللام بهذه الصورة في الأساسي»[1]. فاحتجَّ لصحتها بورودها في (المعجم الأساسي) وصاحب معجم الصواب هو صاحب الأساسي نفسه، فجعلَ نفسَه حجةً في كلام العرب!

والناس مع ذلك لو سمعوا في العامية رجلًا يقول: (نمتْ لْثلاثهْ ساعاتْ) لاستهجنوا استعمال اللام. اللهم إلا أن يتفاصح المتكلم، ويكسر اللام حتىٰ يكون كلامه خليطًا بين عاميٍّ و(فصحىٰ)، فيقول: «نمتْ لِثلاثهْ ساعات»، فتأمل كيف أتىٰ -وهو يتكلم بالعامية- بالكلام الفصيح الموافق لكلام الله سبحانه، فإذا أراد أن يُفصِح، مسخَ العربيةَ وفَرنجها.

حروف المعاني

ومن أثر التفرنج في (الفصحىٰ) تحريف كثيرٍ من حروف المعاني، كحروف الجر والعطف والشرط. وهذا بابٌ يتجاذبه النحو والمعاني. وقد كانت الناس تلحن في الحروف قديمًا، إلا أن لحنهم قليلٌ ولم يكن عامًّا فيهم. ومن الحروف التي فسد استعمالها كثيرًا في عصرنا: (أو). ومن ذلك ما ذكره شاكر اللبناني في كتابه (غصن لبنان) من أنهم صاروا يستعملون (أو)، ويريدون بها (أي) التفسيرية، كأن يُقال: هذا شرحٌ لعلم النحو، أو علم قوانين الكلام، ويُقال: أعظم العبادة التوحيد، أو إفراد الله بالعبادة. وليس في لغات الإفرنج (أي)، فاستعاضوا عنها بـ(or: أو)، كأنما يقولون للسامع أنتَ في الخيار بين الاسمين، اختر ما شئت. والعرنجية تستعمل (أو) أيضًا في عطف أمرٍ منفيٍّ، كقول بعضهم: «لن نترك رجلًا أو طفلًا»، وهذا تركيبٌ إنجليزي. والعرب تقول في مثل هذا المعنىٰ: (لن نترك رجلًا ولا طفلًا)، كقول الله تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا

---

(١) ص٦٤٢.

مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾، وقول أنس رضي الله عنه: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّابًا، وَلاَ فَحَّاشًا، وَلاَ لَعَّانًا»، والإنجليز يستعملون في ترجمة ذلك (أو). ومن ذلك استعمالهم (أو) في التسوية كالإفرنج، والعرب تستعمل فيها (أم)، كقول الله تعالىٰ: ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾، وأهل عصرنا يقولون كالإفرنج: سأذهب جاء أو لم يجئ. وقد يقع بعض هذا الخلط في كلام الأوائل، إلاأنه لم يكن عامًا كما ذكرتُ لك، ولم يغلب على الاستعمالات الفصيحة إلا بعد زمن التفرنج، وهذا كله تراه في حرفٍ واحد من حروف المعاني (أو)، فما ظنك بغيره!

ومن التفرنج في حروف المعاني أن المعنىٰ قد يُعبر عنه في العربية بحرف، وفي الإنجليزية بجملة ألفاظ، والعرنجية إمعة كما علمتَ، تتبع لغات الإفرنج. ومن ذلك أن العرب تقول (حتىٰ) كما في الحديث: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا، حَتَّىٰ يَقُولَ لأَخٍ لِي صَغِيرٍ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ..)، والعرنجية تقول كالإنجليز: (يخالطنا إلىٰ درجة أنه يسأل ...). والعرب تقول (علىٰ)، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾، والعرنجية تقول كالإفرنج: (يغفر للناس بالرغم من [حقيقة] أنهم ظالمون). والعرب تقول (إذا وإن)، كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾، والإنجليز تقول في هذا المعنىٰ: (ففي حال أنكم تبتم ....)، والعرنجية تتابعهم.

ومن التفرنج في حروف المعاني وضع ظرفٍ أو اسم مكان حرف، تبعًا للإنجليزية. فهم يستعملون (تجاه، ونحو) مثلًا في كثيرٍ من المواضع تبعًا للغات الإفرنج، كقول المعاصرين: يظهر الرحمة نحو كذا، وهو رحيم تجاه كذا، وهي من قول الإنجليز: show mercy towards، وbe merciful towards، والعرب لا تستعمل هذه الألفاظ، بل تدعها في المثال الأول وتستعمل الباء في الثاني، كما في الحديث: «أَتَرْحَمُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاللَّهُ أَرْحَمُ بِكَ»، وهي في الترجمة

الإنجليزية (أتظهر الرحمة نحوه؟ الله أكثر رحمة تجاهك)، فتأمل كيف عبَّرت العرنجية بنفس التعبير الإنجليزي، أقصد «يظهر الرحمة نحو وتجاه»، وتركت التعبير العربيَّ وهو أفصح وأوجز، بل هو المستعمل في كلام العامة. ومنها أنهم يستعملون (من خلال) و(عبر) محلَّ الباء، كقول بعضهم: «ويُستدل علىٰ ذلك من خلال تلاصق الوحدات السكنية»، وقصده: يستدل بتلاصق المساكن[1]. ومثل قول بعضهم: «أشكره لما أثاره عبر مقاله من قضايا أدبية»، يريد: بمقاله. وكل ذلك من through. ومنها (ضد) يستعملونه محلَّ (علىٰ) كقول بعضهم: «يطلب المساعدة ضد أخيه من الأمراء»، يريد يستعين بالأمراء علىٰ أخيه. ويستعملون (ضد) محلَّ (من)، كقول بعضهم: «التحذير ضد الأخطاء والانحرافات قبل وقوعها»، يريد (التحذير من)، والإنجليز هم من يقول (يحذر ضد against). ولفظة (ضد) أصلًا ليست حرف جرٍّ في العربية!

وهذا طرفٌ يسير من فَرْنَجةِ نحوِ العرنجية.

(١) وقوله (وحدة سكنية) من تفرنج الألفاظ، ويرد في بابه.

الإماتة والاستحياء والتغليب

وهذه مسألةٌ دقيقةٌ لم أرَ مَن نبَّه عليها وذكرها، فلزمني أن أطيل بعض الشيء في شرحها. وحتىٰ أبين لك ما أريد بالإماتة والاستحياء:

اعلم أن الكتبَ المترجَمة إنما تُترجم عن لغةٍ إفرنجية كالفرنسية والإنجليزية، وهذه اللغة الإفرنجية لربما كانت خِلوًا من تركيبٍ أو لفظٍ عربيٍّ، كالنعت السببي، فلا أعلم في كلام الإنجليز نعتًا سببيًّا، كقولك: أولئك قومٌ كثيرةٌ أفضالهم عليَّ، رحبةٌ صدورهم، عالية هممهم، والمعنىٰ أن أفضالهم كثيرة وصدورهم رحبة وهممهم عالية، إلا أن الصفة سبقت الموصوف. فهَب أن غلامًا جعل يقرأ في الكتب المترجمة مُذ تعلَّمَ القراءة، ولم يرَ في كتابٍ واحدٍ منها (نعتًا سببيًّا)، أو رآه مرةً أو مرتين، أتراه يستعمله؟ لا بد من لا. وهذا الذي أريده، بعض الألفاظ والتراكيب لا تكون في كلام الإفرنج، فلا يخطر ببال المترجم أن يستعملها لأنه لا يراها في الكلام الإنجليزي أو الفرنسي، وقد بينتُ لك في أول الكتاب كيف كان الناس بعد عصر الترجمة يُحصلون ملكاتهم من الكتب المترجمة، فيكتبون بهذه الملكة، فخلت (الفصحىٰ المعاصرة) مما لم يكن في لغات الإفرنج، أو قلَّ استعماله جدًّا حتىٰ كاد يكون مفقودًا، ولا يلزم عند ذكر الإماتة أن يُفقد بالكلية. وهم لا يتعمدون بذلك إماتة هذه الألفاظ والتراكيب، وإنما هم أدَّوا ما كانوا يقرؤون.

وأنا لا أحدِّثك ها هنا عن تراكيبَ وأساليبَ وألفاظٍ درسَ استعمالها من قديم، وإنما أحدثك عن استعمالاتٍ كانت العرب تستعملها حتىٰ قُبيل زمن الترجمة، بل لربما كان بعضها مستعملًا معروفًا في كلام العامة، لا سيما عامة جزيرة العرب، ومن ذلك نون النسوة، ونحوها، إلا أنك لا تراه في العرنجية.

هذا الذي أردته بالإماتة.

والاستحياء ما أُبقي عليه ولم يُمَت لوجوده في كلام الإفرنج. فالمعنىٰ قد يُعبر عنه بجملةٍ من الأساليب والتراكيب والألفاظ، بعضها موافقٌ لكلام الإفرنج، فترىٰ الذي يُستحيا من هذه الألفاظ والتراكيب هو ما كان موجودًا في كلام الإفرنج. وهذا وإن كان استعمالًا صحيحًا في العربية إلا أنه لم يُستحيَ ويُترك -غالبًا- لصحته، بل لموافقته كلام الإفرنج.

والتغليب فيه قدرٌ زائدٌ علىٰ الاستحياء، وهو أن يُغلَّب في العرنجية ما كان موافقًا لكلام الإفرنج، ويقل استعمال غيره، وربما كان المغلَّبُ قليل الورود في كلام العرب خاملًا نادرًا، والمغلوب هو الأصل في كلامهم.

وأذكر لك ها هنا أمثلةً علىٰ الإماتة والاستحياء والتغليب في باب النحو.

النعت السببي

لما مثَّلتُ في هذه المقدمة بالنعت السببي، حَسُن الابتداء به. ومن أمثلة النعت السببي في القرآن قوله تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾، ومن أمثلته في السنة قوله ﷺ في البحر: «هو الطَّهُورُ ماؤُهُ الحِلُّ مَيتَتُهُ». وفي حديثٍ أن النبي ﷺ جمع الأنصار فقال: «مَا كَانَ حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ». قَالَ لَهُ فُقَهَاؤُهُمْ: «أَمَّا ذَوُو آرَائِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا يَغْفِرُ اللَّهُ

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُ الأَنْصَارَ، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ وَتَرْجِعُونَ إِلَىٰ رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . . .» ولم يزل النعت السببي مستعملًا عند المتأخرين عفوًا، بل كان النعت السببي مستعملًا في كلام المتقدمين في عصر الترجمة. كما في كتاب روض القلوب المستطاب لحسن رضوان (ت: ١٣١٠هـ)، قال: «وهو مقام النفس الملهَمة، وهو مقامٌ خطيرٌ جدًّا، صعبٌ سيره، كثيرةٌ آفاته . . .»[١]. بل تراه كثيرًا في كلام نصارىٰ ذلك العصر عفوًا من غير تكلُّفٍ، كما في قول وردةَ اليازجيَّة (ت: ١٣٤٢هـ) في شعرٍ لها وهي بعدُ صغيرة:

يـا أيـهـا الحـبـر الجـلـيـل مـقـامـه هـل بـعـد فـقـدك غـيـر دمـعٍ جـار[٢]

وكما في قول لويس شيخو (ت: ١٣٤٦): «ومنهم كثيرون مقطوعة أخبارهم عنا»[٣].

إلا أنك إذا تأملت من جاء بعدهم -ونشأ بعد وقت عموم التفرنج الذي ذكرتُه لك-، رأيتَ النعتَ السببي قليلًا في كلامهم. وقد أقرأتُ غيرَ واحدٍ كلامًا فيه نعتٌ سببيٌّ، فاستوحش منه واستنكره، مع أنه واردٌ في القرآن والسنة ويكثر وروده في كلام سلفنا. وما ذلك إلا لأن النفوس تعودت كلام المعاصرين المتفرنج، ولا أعرف في الإنجليزية نعتًا سببيًا، وإنما فيها شيءٌ قريبٌ من الصفة المشبهة، كقول شارلز دكنز: «And the red-haired man, who was an important-looking, sharp-nosed. . .» أي: (أما الرجل الأحمرُ الشعرِ، الذي كان عظيم المنظر، حادَّ الأنف) والصفة المشبهة هذه مما قلَّ استعماله في العربية لأنه قليلٌ

(١) ص٣٧.

(٢) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، ص٤٢١.

(٣) تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، ص٤٦٧.

نادرٌ في كلام الإنجليز. أما النعت السببي فليس في الإنجليزية، ويعبر عنه الإنجليز بـ of، ففي ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ يقولون: (ثمار بألوان مختلفة). أو يستعملون الأسماء الموصولة كـ which وwhose، كما في ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾، يقولون: (القرية التي أهلها ظالمون). فكان النعت السببي لذلك داخلًا في باب الإماتة والتقليل تبعًا للغات الإفرنج.

التنكير

التنكير يُراد به ألا يُعرَّف الأمر ولا يُعيَّن. والتنكير يقع علىٰ الألفاظ بالتنوين. ومن أمثلته في القرآن قوله سبحانه: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾. ومثاله من السنة، قوله ﷺ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ . . .» وقول أمةَ بنت خالدٍ ﵄: «أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ . . .»، وفي حديث أنسٍ ﵁ أنه قال: «أَتَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَىٰ غِلْمَانٍ يَلْعَبُونَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ». والمعنىٰ من التنوين هنا أن الغلمان لم يعيَّنوا ولم يعرَّفوا، وهذا المعنىٰ لا يكون في لغات الإفرنج إلا بلفظة (بعض). ولهذا تراهم في ترجمة هذه الآيات والأحاديث يقدمون بين يدي اللفظة المنكرة قولهم: some. فيقولون: كان هناك بعض الرجال من الجن، وفي اليوم الذي تصبح فيه بعض الوجوه سوداء، وأعلمك بعض الكلمات، وأُحضر له بعض الثياب، ومر ببعض الغلمان، وهكذا. وهذا الأسلوب في التنكير صحيح، إلا أنه كان قليلًا في كلام العرب، وهو الآن الأصل والغالب علىٰ كلام الناس، فتراهم يقولون: أُعجِبَ بعضُ الناس بكذا، واقتنيت بعض الكتب من مكة، وقليلًا

ما يقولون: أعجب ناسٌ بأمر كذا، واقتنيتُ كتبًا من مكة. ومثله التنكير فيما تسميه الإفرنج الأسماء غير المعدودة، مثل: الماء، والقهوة، والطعام، والمال، والوجع، والوقت، وهذه تجد الغالب فيها التنكير بالتنوين في كلام المتقدمين، فيقولون: سقاه ماءً، سكنتُ بمكة وقتًا، سألته مالًا، أما الغالب في كلام العصريين فموافقة الإفرنج، فيقولون: بعض الماء وبعض الوقت وبعض المال. وهذا هو معنىٰ الاستحياء والتغليب، استحيي من الأسلوبين ما وافق أساليب الإفرنج، وقلَّ صاحبه حتىٰ كاد يُمات. مع أن العامة إذا أراد التنكير وافقت الأسلوب المشهور عند المتقدمين، فيقولون: صب لي ماء، وجلست وقت أنتظرك في المسجد، وجانا أمس رجال من مكة، ولا تكاد تسمع أحدًا يقول (جلستْ بعض الوقت أنتظرك) إلا إذا تفاصح وتعرنج.

حروف الاستقبال

ومن التفرنج في حروف المعاني وتغليب استعمال حرفٍ لأنه يُستعمل في كلام الإفرنج: إسرافهم في استعمال (السين وسوف) للاستقبال. والعرنجية تستعملها في مواضع كثيرةٍ علىٰ طريقة الإفرنج، واستعمالها جائز، إلا أنه خلاف الأصل والمشهور في هذا المعنىٰ، فغُلِّب القليل علىٰ الكثير لموافقته كلام الإنجليز، وقلَّ الغالب لفقدانه من كلام الإفرنج. وحتىٰ أبين لك ذلك، هذه خمس آياتٍ من سورة البقرة وردت في ترجمتها الإنجليزية حروف استقبال مع أن العربية ليس فيها حرف استقبال:

ترجمة الكلام الإنجليزي لفظيًّا	ترجمتها الإنجليزية	الآية
إذا حذرتهم أو لا، هم سوف لن يؤمنوا.	whether you warn them or not: they will not believe.	﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
منحكم الحياة. ثم سيجعلكم تموتون، ثم سيعيدكم إلىٰ الحياة، ثم سيتم إرجاعكم إليه	He gave you life; then He will make you die, and then He will bring you back to life, and then to Him you will be returned	﴿فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
الذين يؤمنون أنهم سيلقون ربهم، وأنهم سيعودون إليه.	Who believe they will meet their Lord, and that they will return to Him.	﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾
عذابهم سوف لن يخفض وسوف لن يُساعدوا	their punishment will not be reduced, nor will they be helped.	﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾
ستجدهم بالتأكيد الأكثر حرصًا علىٰ العيش	You will definitely find the people most eager to live	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾

وجرِّب أن تعمد إلىٰ شيءٍ من تراجم القرآن أو الحديث الإنجليزية وتنظر في المواضع التي وردت فيها will، حتىٰ تتبين بنفسك. وتأمل كلام السابقين لعصر الترجمة ترىٰ فيه قلة (السين وسوف)، مع كثرته في كلام المعاصرين كثرةً بيِّنة.

الحصر

وأما الحصر فيُراد به إثبات الحكم لأمرٍ ونفيه عما سواه. وقد قلَّ الاستعمال الفصيح لهذا المعنىٰ عند المعاصرين. وأسلوب الحصر قد يكون بـ (إلا)، كقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، فأنتَ قصرتَ وقوع الخداع عليهم، وقد يكون الحصر بـ (إنما) كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾، وهي تعني ما أنتَ إلا منذر. والحصر يُعبر عنه غالبًا في كلام الإنجليز بكلمة only، أي: (فقط). والإنجليز يقولون في ترجمة هاتين الآيتين: (يخدعون أنفسهم فقط) و(أنت فقط منذر)، وهذه موافقةٌ لأسلوب العرنجية. واستعمال (فقط) للحصر لا تكاد تجده في الكلام الفصيح، وهو مع ذلك الأصل الغالب في كلام المعاصرين، أما الاستعمال الفصيح فكادوا يميتونه. وانظر في هذه الأحاديث التي ورد فيها أسلوب الحصر، وتُرجم في الإنجليزية بـ (only، أي: فقط)، كقوله ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدْ إِلَّا جَذَعًا فَاذْبَحْ»، وفي حديثه: «إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ»، وقوله ﷺ: «إِنِّي لاَ أَقُولُ إِلا حَقًّا» قال الإنجليز في ترجمتها: (إذا كان بإمكانك فقط العثور علىٰ جذع . . .) و(الحرير يُلبس فقط مِن قبل ليس له خلاق)، و(أنا فقط أقول الحقيقة).

الصرف

ذكر عبدالقاهر الجرجاني أن التصريفَ: «هو أنْ تُصرِّفَ الكلمةَ المفردة، فتتولد منها ألفاظ مختلفة، ومعانٍ متفاوتة»[١]. ومن ذلك أن تجيء بكلمة (كتَبَ) في الماضي، فتغير بناء الكلمة إلىٰ كاتب، فتولد منها لفظًا جديدًا له معنًى مختلف، فالأول فعلٌ ماضٍ، والثاني اسم فاعل.

ولعل أقلَّ أبواب اللغة تفرنجًا باب الصرف، ويغلب عليه الإماتة والتغليب، وأورد لك من ذلك شيئًا قليلًا، فمنه:

العدول عن الفعل إلىٰ خبر كان وأخواتها

في كلام الإفرنج صفاتٌ لا يُصرَّف منها فعل، فاضطروا إلىٰ استعمال ألفاظٍ قبلها إذا أرادوا أن يقولوا فعلَ كذا، أو افعل كذا، وتابعتهم في ذلك العرنجية، فحجَّرت سَعة العربية وألحقتها بضيق الإنجليزية. فمن ذلك أن الإنجليزية لا يجوز فيها اشتقاق فعلٍ من القسوة والفخر والجمال والكِبَر وصفاتٍ مثل ذلك، فيقولون: (أصبح قلبه قاسيًا، ويحق لنا أن نكون فخورين بهذا الكتاب، لن تكون قادرًا علىٰ السفر إلا إذا صرت كبيرًا). وليس هذا من طريقة العرب في الكلام،

---

(١) المفتاح في الصرف، ص٢٧.

وإنما هو من أثر التفرنج. ولا تزال الناس في عاميتها تقول: قسا قلبه، ونفخر بكتاب كذا، وما تقدر تسافر إلا إذا كبرت. فإذا أرادوا التفاصح قالوا مثل قول الإفرنج، ويحسبونه فصيحًا.

وليس في كلام الإفرنج أيضًا فعلُ أمرٍ لكثيرٍ من الأفعال، فلا يجوز في لغتهم أن تقول: اصبر، واصدق صاحبَك، وارضَ، ولا تتأخر، ولا تتكبر، وغيرها من الأفعال. فيقولون: كن صابرًا، كن صادقًا مع صاحبك، وكن راضيًا، ولا تكن متأخرًا، أو لا تجئ متأخرًا، ولا تكن متكبرًا، وتابعتهم العرنجية علىٰ ذلك. وهذه لا يُراد بها نهيه أن تكون صفته الكِبر أو أمره بأن تكون حاله الصدق، وإنما يُراد بها الأمر بالصدق في قول، والأمر بالرضا، وهذه يُعبَّر عنها في كلام العرب الفصيح البليغ بفعل الأمر دون الحاجة إلىٰ هذه الوسائط، كما في الحديث: «لَا تَفْتَخِرُوا بِآبَائِكُم الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ . . .»، بدل: لا تكونوا مفتخرين، وفي حديث النعمان أن أمه قالت لأبيه رضي الله عنهم جميعًا: «لَا أَرْضَىٰ حَتَّىٰ تُشْهِدَ رَسُولَ الله ﷺ». بدل: لن أكون راضية، وكحديث عثمان رضي الله عنه إذ قال: (إِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَصْدُقُونِي)، بدل: أحب أن تكونوا صادقين معي.

اسم التفضيل

ومن الصيغ التي تشتقها العرب من جذر الكلمة: صيغة التفضيل، وهي أنك إذا أردت المفاضلة بين اثنين في أمرٍ، وكان الفعل الماضي منه ثلاثيًا، أي من ثلاثة أحرف، مثل: عَلِمَ، وجَمُلَ، وحَمُقَ، وقَدَرَ، وعَجِلَ، استعملتَ صيغة: (أفعل). فتقول: فلانٌ أعلم من فلان، وأجمل، وأقدر، وأحمق، وأعجل، وقس علىٰ ذلك. وأما إذا كان الفعل من غير الثلاثي، زدت كلمةً، كأشدَّ وأعظم وأكثر، فتقول: فلان أشدُّ تواضعًا من فلان، وكان فلانٌ أشدَّ الناس بلاءً.

إلا أن لغات الإفرنج تجيء علىٰ كثيرٍ من هذه الأفعال الثلاثية، وتزيد فيها كلمةَ more، أي (أكثر) لأنه لا يصلح في كلامها أن تشتق منها اسم تفضيل. ولذلك لما ترجمت الإنجليز قوله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ قالوا: الساعة أكثر كارثية ومرارةً. ولما ترجموا قوله ﷺ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»، قالوا في ترجمته: (الأكثر رحمة، والأكثر شدَّة، القارئ الأحسن، والأكثر علمًا ...». فيزيدون لفظة (أكثر) في ذلك كله، وشاع بين الناس هذا الاستعمال من الترجمة، حتىٰ غلب علىٰ الأصل، مع أنك لا تسمع أحدًا في العامية يقول: هي أكثر جمالًا مني، أو أنا أكثر لطفًا، فإذا تفاصحوا تأجلزوا.

التعدية

ومما يتصل بتصريف الأفعال: صيغة التعدية. وهي أن يُزاد في أول الفعل همزة، كـ (أنامَ وأضحك) من نام وضحك، أو يضعَّف الفعل ويشدَّد، كـ (نوَّمه وبكَّاه)، أي جعله ينام وجعله يبكي، أي أنه لا يفعل فعل النوم من تِلقاء نفسه، وإنما حُمل عليه. وليس في كلام الإفرنج صيغة تعدية، وإنما يُعبر عنها بألفاظٍ كقولهم: (جعل). فيقولون: جعلتُ الولدَ ينام. وأمثلة التعدية كثيرة في الكلام الفصيح، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ والإنجليزية تقول في ترجمة هذه الآية: جعله يضحك، وجعله يبكي. ولو نظرتَ في كلام المعاصرين لرأيت التعدية فيه بـ (جعل) كثيرةً غالبة، وأسلوبَ التعدية قليلًا في كلامهم، فيقولون: جعله يخرج، وجعله يدخل، وجعله يموت، وجعله ينسىٰ، وجعله يفرح، وجعل صبره ينفد، وجعله يستعجل، ونحو ذلك.

صيغة التشارك

من الصيغ الصرفية في العربية قولهم (تفاعل)، يُراد بها تشارك أمرين في الفعل. كقولنا: تضاربا، وتحابَّا، أي ضرب بعضهم بعضًا، وأحب أحدُهم الآخرَ. وكلام الإفرنج ليس فيه هذه الصيغة، فيلزمهم أن يستعملوا جملةً شارحةً، كأن يقال: ضرب بعضهم بعضًا، أو تضاربوا مع بعضهم، أو أحب أحدٌ الآخر، أو أحبوا بعضًا بتبادل، أو بشكل متبادل، وهكذا. وبعض هذه الاستعمالات الإفرنجية قد تكون صحيحةً في كلام العرب، كقولهم: (شاور بعضهم بعضًا في أمر كذا) إلا أن الأصل الغالب استعمال صيغة المشاركة (تشاوروا في كذا)، وهي الواردة في القرآن والسنة، كقول الله تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ وقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾، وكقوله ﷺ: «لاَ تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا». ولا تزال العامة تستعمل صيغة المشاركة، كأن تقول: (تعاونَّا في كذا وتساعدنا، وتشاورنا فيه، وكانوا يتسابون ويتنابزون). وغلب الاستعمال الإفرنجي في الفصحىٰ المعاصرة علىٰ الاستعمال العربي.

ويقع في هذا الباب خلطٌ كثير، كقول بعض المعاصرين: «ولكنهم تحالفوا مع بعضهم البعض ضد الإسلام والمسلمين». ولا حاجة إلىٰ زيادة (بعضهم البعض) لأنها مضمنةٌ في صيغة التشارك، وزيادة (مع) إفرنجيةٌ من قولهم: with each other. فكأن المرء إذا استعمل صيغة التشارك رآها قاصرةً عن المعنىٰ، لأن نفسه تنازعه إلىٰ تراكيب الإفرنج ولا تجد في تراكيب العرب غناءها، فيزيد with each other، أي مع بعضهم البعض. والإنجليز يستعملون هذا التركيب في ترجمتهم للحديث: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ يَسَعُهُمَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ وَيَتَعَاوَنَانِ عَلَىٰ الْفُتَّانِ (يتعاونون مع بعضهم البعض ضد الفتان)». فوافقَ العصريُّ كلام الإفرنج وخالف كلام النبي ﷺ، بل خالف كلامه في العامية.

ومن الصيغ الصرفية شيءٌ كثيرٌ غير ذلك قلَّ استعماله عند المعاصرين أو أميت، وهذه الصيغ لا تكون غالبًا في الإنجليزية. ومن ذلك صيغة التعظيم والمبالغة كقولك: أكول، وصبور، وعجول، ونوَّام، وأكَّال، وبسَّام، وضحَّاك، وبكَّاء، ولا تزال العامة تستعملها وتبدع فيها كأن تقول: هو نقَّالٌ للسر، وهذا بيَّاع تمر، وفلان كذوب، ولعَّاب. والإنجليز إنما يعبرون عن هذا المعنىٰ بالألفاظ، فتجدهم في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ يقولون: (الذي يحلف كثيرًا، أو الذي يحلف باستمرار، أو الذي يحلف بشكل معتاد . . .) ويقولون: (الذي يغتاب الناس باستمرار، أو الذي هو نشط في تشويه سمعة الآخرين، أو الشخص الشاتِم بإفراط . . .) ونحو ذلك في بقية ألفاظ المبالغة هذه الآيات. ومن ذلك أيضًا أن الإنجليزية ليس فيها اسم فاعل لأفعالٍ كثيرة، فيستعملون محلها الفعل، فتراهم يترجمون الأسماء في هذه الآيات بأفعال: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ (أتخذ قرارا) و﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ﴾ (لن تتبع قبلتهم ولن يتبع أحد منهم قبلة الآخر) و﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (لن تعجزوا . . . سوف يخزي). والمرء إذا استعمل اسم الفاعل في كتابته رموه بالتكلف، والتكلُّف عندهم -في حقيقته- مخالفة أساليب الإفرنج في الكتابة. فليس استعمال اسم الفاعل تكلُّفًا علىٰ الحقيقة، بل إن العامة ما زالت تكثر من استعماله في كلامها، فتقول -مع ترك الإعراب-: فلان بكَّاء، وما أنا بمادّ يدي لأحد، ماني بقايلٍ له شيء، وماني مكلِّمه بعد ما تركنا، وأنا طالبك في أمر، وأنا سائلك بالله، وهكذا[1]. ومن هذه الصيغ الصرفية صيغة التصغير،

(١) ومن الطرائف في اسم الفاعل ما ذكره الشدياق في كتابه (المخبا) لمَّا ترجم الإنجيل أيامَ نصرانيته، فقال في المستشرق الذي كان يراجع الترجمة من بعده (ص٧١): «ومن أشد وساوسه تجنبه للسجع والتركيب الفصيح غاية ما أمكن، وحتىٰ إنه زعم أن ما في الترجمة من قوله: (خرجتم إليَّ بعصيٍّ كَلِصّ) سجع وحاول تغييرها . . . ووجد عبارةً أخرىٰ وهي: (وما أولئك بعابرين من هناك إلينا)، فقال: هذا التركيب فصيح فبدل عابرين بيعبرون». وهذا يفهمك لأيِّ شيءٍ كان الرافعي رحمه الله يقول إنهم يريدونه أن يعدِلَ عن الجملة القرآنية إلىٰ الجملة الإنجيلية.

وما زالت العامة تستعملها كثيرًا، كأن تقول بسيسة تصغير بس، ووُليد، تصغير ولد، وسويلفة، تصغير سالفة، ولحيمة، تصغير لحمة، وغنيمات، تقليل للغنم، ونحو ذلك، وهم يبدعون فيها ولا يلزمون ما سُبقوا إليه. إلا أن استعمالها قلَّ جدًّا في (العرنجية)، لأنك لا تجدها في الإنجليزية، وإنما يستعمل الإنجليز في ترجمة هذه المعاني ألفاظًا كـ(صغير) و(قليل) ونحو لك، والعرنجية تصنع مثلهم. ولو تتبعت كلَّ صيغة صرفية قلَّ استعمالها في العرنجية، لرأيتَ أنها غير موجودة في كلام الإنجليز غالبًا.

متن اللغة

يُراد بمتن اللغة: ما حوته المعاجم التي بأيدي الناس من كلام العرب وما وضعوه من الألفاظ للتعبير عن معاني الكلام. وهذا الباب من أكثر ما أفسدته الترجمة.

وهذا الباب لسَعته صرتَ لا تدري من أين تأتيه، فلعلي أجعله في أربعة فصولٍ تبصِّرك بتغلغل كلام الإفرنج في لغتنا. فأبتدئ بذكر المدخل الذي أدخل علينا هذا الخلط وباعد بيننا وبيننا كلام العرب وألفاظهم، ثم أثنّي ببيان خفائه وتغلغله، ثم أذكر شيئًا من هذه المولدات من كلام المعاصرين غيرَ مريدٍ لاستقصائها وإنما لتعلم تفشيها وكثرتها، وما لا يُدرك كلُّه لا يُترك كله. ثم أختم بذكر مَوَات الألفاظ لغَلَبةِ التفرنج علىٰ اللغة.

وقد يدخل في هذا الباب شيءٌ من ذكر الأساليب، لتعلق هذه الأبواب بعضها ببعض.

مداخل التفرنج

لما تكلمت في عصر الترجمة وطبقةِ رفاعةَ فمن بعده، ذكرتُ لك شيئًا مما يُدخل هذه العجمةَ، ولا بأس بإعادة شيءٍ من ذلك توطئةً لما يجيء بعده.

اعلم أن كلَّ أهل لغةٍ يعبرون عن أغراضهم بألفاظٍ مختلفة، ويشتقون من أصول الألفاظ ما لا تشتقه سائر الأمم. فمن ذلك في العربية (العَقد)، فأصله

عقدُ الشيء، كعقد الحبل وشدِّه وإيثاقه. وهذا يناظره في كلام الإنجليز الـ knot، أو نحوه. إلا أن العرب توسعت في استعمالها فاشتقت من هذا الأصل العقيدة والاعتقاد، وفي المصباح المنير: «اعتقدت كذا: عقدتُ عليه القلبَ والضميرَ، حتىٰ قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك»[1]. إلا أنَّ هذا الاشتقاق لا يصلح في الإنجليزية، وإنما يشتقون اشتقاقاتٍ غيره. فهَبْ أنَّ العربيةَ كانت اللغة الغالبةَ علىٰ الدنيا، وترجمَ الإنجليز (العقائد) ترجمةً لفظيةً فقالوا: knots، ثمَّ ذاع الاستعمال عند كُتَّابهم وصار أشهر من قولهم beliefs (إيمانات) وtenets (محمولات) وdoctrines (تعليمات)، فيقولون: he has strange knots، هكذا تُنزع من اللغات أرواحها وتتلبَّس أجسادَها أرواحٌ جديدة، فلا يكون لها إلا صورة الجسد.

وأضرب لك مثالًا بيِّنًا مما دخل العربيةَ من اشتقاقات الإنجليز، وذلك قولهم: (negative and positive). هاتان اللفظتان لهما أصلٌ لغوي في الإنجليزية، وهو النفي والإثبات، كما في معجم أمركن هرتج: «الـ negative هو أن يُعبر بالكلام نفيُ الشيء وردُّه وإنكاره». و«الـ positive: أن يتصف الكلام باليقين والقَبول والإثبات». وهذه المعاني يناظرها في العربية النفي والإثبات. وهي في الاصطلاح السلب والإيجاب أيضًا، ومن ذلك ما رواه التوحيدي في المقابسات عن أبي سليمان السجستاني (ت: ٣٨٠هـ): «السلب هو نفي شيء من شيء، والإيجاب هو إثبات شيء لشيء»[2]. فكانت الـ negative والـ positive بذلك تناظر السلب والإيجاب. إلا أن الإنجليز توسعوا في استعمال هاتين اللفظتين التي تناظر (السلب والإيجاب)، فوضعوها لغير هذا المعنىٰ، فالإنجليز مثلًا تستعملها للأمر الحسن والأمر السيئ، فيقولون سلبية وسلبيات وإيجابية وإيجابيات، يريدون محاسن الشيء ومساويه، ومحامده ومعايبه، وفضائله ورذائله، ومثالبه وآفاته،

---

(١) ج٢، ص٤٢١.

(٢) ص٢٨٤.

ونحو ذلك من الألفاظ. وركَّبَ الإنجليز من اشتقاقهم هذا تراكيبَ فقالوا: آثار سلبية، وتداعيات سلبية، يريدون: يريدون آثار سوء ومفاسد. والإنجليز أيضًا يستعملون لفظتي (الإيجابية والسلبية) للتشاؤم والتفاؤل، والغم والبِشر، والهم والفرح، فيقولون: be positive and don't be negative (كن إيجابيًّا ولا تكن سلبيًّا) يريدون: تفاءل واستبشر ولا تتشاءم! وهذه الاشتقاقات الأعجمية كلُّها اقتبست علىٰ حالها في العرنجية، وأنتَ لو تأملتَ هذه العبارة فمعناها علىٰ الحقيقة: (إثباتات الرجل ومنفياته، وللأمر آثار إثباتية، وتكلم فيَّ بشكل منفي)، وهذا كلامٌ غريب! وهذه الألفاظ -مع عجمتها ونكارتها- سهلٌ تخريجها علىٰ منهج المعاصرين، وقد رأيتَ ذلك عند الكلام في (عندي أشياء كثيرة علىٰ صحني ...). فقد يخرجها المعاصرون بقولهم إن السلبيَّاتِ أمور ينبغي أن تكون في الشيء ونفيتَها أنتَ عنه، والمنفيُّ نقص، والنقص سيئةٌ وعيب. وما في كلام الإفرنج شيءٌ إلا ويصلح أن يُحتج له، فلم تضع الإفرنجُ لغتها اعتباطًا. وهذا الصنيع له آفتان عظيمتان:

أولهما: أن هذه الألفاظ ليست ألفاظًا تُزاد علىٰ كلام العرب وتكثِّره، وإنما هي كخبيث الشجر الذي إذا دخلَ بلادًا أمات شجرها، وانفرد هو بها. فهذه الألفاظ إذا دخلت كلام العرب أماتت الألفاظ التي كانت تستعملها العرب لمعنًى من المعاني. وتأمل (السلبيات) مثلًا، فإني ذكرتُ لك أن العرب عبَّرت عن معناها بألفاظٍ كثيرةٍ كالمساوئ والمعايب والرذائل، والآفات، ونحوها، وأنتَ لا تكاد ترىٰ أحدًا يستعمل هذه الألفاظ العربية في عصرنا، اللهم إلا أن يكون من أصحابنا الذي يجتهدون في التشبه بلغة الأوائل، وأكثر الناس تستعمل (السلبيات). وقد سلكتُ في هذا الكتاب طريقًا يبيِّن لك أن هذه الألفاظ كالشجر الخبيث، لا ترضىٰ بالقعود في أرض العرب حتىٰ تأتي علىٰ الألفاظ الفصيحة والتراكيب البليغة فتميتها وتجتثَّها. وهي أنِّي أورد لك كلامَ العرب الذي تُرجم إلىٰ الإنجليزية من قرآنٍ وسنةٍ وكلام أوائل، وأورد المواضع التي ترجمها الإنجليز بلفظةٍ متفرنجةٍ ك (السلبيات)، لتنظرَ إلىٰ اللفظة التي عبَّر بها العرب، والتي عبَّر

بها الإفرنج، وتعرف أن الناس قد هجرت استعمالات العرب وعدلت عنها إلىٰ استعمالات الإفرنج. وقد جعلتُ هذه الأمثلة في حاشية الصفحة ولم أجعلها في متن الكتاب خشيةَ الإطالة والإملال، وجعلتُ الترجمة الإنجليزية في آخر النصِّ العربيِّ بين قوسين، فلينظر فيها من أراد[1].

وثانيهما: أنَّ هذه الاستعمالات المحدَثة المتفرنجةَ تميت المعاني القديمة لهذه الألفاظ حتىٰ تقطع السند بين الخلف والسلف. فيكون الأوائل يستعملون اللفظة لمعنىٰ، وأهل العرنجية يستعملونها لغيره، فلا يفهم بعضهم عن بعض.

وتأمل هذا الكلام لفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) في تفسيره لسورة الفاتحة:

«اللطيفة الثانية: أن ذلك الصراط المستقيم وصفه بصفتين أولاهما إيجابية، والأخرىٰ سلبية أما الإيجابية فكون ذلك الصراط صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأما السلبية فهي أن تكون بخلاف صراط الذين فسدت قواهم العملية بارتكاب الشهوات حتىٰ استوجبوا غضب الله عليهم، وبخلاف صراط الذين فسدت قواهم النظرية حتىٰ ضلوا عن العقائد الحقية والمعارف اليقينية»[2].

هذا النقل لو قرأه رجلٌ من أهل العصر فما يبعد أن يتوهم أن الرازي يريد أن الله وصفَ هذا الصراط بصفة خيرٍ وصفة شرٍّ، وليس هذا ما أراده، وإنما أراد

---

(١) ومثال ذلك هنا، ترجمة الإنجليز لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ (بالقول السلبي)﴾ وترجمتهم لقول بعض التابعين: «أَنَّ رَجُلًا، نَالَ مِنْ عَائِشَةَ عِنْدَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فَقَالَ اغْرُبْ مَقْبُوحًا مَنْبُوحًا أَتُؤْذِي حَبِيبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (تكلم بشكل سلبي عن)» وترجمتهم قول الإمام مسلم صاحب الصحيح: «باب تَقْدِيمِ الْجَمَاعَةِ مَنْ يُصَلِّي بِهِمْ إِذَا تَأَخَّرَ الإِمَامُ وَلَمْ يَخَافُوا مَفْسَدَةً بِالتَّقْدِيمِ (ولم يكن هناك خوف من تداعيات سلبية»)، وقول الجاحظ في البخلاء: «وجدنا اسم الأنفة قد يقع محمودًا ومذمومًا (له دلالة إيجابية ودلالة سلبية)»، وكما في قول أبي إسماعيل الهروي (ت: ٤٨١هـ) -وترجمة العبارة في ترجمة مدارج السالكين لابن القيِّم-: «أن مشاهدة العبدِ الحُكمَ لم تدع له استحسان حسنة (تترك له رأيًا إيجابيًّا في الأمر الجيد)».

(٢) ج١، ص١٦٤.

أنه أثبتَ له صفةً ونفىٰ عنه صفةً. فحُرِّفت الألفاظ عن مواضعها، وصار كثير منها لها صورةُ العربية وروحُ الإفرنجية.

وهذه الألفاظ لو كانت قليلةً أو كانت لا تميت استعمالات العرب وألفاظها لهان أمرها. وإذا نظر المرء في كلام بعض الكُتَّاب ممن وُلدوا قبل سنة ١٣٠٠هـ وجد عندهم شيئًا من الألفاظ المتفرنجة، إلا أنَّها لم تكن -بعدُ- تميت ألفاظ العرب واستعمالاتها وتقطع ما بين الأول الآخِر كما ترىٰ عند أهل زماننا. ولا تتوهم أني أقول بمنع كلِّ محدَثٍ من الألفاظ وأنَّ كلَّ اشتقاقٍ جدَّ في العربية في زماننا فهو ردٌّ، إلا أن أهل زماننا لم يزيدوا في كلام العرب ألفاظًا، وإنما أماتوا عربيًّا وأحيوا إفرنجيًّا كما ذكرتُ لك. وقد ذكر الجاحظ كلامًا لطيفًا في هذه الألفاظ التي تُزاد في العربية في اصطلاحات العلوم خاصةً، فقال -عند الكلام علىٰ المتكلمين-:

«وهم اصطلحوا علىٰ تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف، وقدوة لكل تابع. ولذلك قالوا العرض والجوهر، وأيس وليس، وفرقوا بين البطلان والتلاشي، وذكروا الهذية والهوية والماهية وأشباه ذلك. وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقابًا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب، وتلك الأوزان بتلك الأسماء، كما ذكر الطويل، والبسيط، والمديد، والوافر، والكامل، وأشباه ذلك . . .»[1].

فهذه الألفاظ إنما وضعها الأوائل لمعانٍ لم تعرفها العرب ولم تعبِّر عنها، فلا بأس بها، وإنما يُحتاج إليها غالبًا في اصطلاح أهل الفنِّ لا في الكلام العام. وإنما خلافنا في معانٍ عبرت عنها العرب واستقر اللفظ في كلامها حتىٰ قُبيل زمن الترجمة، ولربما كان عند العرب لهذا المعنىٰ طائفةٌ من الألفاظ، فيُعدَل عنها جميعًا إلىٰ الاستعمال الموافق لكلام الإفرنج.

(١) البيان والتبيين، ج١، ص١٣١.

وقد ذكر بعض العلماء من أهل المئة الماضية شيئًا من هذه الألفاظ المتفرنجة، منها ما ذكره تقي الدين الهلالي في كتابه تقويم اللسانين كقولهم (العمل الجنسي)، وهذه يرد تفصيلها بعد قليل إن شاء الله، إلا أنه قال عند ذكرها كلامًا نفيسًا، فقال إن هذه العبارة «من العبارات الأجنبية التي تزري بمن يعبِّر بها، وتدل علىٰ أنه مزجىٰ البضاعة في لغة الضاد، ترك عبارات القرآن، وهي أجمل وأبلغ، وأوجز لفظًا، وأوضح معنىٰ . . . والتعبير بعبارة أجنبية ثقيلة مبهمة طويلة اللفظ أعجمية لا جرم أنه لا يعبر بها إلا من لا يعرف القرآن ولا بلاغته وأسرار إعجازه»(١). وصدق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد تقدَّم مثل هذا الكلام، ويأتي مثله ومثاله إن شاء الله.

خفاء الألفاظ المتفرنجة وكثرتها

وهذه الألفاظ المنافقة، التي تكون عربيةَ الظاهر أعجميةَ الباطن، كثيرةٌ جدًّا، وفيها شيءٌ كثير لا يكاد يفطن إليه أكثر الناس. وقد يقصد المرء إلىٰ كتابة كلام يريده عربيًّا قحًّا، ويجتهد في محاكاة سمت العرب، ثم يدخل في كلامه شيئًا كثيرًا من هذه الألفاظ المنافقة.

وحتىٰ تتبين خفاءَ تفرنج ألفاظ العربية، تأمل أبوابًا مثل ترتيب سنِّ المرء، تجدها في العرنجية تابعةً للكلام الإفرنجي. فيسمون من تكون سنه بين ثلاث عشرة سنة وتسع عشرة مراهقًا، ويسمون من جاوز هذه السن بالغًا، وليس هذا معنىٰ المراهقة ولا البلوغ في العربية، وإنما جعلوا المراهق نظيرًا للـ teenager والبالغ نظيرًا للـ adult، فحرَّفوا الألفاظ العربية، وأماتوا استعمالها العربيَّ، وجعلوا استعمالها أعجميًّا. ولا يبعد أن يقرأ أحدٌ من المعاصرين قولَ المتقدمين إن الحكمَ الشرعي في هذه المسألة يجري علىٰ المراهق والبالغ، فلا يفهمها أو يقلب معناها.

---

(١) ص٣٨.

وأذكر لك بابًا فسدت أكثر ألفاظه يزيد إيضاح الأمر لك، ومعانيه قديمةٌ قِدَمَ الدهر، ولها ألفاظ معروفة عند العرب من أيام جاهليتهم، وما زالوا يستعملونها إلىٰ قبيل زمن الترجمة، حتىٰ جاءت العرنجية فعفَّت علىٰ ما سلف، وأبدلته شيئًا علىٰ طريقة الإفرنج.

وهذا الباب هو باب: (الجماع)، وهو من أخصِّ ما يختص به المرء، وهو من ضرورات العيش التي كانت في الناس مذ خلقهم الله، وليس من محدثات العصر حتىٰ يُقال إنه تبدل لتبدل أغراض الزمان. هذا الباب تفرنَجَت منه ألفاظٌ كثيرة، أذكر لك بعضها. ولا يتمعرنَّ وجهك مما أنا ذاكره من الألفاظ، فلا حياء في العلم.

وأوَّل هذه الألفاظ قولهم: (sex، جنس) وهذه يُراد بها في كلام الإنجليز الزوجان الذكرُ والأنثىٰ. فترىٰ جماعةً من الإنجليز يترجمون قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ بقولهم (خلق الجنسين). وليس هذا معنىٰ الجنس أصلًا في العربية، وإنما يُراد بالجنس النوع بإطلاق، كأن تقول (التمر جنسٌ من الثمر) أي: نوع. أما أهل العصر فيستعملونه للزوجين الذكر والأنثىٰ خاصةً تبعًا للإفرنج، فترجموا sex بقولهم جنس، أي نوع، وليس هذا معناها. ثم توسعت الإفرنج في لفظة sex وصارت تستعملها للجماع، فتقول: الجنس والعلاقة الجنسية أو النوع والعلاقة النوعية، كأنهم أرادوا أن هذا اجتماعٌ بين هذين النوعين من الخلق. ولما كان أصحابنا يترجمون (sex) بمعنىٰ الزوج بـ (الجنس)، ترجموها هنا ترجمةً لفظيةً أيضًا، فقال (جنس وعلاقة جنسية). وأنتَ إذا تأملتَ قول بعض الكُتَّاب: «وذلك من زاويةٍ أنَّ الجنس محرم بدون زواج»، فكأنما يقول: (وذلك من زاوية أن النوع محرم بدون زواج). واشتق الإنجليز من لفظة (الجنس) تراكيب كثيرة أخذها المترجمون علىٰ صورتها، وأقحموها في العربية، وعدلوا عن

التراكيب العربية إلىٰ تراكيب الإفرنج[١]. وقد ذكرتُ لك أنَّ (الجنس) تعني (النوع)، وهذه لفظةٌ عربيةٌ يكاد يُمات معناها الأصلي، ولا تكاد ترىٰ أحدًا يستعملها إلا بمعناها الإفرنجي. ولا يبعد أن يقرأ أحدٌ من المعاصرين قولَ ابن الفرات: «أسرف في سبي وشتمي، ورماني بالزنا. فحلفت بالطلاق، والعتاق، والأيمان المغلظة، أنِّي ما دخلتُ في محظورٍ من هذا الجنس من نيِّف وثلاثين سنة»[٢]. فيظن أنه أراد بالجنس (الجماعَ) لا سيما أن ابن الفرات ذكر (الزنا) قبلها.

ومما تستعمله الإنجليز في ألفاظ الجماع قولهم: (فقدت عذريتها، أو خسرت عذريتها - lost her virginity)، فترجمها أصحابنا لفظيًا، وصارت تُستعمل في العرنجية. والبكارة والعُذرة إذا ذهبت قيل فُضَّت وافترعت، لا فُقدت وخُسرت.

ومن العبارات المقبوسة في العرنجية من كلام الإنجليز قولهم: (علاقة حميمية)، وهي من الإنجليزية من intimate، وهي تُطلق علىٰ من كان قريبًا من المرء من أوِدَّائه وخاصته، فيقولون he is an intimate friend، أي هو صاحبٌ حميم. ثم توسعت الإنجليز في هذا المعنىٰ، فاشتقوا منها لفظة intimacy أي (حميمية)، وجعلوها للعلاقة بين الرجل وصاحبته، وقالوا علاقة حميمية، أي علاقة قريبية، فأخذتها العرنجية علىٰ حالها[٣].

---

(١) وتأمل ترجمة الإنجليز لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ (لأعضائهم الجنسية)﴾ و﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (لا يقومون بعلاقة جنسية غير مشروعة)﴾، وقوله ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ (نوىٰ أن يقيم علاقة جنسية)».

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخي: ج٢، ص٤٤.

(٣) وتأمل ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا (كنتم مع بعضكم البعض في علاقة حميمية)﴾. وترجمتهم لقوله ﷺ: «وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يُعَرِّسُوا بِهِنَّ تَحْتَ الأَرَاكِ ثُمَّ يَرُوحُوا بِهِنَّ حُجَّاجًا (سيقيموا علاقة حميمية)»، وقول بعض الصحابة: «إِذَا بَنَىٰ الرَّجُلُ بِأَهْلِهِ فَأَمْذَىٰ وَلَمْ يُجَامِعْ (كان حميميًّا مع زوجته)»

ومما يُذكر في هذا الباب من جهة الإماتة والتغليب، قولهم: (انتصب الذكر)، والعرب تستعمل لهذا المعنىٰ (الإنعاظ)، وليس هذا باللفظ الوحشي عندهم، بل إنك إذا نظرتَ إلىٰ معاجم الأوائل وكتبهم وجدتَهم إذا شرحوا الألفاظَ الغريبة التي تكون لهذا المعنىٰ كأشَظَّ وودىٰ وروَّلَ استعملوا لفظة (أنعظ) فعرفتَ بذلك أنها لفظة معروفة مأنوسة. وأنتَ ترىٰ الأوائل يستعملون لفظ (الإنعاظ) عفوًا في كتب الأدب والبلدان والأخبار والفقه والطبِّ وسائر الفنون حتىٰ قُبيل عموم الفَرْنَجة[1]. واستعملت العرب غير هذا اللفظ أيضًا، كقولهم: قام الذكر، وهذا الذي تستعمله عامتنا، وكقولهم: انتشر وانتفخ وورم ووتد، وغيرها من الألفاظ، فأميت ذلك كله وهُجِرَ ولم يُستحيَ إلا لفظ (الانتصاب)، لموافقته كلام الإفرنج. وهو موافقٌ لقول الإنجليز (erect)، فتأمل كيف عُدِلَ عن هذه الألفاظ الكثيرة الغالبة إلىٰ لفظ لا يرد في كلامهم إلا نادرًا، لا لأمرٍ إلا لموافقته لغات الإفرنج، حتىٰ صار المرء لا يحسن فهم كلام العرب إلا إذا شُرِح له بألفاظٍ موافقةٍ لكلام الإفرنج، وقد رأيت كثيرًا من المحققين إذا مرَّ بألفاظٍ كالإنعاظ والانتشار شرحها في الحاشية باللفظة الموافقة لكلام الإفرنج، أقصد (انتصب).

وقد رأيتُ بعض المفسرين من أهل العصر لما جاء يعلق علىٰ قوله تعالىٰ: (غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ)، قال: «الأشخاص الذين يقيمون علاقات جنسية غير مشروعة مع الجنس الآخر»، فشرحَ الآية بقولٍ كلُّ ألفاظه إنجليزية الروح: (have unlawful or illegitimate sexual relation with)، فأبان لك أن

---

(١) ومما تجده في كلامهم قُبيل زمن عموم التفرنج قول محمد بن إسماعيل المكيِّ مولدًا المصري قرارًا (ت: ١٢٧٤):

كم ذا التمادي في الجهالة صبوةً ... هل بعد وخط الشيب من وُعَّاظِ
أوما كفىٰ ما ضاع منك سبهللًا ... في اللهو بين تلاعب وتحاظِ
فلرب حال ساكتٍ لكنه ... أغنىٰ غَناء مقالة الألفاظِ
عللت نفسك بالمحال لعلها ... في الضعف تدرك قوة الإنعاظِ

العرنجية قرَّبت العربية إلىٰ كلام الإفرنج وباعدتها من عربية القرآن وكلام العرب الفصيح، حتىٰ صار المرء إذا أراد فَهم الكلام العربي، شرحه بألفاظٍ إفرنجية الروح.

اللحن في استعمال الألفاظ

ومن الألفاظ ما تكون فرنجته أدقَّ من (الإيجابية) و(الجنس)، ولعلي قبل الخوض فيه وذكر أمثلته، أورد نقلًا عن الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، يقفك علىٰ معنىٰ اللحن في استعمال الألفاظ عندهم. ذكر في كتابه أن رجلًا لحَّانًا قال مرةً: «افتحوا سيوفكم»، يريد سلُّوها، وقال مرةً: «اجلس علىٰ است الأرض». يريد وجه الأرض! فسمعه رجلٌ فقال يستهزئ به: «ما كنت أحسب أن للأرض استًا!»[1] فكانوا يعدون هذه الألفاظ لحنًا معيبًا. وهذا مداره عندهم علىٰ الذوق كما تقدم، فهم لم يردُّوا هذه الألفاظ لأنهم لم يعقلوها، بل عقلوها وفهموها، ولم يردوها لأنها ألفاظ أعجمية أو لأن فيها جرًّا لمرفوع أو نصبًا لمجرور، بل هي ألفاظٌ عربيةٌ موافقة لنحو العرب، وإنما ردوها لأن أذواقهم ردَّتها. والذوق يُراد به الملكة المتحصلة في النفس التي يميز بها صاحب اللغة الخطأ من الصواب. وأضرب لك مثالًا من العامية حتىٰ أزيد المعنىٰ إيضاحًا، أنتَ في العامية إذا قِيلَ لك: (أحب القهوة الضعيفة)، أو قيلَ: (زيد يلبس كحل كل يوم)، أو (صارت عينه مائيَّة من الحزن)، لفهمتها من غير كثير مشقة، لكنك مع ذلك تستنكر عجمتها وتستغربها! فإن سئلتَ: لم؟ لما زدت علىٰ قول: أيش هذا! ما هكذا نتكلم! وهذه الألفاظ إفرنجية الاستعمال، وأنتَ استنكرتَ هذه الاستعمالات لأنَّ ملكتك لم تقبلها، علىٰ أنها مُدرَكةٌ عقلًا.

وتأمل هاتين الكلمتين (أخذَ وtake) فإن لها استعمالاتٍ متقاربةً جدًّا، وبعضها يصلح في الإنجليزية ولا يصلح في العربية، علىٰ أنَّ المعنىٰ فيها

---

(١) ج٢، ص١٤٥-١٤٦.

لا يشكل. ففي الإنجليزية يُقال: لا أقدر علىٰ (take أخذ) إساءته، أي احتمالها والصبر عليها. ويقولون: (I took أخذتُ) من كلامه أنه ما يزال مغضبًا، أي فهمتُ من كلامه. ولا يصح أن تترجم هذه الألفاظ إلىٰ العربية بقولك: (أخذ)، علىٰ أن المعنىٰ يُفهم واشتقاقه معقول، فأخذ الشيء قريبٌ من احتماله، والاشتقاق العربي قريبٌ من الاشتقاق الإنجليزي، فالاحتمال حَمْلُ الشيء، والحمل إنما يكون بعد الأخذ والتناول، فأنتَ تأخذ الشيءَ ثم تحتمله! بل لربما كان للأخذ ألفاظٌ قريبةٌ في العربية، فاستعمال الإنجليز للأخذ بمعنىٰ الفهم، قريبٌ من قولك: يُؤخذ من هذه الآية كذا، أي يُستنبط ويُفهم. لكن لو قيل لك -في عاميٍّ وفصيح-: أيش أخذت من ضحكته؟ أو: ما أقدر آخذ هذا البرد، لاستهجنتَه، لأنك لم تجر لك به عادة، وهو استعمالٌ غريب.

وفي العرنجية -مع ذلك- تراكيب كثيرة تشبه هذا الاستعمال الغريب، إلا أنها دخلت قديمًا في الكلام المكتوب، فاعتدناها وصرنا نراها صحيحةً لقَبول أذواقنا الفاسدة لها، ولصحة اشتقاقها عقلًا. وتخريج الألفاظ التي يكون فيها تفرنج استعمال أسهل من تخريج ألفاظٍ كـ (الإيجابيات)، بل هي غير محتاجة إلىٰ تخريجٍ أصلًا لوضوحها. ومنها:

قول الإنجليز exception (أي استثناء)، فالإنجليز تشتق منها اشتقاقاتٍ وتركب منها تراكيب ليست من كلام العرب، أخذها أهل العصر علىٰ صورتها، وغلَّبوها علىٰ الكلام العربي الفصيح. كقولهم في الثناء علىٰ من لا مثيل له في الحسن والفضل أو نحوه: (فلانٌ استثنائي، وهم استثنائيون)، وهي من قول الإنجليز exceptional، ويجوز أن تقول بدلها: فلانٌ عجيب، منقطع النظير، نسيج وحده، متفرد، فذ[1]. والإنجليز ليس عندهم حروفُ استثناء، فإذا أرادوا أن يترجموا حروفَ الاستثناء في العربية كـ (إلا وسوىٰ وما عدا) ونحوها، قالوا

(١) وبعض الإنجليز ترجم هذه الآيات بالاستثنائية: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا (استثنائيا)﴾، و﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا (استثنائيين)﴾.

(باستثناء)، كأن يقولوا: جاؤوا جميعًا باستثناء أحمد، أو: ما فيه عيب باستثناء أنه سريع الكلام، وهذه الاستعمال شاع في العرنجية وغلب علىٰ حروف الاستثناء. والإنجليز يستعملون في هذا المعنىٰ عباراتٍ اقتبسها العرنجيون علىٰ صورتها، ومنها قولهم with few exceptions (أي: مع بعض الاستثناءات)، ومن ذلك قول بعض المعاصرين: «لم تعن الكتب الستة بتخريج [أحاديث كذا]، مع بعض الاستثناءات»، أي إلا في الأقل، أو إلا قليلًا، أو إلا نادرًا، أو إلا أحاديثَ قليلة[1].

أمثلة من كلام العصريين

ولننظر الآن في جملٍ قصيرةٍ لبعض أهل عصر الترجمة، نرىٰ ما فيها من الألفاظ المتفرنجة. وأبتدئ بالنظر في ما كان قبل نحوٍ من تسعين سنة فما بعدها، وننظر إليها الأقدم فالأقدم. وأذكر لصاحب النقل ترجمةً يسيرةً يُعرف بها وتُعرف منزلته في الكتابة بين أهل عصره، وأنه ليس بأجنبيٍّ عنها. وهؤلاء من أهل الأدب اللغة، ولو فتشتُ في كلام من هو دونهم من الإعلاميين والمفكرين لوجدت أضعافَ أضعافِ ذلك. وقد تعمدت أن أذكر هنا نقولًا لطائفةٍ من كبار الكُتَّاب وأساتذة العربية، لا غضًّا منهم، لكن لأمرين في نفسي:

أولهما: أنك تجد أكثر الناس إذا أراد ذمَّ الاستعمالات الأعجمية ذكر التراجمَ وذمَّها وأكثر الكلام فيها، علىٰ أنَّ استعمالات الإفرنج متفشية في كلام كبار الكُتَّاب، وهي إذ كانت صادرة عنهم أشدُّ لأن خلقًا كثيرًا يطلبون الفصاحةَ من كتبهم. ورأيتُ من إذا أراد ذكرَ ما ينبغي للمتأدب أن يقرأه لتحصيل ملكة اللغة وتقويم اللسان ذكر أحد هذه الكتب التي سأورد لك منها. وهذه الكتب

(١) وفي ترجمة تاريخ الطبري: «والآثار التي أنا مسندها إلىٰ رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه (فقط بشكل استثنائي جدًّا)»، وقول ابن حزم: «فإن وجد ذلك في الندرة فلا تجده إلا من فاسد الدين (بشكل استثنائي)»، وقول ابن خلدون: «وهم لذلك مساكين محاويج إلا في الأقل النادر (مع بعض الاستثناءات القليلة جدًّا)».

-علىٰ فضل أصحابها ومكانتهم- لا ينبغي للمرء أن يبتدئ بها عند تنشئة الملكة وتحصيل الذوق، وإنما يعمد إلىٰ كلام المقدمين قبل زمن الترجمة الذي تقدَّم تعيينه، حتىٰ تستقيم عربيته ويصيب منها قدرًا يبصِّره بكلام المتقدمين ويذيقه بلاغةَ القرآن والسنة وحلاوة كلام السلف.

ثانيهما: أني ذكرتُ لك أنَّ هذه الألفاظ المتفرنجة لو كانت قليلةً لغضضنا الطرفَ عنها وقلنا هي زيادة لا تضر ولا تجعل بين الأول والآخِر حجابًا، ولكنَّها كثيرةٌ جدًّا حتىٰ إنك لتجد لفظتين أو ثلاثًا في الجملة الواحدة من كلام كبار الكُتَّاب، دع مَن هو دونهم.

ولننظر في هذه النصوص باسم الله:

١٣٥٣هـ: شوقي علىٰ المسرح، في مجلة المشرق، لإدوار إبراهيم حنين:

«مما لا مراء فيه أن ذلك العربي . . . الذي حُكم عليه أن يعيش معتزلًا، منفردًا بأعضاء أسرته كان لا يحلم بالوحدة ولا يشعر بتلك الروح، روح القومية التي نُسبت إليه»[1].

وإدوار حنين هذا لبنانيٌّ من رجال الأدب والسياسة، تقلَّد طائفةً من الوزارات، وكان له مجالس وندوات في الأدب، ترجم له المؤرخ نقولا نجيب في كتابه (تاريخ كفرشيما)، فقال: «النائب والوزير، المحامي والأديب، والشاعر والخطيب، الذي رافع عن الشعب، ودافع عن الوطن بكل ما أوتي من بلاغة ووطنية . . . عين وزيرًا خمس مرات وكان رئيسًا لجمعية أهل القلم».

التعليق: في نصِّه هذا طائفةٌ من الألفاظ المتفرنجة، منها قوله (أعضاء أسرته)، والإفرنج تستعمل هذه العبارة وتريد بها أهل البيت، وهي في الإنجليزية family members. وبعضهم يريد الخروج من هذه العجمة باطراح لفظ (العضو)،

---

(١) في مجلة المشرق، في رمضان، ١٣٥٣هـ (يناير، ١٩٣٥م)، العدد ١، ص٨٥.

فيقول: (أحد أفراد أسرته)، وكل ذلك عجمة وتفرنج[1]. ومن العجيب أن الرجل في العامية إذا أرادَ ذكرَ هذا المعنىٰ قال (سافرت ومعي كل أهلي) فأتىٰ بعبارة القرآن والسنة، فإذا تفاصح تفرنج وقال: (ومعي كل أعضاء أسرتي).

وقوله: (كان لا يحلم بكذا) استعمال إفرنجيٌّ غالبًا، والإفرنج تستعمل لفظة dream، للحلم الذي يُرىٰ في المنام، ثم استعملته للأمنية والمطمع والمطمح، وهذه أخذتها العرنجية، كقول بعضهم: «كان حلمي أن أكون كاتبًا»، وكقول بعضهم: «هي مجرد رغبات وأحلام تراود الشاعر»، يريد: إن هي إلا رغائب ومُنىٰ. وعبارة إدوار (كان لا يحلم بكذا)، يشبهها استعمال مجنون ليلىٰ في قوله:

أَتَطمَعُ من ليلىٰ بِوَصلٍ وإنَّما تُضَرِّبُ أعناقَ الرجالِ المطامِعُ

ولو عبر عن هذا المعنىٰ بعض المعاصرين لقال: أتحلم أن تصلك ليلىٰ؟ وأبين منه قول والد المجنون لمَّا سألوه عن خبر ولده، فقال: «إنه عشق امرأة من قومه والله ما كانت تطمع في مثله». ولو كان أبو المجنون عصريًّا لتفرنجَ وقالَ: (والله ما كانت تحلم بمثله)[2].

والوحدة في قوله (تحلم بالوحدة) أسلوبٌ واستعمالٌ غلَّبته لغات الإفرنج، وهي تشتقه من unit، والمعروف عن العرب استعمالها للاجتماع[3]، ولا تزال

---

(١) وتأمل ترجمة الإنجليز لقول الله تعالىٰ: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (بأعضاء أسرتكم)﴾ و﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (من أعضاء أسرتي)﴾، وترجمتهم لقوله ﷺ: «وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ (أعضاء أسرته)» وفي حديث جابر بن عتيك ﵁: «قَالَ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِهِ إِنْ كُنَّا لَنَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ قَتْلَ شَهَادَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (أحد أعضاء أسرته)»، وحديث كعب بن مالكٍ ﵁: «قَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (بعض أعضاء أسرتي)».

(٢) وفي ترجمة قول ابن حزم: «وكانت أمنيةَ المتمنِّي وغايةَ الحسن خَلْقًا وخُلُقًا (كانت حلمًا)».

(٣) تأمل ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (متوحدون)﴾، ولقوله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ (متحدون)»، و«وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللَّهُ بِي (وكنتم في حالة انفصال ووحدكم الله من خلالي) . . .»، وفي الحديث: (اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَيْرَةِ عَلَيْهِ (شكل زوجات الرسول ﷺ جبهة موحدة ضده) . . .»، وفي مقدمة ابن خلدون: «وذلك أن تشييد المدن إنما يحصل باجتماع الفَعَلة وكثرتهم وتعاونهم (بتوحد جهود العاملين)» و«وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم (توحدّهم)»

العامة تستعمل الاجتماع لهذا المعنىٰ. فخولف في العرنجية الاستعمال الفصيح وقلَّ فيها جدًّا. والإنجليز تستعمل (الوحدة) لطائفةٍ من الاستعمالات أخذها العرنجيون، منها: القطعة من الجيش كالسرية والكتيبة ونحوها، كقول بعض المعاصرين: «كان هناك مثل هذه الحوادث في وحدتين من الجيش» وللفصل من الكتاب، كقول بعض المعاصرين -في كتابٍ لتعليم العربية-: «يتكون الكتاب الخامس من خمسة أقسام، يحتوي كل قسم علىٰ ست وحدات»، ويستعملونها للمقادير والمقاييس، فيقولون: (المِيل من وحدات الطول)، وهذه كلها مستعملةٌ في كلام المعاصرين، غالبةٌ علىٰ الاستعمال الفصيح.

وآخر ما أذكره من كلامه قوله: (الروح)، وهذه دخلت لها استعمالاتٌ إفرنجية كثيرة في كلام أهل العصر. فالإنجليز يتوسعون في لفظة الروح spirit، ويستعملونها للعصبية، وهي الموالاة والتناصر، كقولهم: روح الفريق، وروح القبيلة، وروح الأمة[1]. ويستعملونها للمقاصد والمعاني التي وُضعت لها الأمور، فيقولون: روحُ القانون، وروح الشريعة، وروح المعاهدة، يريدون مقاصدها. ويستعملونها للحماسة في الأمر والنشاط والهمة فيه، كقولهم: أعجبتني روحه في طلب العلم[2].

١٣٥٩هـ: موسوعة مصر القديمة لسليم بن حسن:

«إن سكان (فيلادلفيا) كانوا منوعين جدًّا، ويظهر ذلك بوضوح حتىٰ في اللغة، وفي طريقة التعبير. أما في الحياة الاقتصادية فإن التباين قد ظهر بصورة بارزة. هذا، وتنعكس فروق مستوىٰ الحياة والمكانة الاجتماعية في حالة الطبقات

---

(١) وتأمل ترجمتهم لقول ابن خلدون: «فكان مضطرّا إلىٰ إحسان ملكتهم وترك مراغمتهم لئلّا يختلّ عليه شأن عصبيّته (روح الفريق)».

(٢) ومن ذلك ترجمتهم لقول ابن حزم: «وعند أجلِّ الناس همةً (الروح الأكثر توقدًا)، وفي ترجمة وفيات الأعيان: «وكان رجلًا مسعودًا عالي الهمة (روحه سامية)».

الدنيا من السكان نحو الطبقة التي تتمتع بأعظم الامتيازات».[1]

الدكتور سليم حسين، من كبار مؤرخي المئة التي مضت، تعلَّم طائفةً من لغات العجم، ودرَّس بالجامعة، وصنَّف التصانيف الكثيرة في التاريخ.

التعليق: في كلامه هذا شيءٌ كثيرٌ مما يدخل في مطابقة الإفرنج في أساليبهم، كقوله (منوعين جدًّا)، و(يظهر ذلك بوضوح)، و(بصورة بارزة) و(المكانة الاجتماعية) وسائر كلامه، إلا أني أُعرض عن ذلك هنا لأنَّ الكلام في الأساليب يَرِدُ مبسوطًا في بابه إن شاء الله، وإنما الكلام هنا في أفراد الألفاظ، وأقتصر منها علىٰ ثلاثة:

قوله: (الحياة الاقتصادية)، وكلا الاستعمالين إنما دخلا من كلام الإفرنج. أما لفظة (الحياة) فدخلت من قول الإنجليز life وما يناظرها في لغات الإفرنج، وقد ذكرها الهلالي وفصَّل فيها ثم قال: «ومن الاستعمال الفاسد قولهم: فلان اعتزل الحياة السياسية، يريدون بذلك: اعتزل السياسة، فيقحمون لفظة (الحياة) تقليدًا للغات الأجنبية»[2]. والإفرنج تستعمل هذه اللفظة وتريد بها حياةَ المرء وعمرَه في الأصل، ثم استعملتها للشأن من شؤون المرء والشغل من أشغاله بإطلاق. وأما قوله (الاقتصادية) فهو ترجمةٌ لفظيةٌ لقول الإنجليز economic، وفي سائر لغات الإفرنج مثلها. واللفظة الإنجليزية قد يُراد بها في الإنجليزية (الاقتصاد) أي ترك الإسراف والتبذير، وتُطلق علىٰ الاقتصاد في المال خاصةً وعلىٰ غيره من الأمور، كأن يُقال: لا بد من الاقتصاد في النفقة، واقتصد في الكلام، وهذا موافقٌ لمعنىٰ الاقتصاد في العربية. وقد تستعمل الإنجليز economic لغير ذلك، ومن ذلك ما ورد في معجم كولنز: «pertaining to one's personal resources of money (أي: ما تعلَّق بما لدىٰ المرء من مال)» وليس هذا معنىٰ

---

(١) ج١٥، ص١٦٣.

(٢) تقويم اللسانين، ص٤٣.

الاقتصاد في العربية. وقد زعموا أن العرنجية تيسير، ونعتوا الفصيحة بالتكلف، فناشدتك الله حدِّث شيخًا أميًا وقل له: (كانت حياة فلانٍ الاقتصادية جيدة، لكنه الآن غادر البلاد لأسباب اقتصادية) ثم قل له: (كان في سَعة من المال، لكنه الآن خرجَ من البلاد لضيقٍ في المال)، ثم سله أيَّ الجملتين يفهم، تعلمْ أنَّ الفصيحةَ أقرب إلىٰ كلام العامة وأيسر لهم من (العرنجية).

قوله (تنعكس)، وهذه اللفظة تدخل في باب الاستعمال، وهي من قول الإنجليز (reflect). والأصل في معناها عندهم انعكاس الضوء وارتداده، وانعكاس الصورة أيضًا، ثم استعملوه لجملةٍ من المعاني، منها ظهور الشيء بإطلاق، والدلالة عليه، والإنباء عنه، والعلامة عليه، واستعملوه للتابع للشيء، وهذه الاستعمالات أخذها المعاصرون علىٰ صورتها، كقول بعض أساتذة العربية -ممن رأسوا أقسام الأدب والبلاغة-: «ثار وغضب غضبًا شديدًا انعكس علىٰ فعله وقوله» يريد أن غضبه بان في فعله وظهر، وكقول بعض دكاترة التاريخ: «إن هذا العمل يعكس أول ما يعكس مدىٰ إيمان الإنسان بقيمة الحياة»، يريد أن هذا الفعلَ يدل علىٰ قدر إيمانه وينبئ عنه، ويشبه قولُه هذا قولَ ابن حجر رحمه الله إذ قال: «دلَّ صنيع كعبٍ هذا علىٰ قوة إيمانه»، أي (عكسَ قوة إيمانه)، بلغة العصر[1].

وأما قوله (مستوىٰ الحياة)، فهي من قول الفرنسيس le niveau de vie، ولفظة niveau تُطلق في الأصل علىٰ ما استوىٰ، وتشبهها level في الإنجليزية. إلا أن الإفرنج توسعت في هذه اللفظة، فاستعملوها في الأصل للمستوىٰ والصعيد، ثم استعملوها للحال بإطلاق. كأن يقولوا: (فلانٌ ممتاز علىٰ المستوىٰ العلمي،

---

(١) وترىٰ الإنجليز يستعملونها في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (يعكس قوة الشخصية)﴾، وكما في ترجمتهم لقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به الله أعلم (هذا يعكس فهم الشخص)». وكما في ترجمتهم قول ابن طفيل: «إذ هو لا محالة تابع للعالم الإلهي (انعكاس للعالم الإلهي)»، وقول ابن حزم «فلم أزل أختبر ما تنطوي عليه نفوسهم بما يبدو من أحوالهم ومن مراميهم في كلامهم (علىٰ أساس ما يعكسه كلامهم من نياتهم وأحوالهم)»، وقول ابن خلدون: «ويبين أن البلاغة إنما تقع في الآية علىٰ ما يراه أهل السنة لا علىٰ ما يراه المعتزلة (تعكس آراء السنيين)».

لكنه علىٰ الصعيد الأخلاقي سيئ)، ومعناها قولك في العربية: هو في العلم حسن أو حاله في العلم حسنة، أما أخلاقه فرديئة. ومنها العبارة التي ذكرها الكاتب هنا (أي مستوىٰ العيش) يريدون بها حالَ العيش، من شدَّةٍ ورخاء، وشظفٍ وترف، وفقرٍ وغنىٰ[١]. وأدخلت هذه اللفظة الإفرنجية غيرَ ذلك من عجمة الاستعمال، أقصد niveau وlevel، فالإفرنج تستعملها لمنزلة الشيء ورتبته ودرجته[٢]، ولأقسام الشيء وفروعه، كقولهم: نتدارس هذه المسألة علىٰ المستوىٰ النحوي، يريدون في باب النحو، أو (نحويًا)، ولا حاجة إلىٰ زيادة. ومن معانيها قدر الشيء، كأن يُقال: لم تكن المكافأة علىٰ مستوىٰ العمل، أي لم تكن بقدر العمل.

وهذه جملةٌ واحدة طابقت في أكثر استعمالاتها وأساليبها كلامَ الإفرنج وخالفت كلام العرب، فليست الألفاظ المتفرنجة شيئًا قليلًا يُزاد في كلام العرب، بل هو استبدال لغةٍ مكانَ لغة.

١٣٦٦هـ: تربية سلامة موسىٰ:

«لكن الخديوي اتخذ موقفا معارضا لاتجاهات الشيخ محمد عبده نحو الأزهر: فكان -أي الخديوي- يصر علىٰ أن يبقىٰ الأزهر كما كان منذ مئات السنين محافظا لا تتسرب إليه تيارات الثقافة العصرية»[٣].

---

(١) وتأمل ترجمتهم لقول ابن خلدون: «وتكون مكاسبهم أنمىٰ وأرفه من أهل البدو لأن أحوالهم زائدة علىٰ الضروريِّ (لأنَّهم يعيشون في مستوىٰ يتجاوز مستوىٰ الضرورة).»

(٢) وتأمل ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ (المستوى الأسفل)﴾، وقوله ﷺ: «فِي الْجَنَّةِ مِئَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ (مئة مستوىٰ)»، و«مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ (في مستواي)». وترجمتهم لقول ابن طفيل: «ويجيل الفكرة حتىٰ بلغ في ذلك كله مبلغ كبار الطبيعيين (وصل مستوىٰ)»، وقول ابن حزم: «وإن كان دونه في [المحبة] فليس للمحب أن يكلفه الصعود إلىٰ مرتبته (إلىٰ مستواه)» وقول ابن خلدون: «وليس غير الصحيحين بمثابتهما في ذلك (في نفس المستوىٰ)».

(٣) ص٣٧.

سلامة موسىٰ، كاتبٌ قبطيٌّ، في نفسه دَخَلٌ ونقمةٌ علىٰ العربية، إلا أنه كان من أكبر كُتَّابِ مصرَ في زمانه، وكان أستاذًا لطائفةٍ من أدباء مصر. ذكر الزركلي أنه صنَّف وترجم ما يزيد علىٰ أربعين كتابًا.

التعليق: أكثر كلامه يدخل في باب الاستعمالات والأساليب، ومن ذلك قوله (اتخذ موقفًا معارضًا)، وهذا من قولهم: took an opposing position or stance، والإنجليز يستعملون هذه الألفاظ ويريدون بها في الأصل موضع الوقوف، وهذا يناظر الموقف في العربية. ثم استعملت الإفرنج (الموقف) لمعانٍ منها مذهب المرء ورأيه وقوله، فيقولون هذا موقف فلان من كذا، وما موقفك من كذا؟ فاستنت (العرنجية) بسنَّتهم ونبذت سَنَنَ العرب وراء ظهرها. وقد رأيت هذه الألفاظ ترد في كتب بعض الأفاضل ممن يشتغل بكلام السلف، ومن ذلك قول بعضهم: «موقف الإمام أحمد من الحديث المرسل»، أي قوله ومذهبه. ولو قال الكاتب هنا: خالفَ الخديوي محمَّدًا، أو ما شابهها من الألفاظ التي تبين مخالفة الرأي، لكفاه.

وأما قوله: (اتجاهات محمد عبده نحو) فلعلها من قول الإنجليز trends، ومعناها في الأصل الاتجاه، كأن تقول: اتجاه الطريق. ثم استعملوه لطائفةٍ من الاستعمالات أكثرها في (العرنجية)، فمنها المذهب، كمثل قولهم (اتجاهات فكرية واتجاهات العلماء في كذا)، ومنها النهج والسبيل، كما في قولهم: (سلك الاتجاه العلمي)، ومنها الطريقة والعادة، كما في قولهم: (خالف اتجاهات قومه في الكلام واللباس)، ومنها ما يريده المرء ويرغب فيه ويميل إليه.

وقوله (محافظ)، هذا أيضًا من استعمالات الإفرنج، من قولهم (conservative) أي: محافظ وصائن. وأرادوا به أهلَ الاقتداء والاتباع، والآخذين بسَنَنِ أسلافهم.

وأما قوله: (تيارات)، فهذا من كلام الإفرنج، وهو في الإنجليزية currents، وهذه تعني في الأصل: الموجَ والتيار. والإفرنج يستعملون اللفظة لغير الموج والتيار، كما في معجم كمبرج: «current: هو ما تقول به جماعةٌ أو تراه»،

وهذا هو المذهب والطريقة، أو الملة والنحلة. ورأيتُ بعضهم يقول: التيَّارَ الأشعري، والتيَّارَ الحنبلي، والتيَّار المعتزلي، فلم يكتفِ بفَرْنَجةِ المحدَث حتىٰ جاوزها ففرنجَ القدماء، وتَيَّرَ مذاهبهم.

١٣٦٧هـ: زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين:

«تناغم تفكير السيد أحمد واستعداد الرأي العام المتنور، فأنتج هذا التناغم حركة إصلاح تعد نقطة تحول في تاريخ المسلمين في الهند»(١).

وأحمد أمين، أديبٌ من كبار أدباء طبقته في مصر، وكان من أساتذة العربية في مدارس مصر وجامعاتها، تولَّىٰ القضاء مدةً، وله مؤلفات كثيرةٌ وتراجم.

التعليق: قوله (تناغم) أغلب الظن أنه إنجليزي. والنغمةُ في اللغة: جرسُ الصوت في الكلام والغناء والتلاوة، ثم استعملت في الاصطلاح بمعنىٰ إيقاع الغناء والعزف. وهذا المعنىٰ تسميه الإنجليز tune، أو تسميه harmony، باختلافٍ يسيرٍ بين اللفظين. ثمَّ ولَّدت الإنجليز منها استعمالًا فقالت: هو في تناغم مع فلان، أو في نغمٍ معه، in tune with and in harmony with، تريد بذلك الاتفاق في الأمر. ثم اشتقوا منها اشتقاقاتٍ فقالوا: ناغمَ بين كذا وكذا، وكيت وكيت متناغمان، وكلُّ هذه الاستعمالات أخذها المعاصرون. وفي كلام العرب شيءٌ كثيرٌ يغني عن ذلك كالتوافق، واجتماع الرأي، وتساير الأهواء، ونحو ذلك(٢).

---

(١) ص١١٣.

(٢) والإنجليز يستعملونها في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (أردنا فقط فعل الخير وتحقيق التناغم)﴾. وتراها في ترجمتهم لقول ابن حزم: «وكانت أمنيةَ المتمنِّي وغايةَ الحسن خَلْقًا وخُلُقًا ومُوافَقَةً لي (وفي تناغم مثالي معي)»، وقوله: «إما لاجتهاد في العمل، وإما لاتفاق في أصل النِّحلة والمذاهب (أو كنتيجة للتناغم في المبادئ العقدية والمذهبية)»، وفي قول ابن خلدون: «فأبىٰ ومنع من سلِّ السيوف بين المسلمين مخافةَ الفرقة وحفظًا للألفة التي بها حفظ الكلمة (ولأنه أراد أن يحفظ التناغم)» وقوله: «وعدل عن الفاضل إلىٰ المفضول حرصًا علىٰ الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع (والتناغم)».

وقوله (تفكير) هذا أغلب الظن أنه من كلام الإفرنج أيضًا، فالتفكير في كلام العرب: التأمل، وإعمال النظر، كقول أشجع السلمي:

يلوذ الملوك بأركانه ... إذا نابها الحدثُ المفزِعُ
بديهته مثل تفكيره ... إذا رُمتَه فهو مُستَجمِعُ

أما استعمال أحمد أمين للفظة، فهو علىٰ غير هذا المعنىٰ، وإنما هو علىٰ طريقة الإفرنج. والإنجليز تستعمل (التفكير thinking) للتأمل وإعمال النظر، وتستعمله (للرأي)، باعتبار أن الرأيَ هو الثمرة التي ينتهي إليها إعمال النظر. وفي معجم وبستر: «thinking: القول والرأي، وتقول (أردتُ معرفةَ تفكيرك في هذه المسألة)».

وأما قوله: (استعداد الرأي العام المتنور) فهو أسلوب إفرنجي، لا يكاد يُفهم إلا إذا قلبته إنجليزيًا. والعبارة الإنجليزية تصلح أن تكون readiness of the enlightened public opinion. والاستعداد ترجمةٌ لفظية لـ readiness، ومعناها في الأصل الاستعداد للشيء، إلا أن الإنجليز تستعملها لما أراده المرء ومال إليه، وفي معجم راندم هاوس في معنىٰ (readiness) هي: «willingness; inclination; cheerful consent، أي: ما أراده المرء وجنح إليه وقبله عن طيب نفس». والمتنور أيضًا إفرنجي من enlightened، يستعملونه للعقلاء والأذكياء وأهل العلم والرأي، وهذا الذي أراده، لأنه قال في الجملة التي قبلها: «كشفت لعقلاء المسلمين في الهند حالهم». فمعنىٰ كلامه أن: (رأيَ السيد أحمد جاء موافقًا لما مالت إليه جماهير العقلاء)، فتأمل كيف صارت هذه العبارة السهلة المأنوسة القريبة من الأفهام عبارةً لا يفهمها إلا من يفهم لغات الإفرنج.

وأما قوله (حركة إصلاح)، و(نقطة تحول) فكلها عباراتٌ إنجليزية، من (reform movement، turning point).

وهذه جملة واحدة ظاهرها العربية باطنها الإنجليزية، كأنما هو كلامٌ مترجمٌ عن الإنجليزية ترجمةً لفظية، مع أنه كُتب بالعربية أصالةً، وكاتبه من كبار أدباء

الطبقة وأئمتهم وفضلائهم، ومن حفظة كتاب الله والمشتغلين بالعلم الشرعي والمكثرين من النظر في كلام الأوائل المحققين كتبهم.

١٣٧٢هـ: الحسن البصري: سيرته، شخصيته، تعاليمه وآراؤه لإحسان عباس:

«وكان في الحلقة الضيقة يحسن اجتذاب الإخوان والتلامذة . . . أما في الحلقة الواسعة فكان قادرًا علىٰ أن يملك الانتباه»(١).

الدكتور إحسان عباس من كبار أدباء الطبقة، ومشايخ التحقيق فيها، أستاذٌ جامعيٌّ في العربية، وكان أول من نال (جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والأدب)، له طائفةٌ كبيرةٌ من المصنفات والتراجم، وحقَّق من كتب الأوائل شيئًا كثيرًا، وكان كثير العناية بها.

التعليق: في عنوان الكتاب لفظتان من كلام الإفرنج، وهي الشخصية، والتعاليم.

أما الشخصية فهي من قولهم personality، واشتقاقها أنهم جاؤوا إلىٰ كلمة person، أي: امرؤٌ أو شخص، فاشتقوا منها هذا الاشتقاق فقالوا: امرُئية وشخصية، يريدون طبعَ المرء وصفاته التي تميزه عن غيره، فترجمها أصحابنا علىٰ حالها وقالوا (الشخصية)، ولو ترجموها بـ (امرُئية) لتعودناها. وهذه لها ألفاظٌ كثيرةٌ في كلام العرب، ولا يزال كثيرٌ منها مستعملًا في كلام العامة، كقولهم: فلانٌ نفسه كريمة أو ظريفة، وفلانٌ فاسد الطبع، وإن السفر يسفر عن أخلاق الناس. وهذه كلُّها لو ترجمتَها إلىٰ الإنجليزية لناظرتها بقولك: personality أي شخصية، أو استعملتَ ما يرادفها من الألفاظ كقولك: character أو nature.

ولفظة الشخصية ذكرها قسطاكي بن يوسف الحمصي في قصيدةٍ له سماها (اللغة العصرية)، في مجلة الزهراء سنةَ ١٣٤٥هـ، فقال في مطلعها:

---

(١) ص١١٦.

يـا سـادتـي إذا سـمـعـتـم قـصـتـي نـلـتـم ثـوابًـا وكـشـفـتـم غـصـتـي
إنـي امـرُؤٌ لـي شـغـفٌ بـلـغـتـي أعـدهـا كـنـزي وأقـصـىٰ نـعـمـتـي

ثم أنكرَ بعض الألفاظ المتفرنجة والتي غلَّبتها لغاتُ الإفرنج، وقال خاتمًا متهكمًا يحكي جوابَ أهل عصره ذاكرًا فيه شيئًا من الكلام المفترنج كالشخصية والتفكير ونحوها:

قـال إذا لـم تـرضَ عـن تـحـبـيـذتـي فـلـسـتَ بـالـراضـي عـلـىٰ عـقـلـيـتـي
لأنـهـا تـعـرب عـن نـفـسـيـتـي قـد أُدغـمـت فـيـهـا كـعـاطـفـيـتـي
وأنـتَ لـو حـقـقـتَ فـي شـخـصـيـتـي وهـي الـتـي تـبـرز مـنـهـا روعـتـي
وكـنـتَ مـن يـفـكـر فـي تـفـكـيـرتـي وفـيـك تـحـلـيـل كـتـحـلـيـلـيـتـي
أو كـنـتَ مـن يـشـعـر مـشـعـوريـتـي لـم تـنـتـقـد لـفـظـي ولا طـريـقـتـي
مـا قـولـكـم يـا قـوم ضـاقـت حـيـلـتـي فـي فـهـم هـذي الـلـغـة الـعـصـريـة!

أما قول إحسان (تعاليم)، فهو أيضًا إفرنجي، والإنجليز جاؤوا إلىٰ المصدر teaching، أي تعليم العلم وتدريسه، كقولك: سبيله في التعليم حسنةٌ ربانية، فجعلوا معناها الأقوالَ والسبيل التي يُرىٰ بها ويُدعىٰ إليها ويُحضُّ عليها، وجعلوها جمعًا فقالوا: teachings. و(التعاليم) ترد في بعض كلام المتقدمين علىٰ غير هذا المعنىٰ، يريدونها لعلومٍ مخصوصة كالهندسة والهيئة. و(التعاليم) هذه لها ألفاظٌ كثيرةٌ في العربية، مثل: السنة والهدي والشرع والمعتقد. والإنجليز لو مرت بهم مثل هذه العبارات: هدي الإسلام وشريعة محمدٍ ﷺ وسنته وعقيدة السلف الصالح، لترجموها غالبًا بـ teachings أي التعاليم[1].

(١) والتعاليم والتعليم من الألفاظ التي كان النصارىٰ يستعملونها في اصطلاحات دينهم. وأظنُّ أن الذي وكَّدها في عصرنا وأذاعها في كلام الناس ترجمةُ الإنجيل الفانديكية التي تقدَّم ذكرها، ورأيت غير هذه الترجمة يستعمل (التعليم والتعاليم) ويستعمل معها ألفاظًا غيرها كـ (المَذهب والسُنَّة والعقيدة والشريعة) ونحوها، أما الترجمة الفانديكية فكانت تتحامىٰ هذه الألفاظ وتلزم استعمال (التعاليم).

وأما قوله: (الحلقة الضيقة والحلقة الواسعة)، فهذا من كلام الإفرنج، وهم يقولون: narrow and wide circle. والأصل في هذه العبارة أن معناها الدائرة الضيقة والدائرة الواسعة، أو الحلقة الضيقة والحلقة الواسعة. ومثلها قول الإنجليز أيضًا: الدائرة الداخلية inner circle. وهذه يُراد بها القوم الأقارب من المرء والأباعد منه، ولها ألفاظٌ كثيرةٌ في العربية، منها قولهم خاصة الرجل وعامته، والخواص يُسمون بطانة المرء ودِخلته ووليجته ومُقَرَّبِيه. وكثيرٌ من هذه الألفاظ يرد في كلام السلف، وبعضها واردٌ في القرآن والسنة، فأميتت الألفاظ العربية الفصيحة، وجُعل محلَّها شيءٌ إفرنجي.

١٣٨٣هـ: في الأدب الأندلسي لجودت الركابي:

«وهناك شعراء من أصل متواضع، أو من أرباب المهن، كانوا علىٰ جانب بسيط من الثقافة . . . ومن الشعراء الذين انبثقوا في طبقات متواضعة، يمكننا أن نشير إلىٰ هؤلاء الذين كانوا يعيشون في الحقول وكانت مهنتهم الزراعة، ولا شك أن نشاطهم الأدبي كان ذا قيمة»(١).

الدكتور جودت الركابي، من أساتذة العربية، درَّسها بجامعة دمشق ثم بجامعة القسطنطينية بالجزائر، له تصانيف وتحقيقات.

التعليق: قوله (أصل متواضع) من كلام الإفرنج، فهم يستعملون humble وmodest، للمتواضع الذي هو ضد المتكبر. ثم توسع الإفرنج في استعمال هذه الألفاظ، فقالوا: كانت بدايته متواضعة، وأرسلت إليه هدية متواضعة، وهذا أثاث متواضع، وزاد ماله زيادةً متواضعة، وتلك مدينة متواضعة، وهذا جهد متواضع، وأتىٰ من خلفية متواضعة، ونحو ذلك(٢). وهذا كلُّه تراه في عربية العصر، حذو

(١) ص٧٦.

(٢) وهم يستعملونها في ترجمة قوله الجاحظ: «إلا أنه خفيف الحال قليل ذات اليد (إمكانياته متواضعة)» وقول ابن حزم: «وأصلُ عُظْمِ الأمور أهونُها (والأمور العظيمة تبدأ من الأصول الأكثر تواضعًا)»، وقول ابن خلدون: «ويتبين ذلك بأتم من هذا إذا فهمت طبيعة الدولة في أولها من البداوة والغضاضة (والأحوال المتواضعة)».

القذة بالقذة، وأخملوا ما كانت تستعمله العرب من الألفاظ لهذه المعاني كقولهم إن الأمر يسير وزهيد وقليل وهيِّن وحقير ومغمور وخامل ووسطٌ ونحوها من المعاني.

ويشبه (التواضعَ) هنا قولُه (جانب بسيط من الثقافة) فإن البساطة في كلام العرب ما انبسطَ ووسعَ وكبُر، فتقول: أرضٌ بسيطة، أي واسعة، وكلامٌ بسيط، مُتوسَّع فيه. وقد نبَّه الهلالي إلىٰ أن استعمال المعاصرين ضِدُّ استعمال العرب، إذ صار المعاصرون يستعملون البساطة بمعنىٰ اليسر والضعف والغفلة والسذاجة والغرارة والغضاضة والجهل ونحوها. وذكر الهلالي رَحِمَهُ اللهُ أن أصل هذا الخطأ من كلام الأطباء والفلاسفة، فهم يستعملون البسيط بمعنىٰ ما يكون من أمرٍ واحدٍ مفردٍ، وهو خلاف المركب. كأن يقولوا: العسلُ دواءُ بسيط، إذا شُرِبَ وحدَه، ودواءٌ مركب، إذا خُلِطَ بليمونٍ وشايٍ وحليبٍ، وكأن يقولوا: صنعة الجزار بسيطة، لأنها لا تحتاج إلا إلىٰ القطع، أما صنعة الطبيب فمركبة، لاحتياجها إلىٰ حذق أمورٍ كثيرة. وقوله هذا ممكن، إلا أنَّ إشاعتها وتغليبها علىٰ سائر الألفاظ التي تستعملها العرب وإماتتها لها إنما كان لموافقتها الإنجليزية، فهي داخلةٌ في باب الإماتة والتغليب[1]، وأنتَ ترىٰ المعاصرين يستعملونها ويشتقون منها علىٰ أساليب الإنجليز. ومما يوافق كلام الإنجليز في ذلك قولهم (ببساطة)، كقول بعضهم: «كان قادريًا صميمًا، والسبب -ببساطة- يكمن في تراثه الصوفي»، و(ببساطة) هذه من قول: Simply[2]. ولو قرأ المعاصرون في كلام المتقدمين:

---

(١) وتأمل ترجمة الإنجليز لقول السري الرفاء في طبيب -والترجمة في ترجمة وفيات الأعيان-: «فكأنه عيسىٰ بن مريم ناطقًا ... يهب الحياة بأيسر الأوصاف (بكلمات بسيطة)»، وقول ابن حزم: «يُبتدأ أبدًا بالأسهل والأهون (بالأسهل والأبسط)» وقول ابن خلدون: «وما ذلك إلا لولوع النفس بالغرائب (السبب بسيط، وهو ..)»، و«واستخفَّ العوامُّ ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعتَه (اعتبروها بسيطة)»، و«فكان الحيوان منها أعلىٰ وأرفع، وتدبيره أسهل وأيسر (أبسط بكثير)».

(٢) وتأمل ترجمتهم لهذه الآيات: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (أنتم ببساطة تكذبون)﴾، و﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (ببساطة يقول له كن)﴾، ولقوله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِن =

لفلانٍ كلامٌ بسيطٌ في هذه المسألة، وصنَّف في هذا الأمر كتابًا بسيطًا، وعلمه بسيط، وعيشه بسيط، وعُرف عنه -مع بساطةِ جسمه- بساطةُ وجهٍ وبساطةُ عطاء، لفهموها بضدِّ ما أراد الأوائل، وقُطع السند بيننا وبينهم. ومن الطرائف في هذه اللفظة أني وقفت علىٰ أكثر من موضعٍ قلبَ فيه المستشرقون المعنىٰ عند ترجمتهم لكتب الأوائل، ومن ذلك ما وقع لروزنتال، مترجم مقدمة ابن خلدون، وهو من حذَّاق المستشرقين، بل هو أحسن في فهمه لكلام المتقدمين من كثيرٍ من عامة متأدبي العرب في زماننا. فوَهِمَ في قول ابن خلدون: «والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس ويسمَّىٰ (كتابَ الأصول وكتاب الأركان) وهو أبسط ما وُضع فيها للمتعلمين»، فترجمه بقوله: "It is the simplest book on the subject for students"، فجعلَ معنىٰ الكلام أن هذا الكتاب أيسر ما أُلِّف للمتعلمين وأسهله. وهذا لا يكون، فالكتاب مما يحتاج فيه إلىٰ دقة فهمٍ وحدَّة ذهن ورياضةٍ طويلة، وقد عمد إليه المصنفون بالشرح وحلِّ المشكلات واستخراج الفوائد. وإنما أراد ابن خلدون ببساطته توسعه وطوله، وبرهان ذلك أنه ذكر بُعيد هذا الجملة أنَّ الكتابَ اختُصِرَ اختصارات كثيرة. وهذا معنىٰ اللفظة عند المتقدمين، ولهذا سمَّىٰ الواحدي تفسيره (التفسير البسيط)، وهو أكثر من عشرين مجلدًا. فالأمر كما ذكرتُ ليس ألفاظًا تُزاد في العربية، بل ألفاظٌ تُحرَّف وتُفرنج وألفاظٌ عربيةٌ تُمات.

وقوله: (نشاطهم الأدبي) هذا من كلام الإفرنج، وهذا مما ذكره الهلالي في كتابه تقويم اللسانين. والإنجليز تستعمل كلمة activity، ومعناها في الأصل النشاط الذي هو ضد الكسل، إلا أنها اشتقت منها استعمالًا يريدون به (العمل) والأمور التي تُفعل ويُشتغل بها بإطلاق، فيجوز هنا أن تقول اشتغالهم بالأدب،

= النَّارِ (فهو ببساطة يسأل قدرًا كبيرًا من النار)» وقول ابن مسعود ﷺ: «إِنِّي لَا أَبْكِي لِأَجْلِ الْمَرَضِ وَإِنَّمَا أَبْكِي أنه أَصَابَنِي عَلَىٰ حَالِ فَتْرَةٍ وَلَمْ يُصِبْنِي فِي حَال الْجتِهَاد (أبكي ببساطة بسبب أنه).

أو تقول ما دونوه من الأدب ونحو ذلك[١]. وقد يكون الكلام مستغنيًا عن هذه اللفظة أصلًا أو يُعبر عنه بشيء بعيدٍ عنها في العربية، فيدخل استعمالها في باب تفرنج الأساليب أيضًا[٢].

١٣٩٥هـ: مقالات في الشعر الجاهلي ليوسف بن سامي اليوسف

«لعل أول انطباع تخلفه القصيدة الجاهلية علىٰ صفحة الوعي هو أن جدلية الذات-الصحراء هي العلاقة الأولىٰ التي تؤطر مجمل العلاقات وتصنع القيم، لا الاجتماعية وحسب، بل والأدبية أيضًا، فالصحراء ليست بعدًا من أبعاد الحياة الاجتماعية والنفسية، وبالتالي الفكرية والفنية فحسب . . .»[٣].

ويوسف اليوسف من كتاب فلسطينَ، كان منتسبًا إلىٰ جماعاتٍ كثيرةٍ تُعنىٰ بالأدب والكتابة كجمعية النقد العربي واتحاد الكتاب العرب، سمَّاه بعض دكاترة الأدب العربي: سيِّدَ النقاد العرب!

---

(١) وتأمل ترجمة الإنجليز لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ (يحيط الله بنشاطات الجميع)﴾ ويترجمون بها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ (لا يوجد نشاط قد تشارك فيه)﴾.

(٢) وتأمل كيف أقحمها الإنجليز في ترجمتهم لقول ابن طفيل: «يزيد عليها صورة أخرىٰ، يصدر عنها التغذي والنمو (يصدر عنها نشاطا التغذي والنمو)» وقول ابن حزم: «مع تصرُّفه في كل ما يتصرف فيه أصحاب السلطان من العناية بالناس وغير ذلك (في كل الأنشطة التي يشتغل بها)» وقول ابن خلدون: «وعبادتهم السجود للشمس إذا طلعت ولا يعرفون دينا ولم تبلغهم دعوة (ولم يتم الوصول لهم من قبل أي نشاط دعوي)» وقوله: «قدمنا أن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكلُّ أمر يجتمع عليه (وكل نوع آخر من النشاط الاجتماعي)» وقوله: «استخلف أبا بكر علىٰ الصلاة إذ هي أهم أمور الدين (النشاط الديني الأكثر أهمية)» و«أوما رأيت كيف قعد ذلك بإبراهيم عن مناصبهم؟ (كيف منع هذا النشاط إبراهيم من الحصول علىٰ منصابهم؟)» و«فيكون مأمونًا من النظر في سياسته، مستقيم النظر في معاملة أبناء جنسه، فيحسن معاشه وتندفع آفاته (النظر في نشاطه السياسي)»

(٣) ص٣٢.

التعليق: قوله (أول انطباع تخلفه) هذه العبارة كلها علىٰ طريقة الإفرنج، وهي من قولهم the first impression it leaves. ولفظة (انطباع) يُراد بها في كلام الإنجليز في الأصل تمكُّنُ الأمر من غيرِه حتىٰ يكون له أثرٌ، كتمكن يد الصافع من خدِّ المصفوع، والشيء تنطبع صورته في النفس. ثم توسعت الإنجليز فيها واستعملوها للرأي الذي يقع في النفس، وما يظنه المرء، ووجه الاشتاق بيِّن. وأخذ هذا الاستعمال أهل عصرنا، كقول بعض المعاصرين: «كنت دائمًا تحت انطباع أن قلة الإمكانيات هي التي تقتل الإبداع»، يريد: كنتُ أظن ذلك وأحسبه وأتوهمه. و(تحت الانطباع) هذه بألفاظها إفرنجية under the impression. ويقولون: (كيف كان انطباعك عن الشيخ؟) يقصدون كيفَ رأيتَه؟ ويقولون: لا تعجل بالرد علىٰ رسالةٍ لأن ذلك يعطي انطباعًا أنك لم تحسن قراءتها، يريدون: يوهم أنك كذا، أو يوقع في النفس كذا. ومن ذلك قولهم: (الانطباع الأول)، وهذه كلها مقبوسةٌ من كلام الإفرنج، وهي كثيرة جدًّا في كلام المعاصرين[(١)]. والإنجليز يستعملون (الانطباع الأول) ويريدون بها أوّل رأي يقدح في النفس، ومن التراكيب التي استعملتَها العرب لهذا المعنىٰ قولهم: الذي يسبق إلىٰ المرء، والذي يسبق إلىٰ الظن وإلىٰ الوهم من كذا، كقول خالد بن صفوان: «وطلبني أمير المؤمنين فلم يجدني، فلم أشعر إلا بقوم قد هجموا عليَّ، وقالوا: أجب أمير المؤمنين فسبق إليَّ أنه الموت»[(٢)]. وكقول الأزهري: «الذي يسبق إلىٰ وهمي أن أبا عبيد كتب هذا الحرف عن الأصمعي بالياء، فزلَّ في النقط وتوهمه

---

(١) والإنجليز يستعملون (الانطباع) في ترجمة قول يزيد بن مزيد -والترجمة في وفيات الأعيان-: «جاءني رسول الأمير فسبق وهمي إلىٰ أنه يريدني لمهمٍّ، فلبست سلاحي (فكان انطباعي الأول أنه . .)» وقول ابن طفيل: «ألم نقدم إليك أن مجال العبارة هنا ضيق وأن الألفاظ علىٰ كل حال توهم غير الحقيقة (تعطي انطباعًا خاطئًا)»، وقول ابن خلدون: «وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها (تعطي انطباعًا أنَّ)»، وقوله «واعلم أنَّ الوجود عند كلِّ مدركٍ في بادي رأيه منحصر في مداركه لا يعدوها (انطباعه السطحي)».

(٢) كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٧، ص٣٠٦٢.

باءً»[1]، أي انطباعه الأول. وكقول يوسف بن إبراهيم الكاتب: «سبق إلىٰ وهمي أنه رأىٰ من أمير المؤمنين في أمر نفسه شيئا أنكره ثم أزال ذلك الوهم عني إقدامه علىٰ الاستئذان في المصير إلىٰ القادسية»[2]. ويناظرها أيضًا قولك: أول ما يلقىٰ في الروع منه وأول ما يجيء في النفس، وقد تقول: سابق الرأي، وبادئ الرأي -وهذا واردٌ في القرآن-، قال السمين الحلبي: «بادئ الرأي، أي: أول الرأي بمعنىٰ أنه غير صادر عن رؤية وتأمل، بل من أول وهلة»[3]. وتأمل قولَ الجرجاني في دلائل الإعجاز: «لكنك أبيت إلا ظنا سبق إليك، وإلا باديَ رأيٍ عنَّ لك، فأقفلتَ عليه قلبك»[4]، هذه الألفاظ كلُّها فصيحةٌ كثيرة الدوران في كلامهم، وفيها غَناء عن العبارة الإفرنجية، إلا أنَّ أهل العرنجية لا يقنعهم ذلك كله فيميتونه ويعدلون عنه إلىٰ التأجلز، لأنَّ أساليب الإفرنج أدنىٰ إلىٰ نفوسهم من أساليب العرب.

أما قوله (صفحة الوعي) فلم أفهمه، والحق أن ما بعدها كلَّه لا يكاد يُفهم، علىٰ أن موضوع الكلام في عرب الجاهلية الأقحاح وشعرهم. ولعله يريد بصفحة الوعي ظاهرَ الرأي، الذي يكون باديًا من غير تفتيش عن باطن الأمر وحقيقته، والله أعلم.

وأما قوله جدلية الذات-الصحراء، فهو عبارةٌ مقبوسةٌ من كلام الإنجليز، من قولهم: person-situation debate، يريدون بها: هل ينشأ خُلُق المرء من عيشه وأحواله أم من نفسه وجبلته. وهذا الأسلوب الإنجليزي تجده كثيرًا عند أهل العصر، فيسقطون الواو بين المترادفات والأضداد موافقين في ذلك أساليب الإفرنج، ويسمونها (ثنائية) تبعًا لتسمية الإفرنج، كما في قول بعض المعاصرين:

---

(١) تهذيب اللغة، ج٤، ص٦٨.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٢٣٦.

(٣) الدر المصون، ج٦، ص٣١٠.

(٤) ص١٦.

«وهي تنهض علىٰ ثنائية ضدية: الإسلام-الكفر، الحق-الباطل، المسلمون-النصارىٰ»، وكما في قول بعضهم: «ما بين هذا وذاك يتموضع المرء-الجيل بحسب نفاقه-إيمانه؛ وبحسب عماه-بصيرته».

وأما قوله تؤطر فهو من قول الإفرنج frame، والإطار في كلام العرب ما يحيط بالشيء، والإنجليز تستعمله لمعانٍ منها الإحاطة بالشيء، ومنها (المذهب) وهذه أخذها المعاصرون منهم، ومنها إيجاد الشيء وإنشاؤه وإخراجه وتركيبه وحدُّه، والحق أني لا أدري أي واحدة أراد.

أما (القِيَم)، فقد ذكرها العلامة الهلاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، والقيم أُخذت من values، جمع قيمة، والقيمةُ: الثمن. فقوله: تصنع القِيَمَ الاجتماعية، معناه -إذا تأملتَ-: تصنع الأثمان الاجتماعية. إلا أن القِيَم والأثمان في كلام الإنجليز تستعمل أيضًا للأخلاق والفضائل والمكارم.

وأما (البُعد) فهي مترجمةٌ من قولهم dimension، والبعد تُطلق لغةً علىٰ الامتداد والبعد، ويستعملونها اصطلاحًا للامتداد بين مركز الشيء ومحيطه، كقول ابن خلدون إن المقادير ثلاثة: «[مقدارٌ] ذو بعد واحد وهو الخط، أو ذو بعدين وهو السطح، أو ذو أبعاد ثلاثة وهو الجسم». إلا أن الإنجليز توسعوا في لفظة (البُعد) واستعملوها للمعنىٰ الذي كانت العرب تستعمل له لفظةَ (الوجه)، فتجدتهم يقولون: هذا الأمر باطل من بُعدين، يريدون من وجهين، ويقولون: هذا يدخل في كلامنا من عدة أبعادٍ، يريدون من عدة أوجه وعدة أحوال. ورأيت بعض الإنجليز يستعملون لفظةَ (البُعد) عند ترجمة (الوجه) في كلام العرب. وليس هذا معنىٰ البُعد في العربية، إلا أن المعاصرين استعملوها تبعًا للإفرنج.

أما قوله (وبالتالي)، فهو من قول الإنجليز Subsequently، أو Consequently وهو مركب من قولهم subsequent وconsequent والتي يُراد بها (التالي)، أي الذي يتلو أمرًا ويعقبه ويجيء بعده، ومن - ly وهي مثل باء الحال، فتُرجمت علىٰ صورتها وتركيبها: (بالتالي)! وهذه الألفاظ تستعمل في الإنجليزية للتعقيب

والسببية، ويناظر ذلك كلَّه الفاء، وهي أفصح وأخصر وأعرب. ويجوز أن تستعمل (لذلك ولهذا)[1].

١٤٠٢هـ: مفهوم الشعر عند العرب كما يصوره كتاب الموازنة للآمدي لعبدالقادر القط:

«إذا كان قد تبنىٰ هذا الحكم مقدمًا قبل أن يقرأ القصيدتين، فسينصب جهده علىٰ تبرير صحته بأي وسيلة»[2].

الدكتور عبدالقادر القط، من كبار أدباء عصره، رأسَ قسم اللغة العربية في جامعة عين شمس وجامعة بيروت، ونال (جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب)، و(جائزة مبارك في الأدب)، وله طائفةٌ من الدواوين والمصنفات.

التعليق: قوله (يتبنَّىٰ) من كلام الإفرنج. والتبنِّي في العربية أن تتخذ أحدًا ابنًا لك أو تنزله منزلةَ الابن، فهي مشتقة من البنوة. وأصل هذا الغلط أن الإنجليز تستعمل adopt وتريد بها التبني، أي أن تتخذ أحدًا ابنًا لك تنسبه إلىٰ نفسك. ثم توسعت الإنجليز في استعمال لفظة (التبني) واستعملوها للقول بالشيء والأخذ به واتباعه والسلوك فيه والدخول فيه، فقالوا: تبنَّىٰ هذا المذهب وهذا الدين، أي دان به ودخل فيه، وتبنىٰ طريقة فلان، أي أخذ بها واتبعها واقتفاها، وتبنىٰ هذا القول، أي قال به واعتقده وتقلَّده، وتبنىٰ هذه التجارة، أي انتحلها وعمل بها، وتبنىٰ هذه الصفة، أي اتصف بها وتخلق، ونحو ذلك، وهذا كلامٌ فَرَنجيٌّ. وأهل العصر يعدلون عن كلِّ هذه الألفاظ التي ذكرتُها ويأخذون بالقول الفرنجي[3].

---

(١) ومن ذلك ترجمتهم لقول ابن حزم: «وهو ألذُّ من كثير الوصال؛ ولذلك لا يكون إلا عن ثقة كُلِّ واحد من المتحابِّين بصاحبه (وبالتالي)» وقوله: «حياء مركَّب يكون في المُحبِّ يَحولُ بينه وبين التعريض بما يجد، فيتطاول الأمر (وبالتالي)».

(٢) ص٤٤.

(٣) وتأمل ترجمتهم لقول الله ﷻ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ (تبن سياسة العفو)﴾ و﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا =

وقوله (مبرر) إفرنجيٌّ أيضًا، وقد ذكره الهلاليُّ، وهو من justification. والإنجليز تريد بها السببَ والعذرَ، اشتقوها من لفظة (just) ومعناها: العَدل والبرُّ والحقُّ، فإذا قال الإنجليز (مبرره كذا)، فكأنما قالوا: عذره الذي يجعله مبرورًا مقبولًا. وفي الكلام الفصيح ما يغني عنها[1].

١٤١٠هـ: معركة الإسلام وأصول الحكم، للدكتور محمد عمارة:

«الدراسة التي نقدمها حول هذا الكتاب أقرب ما تكون إلىٰ التقييم الموضوعي الجاد لما في الكتاب من إيجابيات»[2].

الدكتور محمد عمارة، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، رأسَ تحرير مجلة الأزهر، وله طائفةٌ كبيرةٌ من التآليف والتحقيقات.

التعليق: قوله (دراسة حول) من الأساليب الإنجليزية، من قولهم a study about. ويريدون بها النظر في الأمر والبحث فيه وتحقيقه، وهذه داخلة

= ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ (سوف لن يتبنوا قبلتك)﴾، و﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ (يتبنونه كطريقهم الخاص)﴾، وكما في ترجمتهم لقوله ﷺ: «إِذَا حَلَفْتَ عَلَىٰ يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ يَمِينَكَ (ثم وجدت بديلًا أفضل، فعليك أن تتبنىٰ هذا الأخير)». ويستعملون التبني في ترجمتهم لقول ابن خلدون: «فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزّراعة ومنهم من ينتحل القيام علىٰ الحيوان من الغنم والبقر»، و«ولما استقر الدين عندهم عادوا إلىٰ الثورة والخروج والأخذ بدين الخوارج»، و«ذهب عبد الرّحمن هذا إلىٰ مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وإفريقية».

(١) وتأمل ذلك في ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ (لا تبرروا لأنفسكم)﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ (الاعتداء الغير مبرر)﴾. وتراها في ترجمة قول ابن حزم: «ففكرت في ذلك سنين لأعلم السبب الباعث لهم علىٰ هذا العجب الذي لا سبب له (الغير مبرر)»، وقول ابن خلكان: «ويروىٰ عنه أنه كان يفضل النار علىٰ الأرض، ويصوب رأي إبليس في امتناعه من السجود (ويبرر لإبليس)»، وقول ابن خلدون: «فكانت له في ذلك معذرةً (وكان ذلك تبريرًا كافيًا)»، و«يتعللون بالتأسي بالقوم فيما يأتونه من طاعة لذاتهم (ويبررون)».

(٢) ص١٣.

في باب الأساليب، لأن أهل العصر يجتهدون في مطابقة أساليب الإنجليز، فإن استعمل الإنجليز اسمًا فتشوا عن اسمٍ، وإن استعمل الإنجليز قبل هذا الاسم فعلًا استعملوا عين الفعل، كأنما يريدون أن تستوي كفتا الميزان، وهذا من عجمة الأساليب. ومثال ذلك أيضًا قولهم: (أجرىٰ دراسة، وعمل دراسةً، وتدعمُ الدراسةُ كذا، وتؤكد الدراسةُ كذا، وهذه دراسة جادة، ودراسة شاملة، ودراسة حالة، وأمرُ كذا ما زال تحت الدراسة)، هذا كله مقبوسٌ من كلام الإفرنج. ويكفيك لو استعملتَ الفعل في العربية بدلَ قولك (هو تحت الدراسة under study)، فتقول: ما زلنا ننظر في أمر كذا، أو نبحث فيه، ولا تتكلفِ التفتيش عن اسم توازي به كفة الميزان[1].

وقوله (موضوعي) هذه لفظةٌ وضعوها ترجمةً لقول الإفرنج objective، وما أدري كيف اشتقوا هذا الاشتقاق لهذه اللفظة الإنجليزية. ولعله لأن اللفظة الإنجليزية تُطلق علىٰ موضوع الشيء وغرضه وما يدور عليه، فيقولون: (موضوع الطب بدن الإنسان)، وهذه العبارة لو أردتَ ترجمها إلىٰ الإنجليزية لقلتَ the object of medical practice is the human body. ثم زادَ الإفرنج علىٰ object ما يشبه الياء -ive فقالوا موضوعيٌّ، وجعلوها حالًا -ively فقالوا موضوعيًّا . . . كلُّ ذلك يريدون به الحقَّ والإنصاف والعدل، فيقولون (هو رجلٌ موضوعي)، يريدون أنه منصف، يعدل في الحكم، ولا يحكم هواه. ويقولون: كن موضوعيًّا في حكمك، أي اعدل وأنصِف. فجاءت الموضوعية الإفرنجية، وغلبت علىٰ العدل والإنصاف وقول الحق. ورأيتُ بعض أصحابنا يستعمل (الموضوعية) اسمًا للمذهب الأعجمي الذي يأخذ به الأكاديميون، لا لمعنىٰ الإنصاف والعدل، وهذا لا بأس به.

---

(١) وتأمل ذلك في ترجمة الإنجليز لقول ابن خلدون: «وإنما تكلمنا في الوظائف الخلافية وأفردناها لنميز بينها وبين الوظائف السلطانية فقط، لا لتحقيق أحكامها الشرعيّة (وليس لإجراء دراسة شاملة لحكمها القانوني)».

ووصفه الدراسة بالجدِّ، هذا أسلوبٌ إنجليزي أيضًا، فيقولون دراسة جادة، وكتاب جاد، وباحث جاد، وهي من قولهم serious، وتريد بها الإنجليز الكتاب الذي فيه تحقيقٌ للقول، واجتهادٌ في تحرير مسائله، وهذه تدخل في باب الاستعمالات والأساليب الإفرنجية، وترد أشباهها إن شاء الله.

وأما: (إيجابيات) فهذا أيضًا إفرنجي، ومثله قولهم (سلبيات)، وقد تقدَّم الكلام فيهما أول الباب.

وحسبنا هذا من النقول.

وأزيدك هنا شيئًا من الألفاظ المتفرنجة الداخلة في الاستعمال والأساليب، وقد تقدَّم بيانها والتمثيل عليها عند الكلام علىٰ (الاستثنائي).

ومن هذه الألفاظ قولهم: (تمتع)، كما في قول بعض دكاترة الأدب: «وهذا الشاعر العبقري يتمتع بهذه المكانة عند جماهير غفيرة» وقوله غيره من دكاترة العربية: «لكن يظل اللفظ الفصيح المهمل يتمتع بمكانته عند التراثيين». والتمتع من enjoy تستعمله الإنجليز بمعنىٰ (له)، وما كان في معناها[١].

ومن هذه الألفاظ قولهم (المفضل) وأدخلها أو غلَّبها قول الإنجليز: favourite والإنجليز تستعملها بمعنىٰ الفضل والتفضيل، ثم استعملت اللفظة بمعنىٰ (أحب شيءٍ إليك)، كقولك: أحبُّ أصحابي إليَّ محمد، والإنجليز يقولون:

---

(١) يستعملونها في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ (يتمتع بالقرب)﴾. وتراها في ترجمة قول ابن حزم: «ولقد رأيت مَن اجتمع له هذا كُله (تمتع بهذه المميزات بالكامل)» وقول ابن خلدون: «وكان أرسخهم في هذه العلوم قدما وأبعدهم فيه صيتًا وشهرة (يتمتع بالمكانة الأعظم)».

صاحبي المفضل محمد. والعرنجية تصنع مثل ذلك، مع أنَّ الناس لا تزال في عاميتها تعبر بالتعبير الفصيح فتقول: هذه أحب أكلة عندي، وهذا أحب مشايخي إليَّ، ونحو ذلك[1].

ومثال ذلك أيضًا قولهم (أنا آسف)، للاعتذار. والآسف في العربية الحزين، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾، أي: حزنًا. ومن ذلك قول أبي العتاهية:

أسفتُ لفقد الأصمعي لقد مضىٰ حميدًا له في كل صالحةٍ سهم

والإنجليز يقولون: I am sorry about what happened to you، أي: حزنت وأسفت علىٰ ما أصابك. فأخرجوا الأسف -في أساليبهم- من معنىٰ بيان الحزن مجرَّدًا، وجعلوه لتصبير الرجل ببيان مشاركتهم إياه في الحزن، فأخذ العرنجيون هذا الأسلوب. ثم توسع الإفرنج فيها فجعلوها من باب الحزن الذي ينزل بالمخطئ النادم المعتذر، واستعملوها للاعتذار بإطلاق. فيقولون للرجل: (أنا آسف. أرسلتُ إليك الكلام خطأً)، يريدون: معذرةً، وهذه غلبت علىٰ معنىٰ الأسف حتىٰ صار لا يكاد يُعرف إلا بهذا المعنىٰ المتفرنج.

ومن ذلك قولهم: (السيدة) للمرأة و(سيدات) للنساء، وهو إنجليزي من قولهم: lady. والإنجليز كأنهم تحرجوا من قول: (امرأة)، فاستعملوا هذه اللفظة التي يُراد بها (السيدة الوجيهة) للمرأة بإطلاق، وأهل عصرنا يتأدَّبون بهذا الأدب الإفرنجي[2].

ويقولون: (متطرف)، وهي من قول الإنجليز extremist، وهي مشتقة في كلامهم من لفظة extreme، ومعناها: طرف الشيء وآخره. وهذه تعبر عنها العرب

---

(١) والإنجليز تستعمل هذه اللفظة في ترجمة حديث حنظلةَ ﷺ: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يُعجِبُه أن يدعوَ الرَّجلَ بأحبِّ أسمائِه إليه وأحبِّ كُناه (باسمه المفضل وكنيته المفضلة)».

(٢) والإنجليز يستعملونها في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ (بعض السيدات)﴾ وفي ترجمة قوله ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ (علىٰ السيِّدات)».

بالإفراط والتفريط والغلو والجفاء[١].

ويقولون (جهود) وهي من efforts، تُرجمت لفظيًا وجُمعت كجمع الإنجليز، والجهود يريدون بها ما تسميه العرب: سعيًا وعملًا وفعالًا ونحو ذلك[٢].

ومن ذلك قولهم (معلومات)، وهو ترجمة للَّفظة الإنجليزية (information)، كقول بعض الكتاب -ممن رأَسَ تحرير طائفةٍ من المجلات-: «ليست هناك معلومات متاحة عن طفولته وتاريخه الدراسي». والمعلومات -هنا- يستعملها الإنجليز محلَّ (الخبر) في كلام العرب، ولا تزال العامة تستعملها في عاميتها فتقول: (وما عندنا خبر عن كذا)[٣]، واستعمال (متاح) كما في المثال والإسراف فيها أسلوبٌ فرنجي، يناظرون بها available.

ومن هذه الاستعمالات (الفقد)، وهي ترجمة عن اللفظة الإنجليزية lost، فترىٰ في كلام بعض الدكاترة: «نستنتج أن العثمانيين كانوا فقدوا السيطرة علىٰ

---

(١) وترىٰ الإنجليز يستعملونها في ترجمتهم لقوله ﷺ: «أَلاَ هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ (المتطرفون)» وقوله: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِين (يرفضون التغييرات التي يقوم بها المتطرفون)». ويستعملونها في ترجمة قول الجاحظ في البخلاء: «وأما ليلىٰ الناعطية، صاحبة الغالية من الشيعة (الطائفة الشيعية المتطرفة)» وقول ابن خلدون: «ومن هؤلاء الغلاة من يقف عند واحد من الأئمة (المتطرفين)».

(٢) وتراهم يستعملونها في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (سيتم تقدير جهودكم)﴾. ويستعملونها في ترجمة قول عمرَ رضي الله عنه: «فَالرَّجُلُ وَبَلَاؤُهُ فِي الْإِسْلَامِ (جهود الرجل في سبيل الإسلام)»، وفي ترجمة قول ابن طفيل: «فكان سعيه علىٰ نفسه من حيث لا يشعر (جهوده ضده)» وقول ابن خلدون: «وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع (الأنشطة والجهود)».

(٣) وترىٰ الإنجليز يستعملونها في ترجمة الآية: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ (منها بمعلومات)﴾ وفي ترجمة قوله ﷺ: «مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ (من سوف يحضر لي معلومات حولهم؟)». وفي ترجمة قول ابن حزم: «ليس في شيء من الدنيا خبر عن ملوك من ملوك الأجيال السالفة (معلومات)» وابن خلكان: «فسأل عنه في البلاد التي انتهىٰ إليها فلم يقع له علىٰ خبر (لم يستطع أن يحصل علىٰ أي معلومات)» وابن خلدون: «فزدت ما نقص من أخبار ملوك العجم بتلك الديار (فملأت الفجوة في المعلومات التاريخية حول الحكام الغير عرب)».

الوضع» من lost control، وعند غيره من كبار الكتاب: «فقد وعيه تحت وطأة هذا الهول» من lost consciousness. وعند بعض الكتاب: «فقدَ اهتمامه بالجميع»، وهي من lost interest. وقولهم (فقدَ الأمل) غلب علىٰ (اليأس والقنوط) في كلام المعاصرين. و(فقد السيطرة) المتفرنج البارد غلبَ علىٰ قول العرب: خرج الأمر من يدهم وعن طوعهم، واعتاص عليهم، واستعصىٰ، وما ملكوا أمره، وغلب عليهم. و(فقد وعيه) غلبت علىٰ قول العرب: (أغمي عليه، وغُشي عليه) و(فقدَ الاهتمام في الناس) غلبت علىٰ: (مال عنهم، ورغب عنهم، وزهد فيهم)، وغيرها كثيرٌ تُستعمل فيها (فقدَ) علىٰ طريقة الإفرنج.

ومن ذلك قولهم (أمَّن) وهذه من قول الإنجليز (secure)، والإنجليز يستعملونها بمعنىٰ الأمن، الذي هو ضدُّ الخوف، ثم استعملوها بمعنىٰ نيل الشيء وأخذه ومَلكه وإصابته، فيقولون: أمَّن المال لأمر كذا، وأمَّن عملًا في مكان كذا[1]. وقد ذكرها بعض العلماء المعاصرين، ورجَّح أن أصلها من (تقمَّن)، وقال: «تقمَّن: إذا أشرف الشيءَ ليأخذه . . . علىٰ هذا، فأمَّن هي من قمَّن، والعامة جاءت بالهمزة مكان القاف كما هي عادتهم»، وهذا بعيد جدًّا.

ومن ذلك قولهم (محترف واحترافي)، كقول بعض المعاصرين: «كأنك بين يدي أديب محترف كبير أتقن وأجاد»، وهذه من قول الإنجليز (professional) والإنجليز تستعملها في الأصل للمحترف بالشيء، أقصد أهل الحِرَف الذين يتكسبون بها، كأن تقول: فلانٌ محترفٌ بالكتابة، تريد أن الكتابةَ صنعته وحرفته.

---

(١) والإنجليز يترجمون بها هذه الآية: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ (لأمنت كثيرا من الخير)﴾، وقوله ﷺ: «لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا (يؤمِّن به وسائل الراحة الدنيوية)». ويستعملونها في ترجمة قول ابن منقذ: «قال كنا نريد لهذا الرهوار سرجًا مليحًا (نريد أن نؤمِّن سرجًا أنيقًا)» وقوله: «وكان يتكلف في تسيير قوم من أصحابه إلىٰ البلاد لشرىٰ البزاة، حتىٰ أنه أنفذ إلىٰ القسطنطينية [من] أحضر له منها بزاة (أمَّن له)» وترجمتهم قول ابن خلدون: «وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل علىٰ صاحبه (وأمَّنوا دعمَ حكام النصارىٰ)».

إلا أن الإنجليز توسعوا في استعمالها، فجلوها بمعنىٰ الحاذق للشيء البارع فيه المتقن المحكم له، كأنهم أرادوا أنه اتخذ الأمر حرفةً حتىٰ حذقه. فدخلت في لغة العصر علىٰ حالها وغلبت علىٰ ما كانت العرب تستعمل. ولا يبعد أن يقرأ بعض المعاصرين قول بعض المتقدمين: «احترف بالغناء»، أو ما يشبهه فيظنَّ أنهم يريدون أنه أتقن الغناء وحذقه.

ومن ذلك قولهم (سطحي) كمثل قول بعض المشايخ: «بعض الناس السطحيين يقولون كيف يظن يونس -وهو نبي- أن الله لن يقدر عليه؟» وكقول بعض كبار علماء العربية: «أما النصرانية فلم يكن لها أتباع كثيرون، وكان المتمذهبون بها لا يعرفونها إلا معرفة سطحية»، وكقول بعض أساتذة الشريعة: «لا يمكن بحال قبول مثل هذه السطحية في التبرير»، وهي من قول الإنجليز superficial، والعرب تستعمل لهذا جملةً من الألفاظ، كأن تقول: ظنَّ بعض المغفلين كذا، وفلانٌ لا يعلم من النصرانية إلا ظاهرها، ولا يُقبل بحال مثل هذا الجفاء في التعليل[1]، ونحو ذلك.

ومن ذلك قولهم (يشير إلىٰ كذا، وهو مؤشر علىٰ كذا)، كقول بعض أساتذة الشريعة: «[هذا النص] يشير إلىٰ أن هذا الافتراء بدأ في نهاية القرن الثالث». وكقول بعض دكاترة العربية: «المرأة بطبيعتها تنفر من شيب الرجل بوصفه مؤشرَ الضعف». وهو من قول الإنجليز (indication) ومعناها عندهم في الأصل الإشارة إلىٰ الشيء بيدٍ أو نحوه حتىٰ يُميَّز، ثم توسعوا في استعمالها، فجعلوها للدليل علىٰ الشيء والقرينة والعلامة والأمارة والآية. فيصلح أن تقول: (في ذلك دليلٌ

---

(١) وأفادني الشيخ فيصل بشاهدٍ من كلام ابن المقفع علىٰ استعمال الجفاء بمعنىٰ (السطحية)، وهو قوله: «فإنكَ إن أردتَ لقاءَ الجاهلِ بالعلمِ، والجافي بالفقهِ، والعيي بالبيانِ...»، يريد بالجافي السطحي، وبالفقه (العُمق).

علىٰ قِدَمِ هذا الافتراء)، و(لأنه دليلٌ علىٰ الضعف وقرينةٌ عليه)[1].

ومن ذلك قولهم (حقل)، في مثل قول بعض أساتذة الشريعة: «لأنها في الحقيقة تدل علىٰ مساهمته الجادة في حقل التفسير»، وكقول بعض أساتذة العربية: «لا نرىٰ وجهًا لما يدعو إليه بعض العاملين في حقل الترجمة والتعريب». وهذه من قول الإنجليز (field) ومعناها في الأصل الحقل، أي القطعة من الأرض التي يُزرع فيها. ثم توسع فيها الإنجليز فاستعملوها للعلم والفنِّ، فيقولون: (حقل التفسير وحقل التاريخ)، يريدون علم التفسير وعلم التاريخ أو فن التاريخ. ولو أسقطَ اللفظة أصلًا لكان أحسن، وأقرب إلىٰ أساليب العرب، لأن الإفرنج إنما استعملوا لفظةَ (الحقل) لأنه لا يجمل في لغتهم أن يقال: هو كثير التصنيف في الفلسفة، فزادوا هذه اللفظة اضطرارًا وقالوا: التصنيف في حقل الفلسفة.

ومن ذلك قولهم (مدرسة) في مثل قول بعض أئمة العربية: «وإذا تركنا المدرسة البصرية إلىٰ المدرسة الكوفية وجدنا لها إمامًا مشهورًا في هذا العصر هو ثعلب»، وكقول بعض كبار أئمة الأدب: «يُعد أميل إلىٰ مدرسة الحديث منه إلىٰ مدرسة الرأي». وهذه من قول الإنجليز (school) ومعناها في كلامهم المدرسة التي يُدرس فيها، ثم توسعوا في استعمالها فجعلوها للمذهب والطريقة.

ومن ذلك قولهم (إنسانية وبشرية)، كما في قول بعض العلماء: «تقوية وشائج التعاون مع الإنسانية جمعاء»، وقول غيره: «ولهذا كله كانت البشرية محتاجة إلىٰ معرفة صحيحة للرب سبحانه». والأصل في (humanity) أنها مصدرٌ

---

(١) والإنجليز يستعملونها في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (مؤشرا عليها)﴾. وتراهم يستعملونها في قول ابن حزم: «وإدامة نظرها دليلٌ علىٰ التوجع والأسف (مؤشرٌ)». وقول ابن خلدون: «فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة علىٰ الملك ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر (يفقد الناس الصفات الجيدة التي كانت علامة ومؤشرًا للسلطة الملكية، ويتبنون الصفات السيئة المعاكسة)».

من (البشر والإنسان)، ثم توسعت الإنجليز في هذه اللفظة واستعملتها لـ(الناس) بإطلاق[1]. ولو تأملتَ هذا الاستعمال، لوجدتَ غرابته كغرابة قول قائلٍ لو قال: (لا بد أن تجتمع الآدمية)، إلا أنا استسغنا الإنسانية والبشرية لاعتيادنا لها.

ومن هذه العبارات قولهم (درس) في مثل قول بعض الكتاب: «هذا أول درس نتعلمه من تلك السيرة العطرة» وكقول بعض أساتذة التاريخ: «العرب لم يتعلموا شيئًا من دروس الأزمة». وهذه من قول الإنجليز (lesson)، والإنجليز تستعمل هذه اللفظة في الأصل للدرس، كقولك: ألقيتُ درسًا في الفقه. ثم توسع الإنجليز في اللفظة فاستعملوها للعظة والعبرة[2]. و(التعلم learn) أيضًا قد يستعملها الإنجليز بمعنىٰ الاتعاظ، وأخذها المعاصرون علىٰ صورتها، كما في قولهم: (تعلم من أخطاء الآخرين) يريدون اتعظ بهم.

ومن هذه الألفاظ قولهم (تحدي) في مثل قول بعض الكتاب: «كثيرة تلك التحديات التي واجهت الإسلام والمسلمين علىٰ فترات متقاربة أو متباعدة» وكقول بعض الكتاب: «تطورت فكرة الجامعة الإسلامية كردٍّ علىٰ تحدي الاستعمار وفرقة المسلمين». وهذه من قول الإنجليز (challenge) وهم يستعملونها ويريدون بها في الأصل التحدي حقيقةً، ثم توسعوا فاستعملوها للخطوب والمحن والبلايا والشدائد والأمر الكؤود الجسيم. وأخذها أهل العصر علىٰ حالها.

ومن هذه الألفاظ قولهم (صفَّىٰ)، كما في قول بعضهم: «جاءت تصفية كعب بن الأشرف بعد معركة بدر الكبرىٰ»، وهي من قول الإنجليز (liquidate)، ومعناها في كلام الإنجليز أن ينفي الشوائبَ عن الأمر المصَفَّىٰ، كتصفيتك

---

(١) ويترجمون بها قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (بيان للبشرية)﴾. ويترجمون قوله ﷺ في من أحدث في المدينة: «عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (والإنسانية جمعاء)».

(٢) وهم يستعملونها في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (تعلموا درسًا)﴾. وتراها في ترجمتهم لقول ابن حزم: «وكفىٰ بهذا واعظًا لمن عقل (يجب أن يكون هذا الدرس كافيًا لشخصٍ عاقل)»، وقول الماوردي: «إن للباقي بالماضي مُعْتَبَرًا (هناك درس يتم تعلمه من الماضي من قبل الجميع)».

الشرابَ. ثم توسع الإفرنج في هذه اللفظة وصارت لغير ذلك، كقولهم: صفَّىٰ دَيْنَه وحسابه، أي قضاه، وصفَّىٰ الشركةَ، أي حلَّها، وصفَّىٰ المرءَ، أي قتله، وهذا الذي أراده صاحب المثال، وهذه الاستعمالات الإفرنجية كلها تراها في العرنجية.

ومن ذلك (يدين) كما في قوله بعض الكتاب: «الشاعر العظيم والذي أدين له بحبي للشعر»، وقول بعضهم: «فهو مفهوم لا يدين بانتشاره إلىٰ أساسه العلمي». وهذا الاستعمال من قول الإنجليز owe، وهو يستعملونه في الأصل بمعنىٰ الدَّين حقيقةً، كأن تقول: أدين owe لك بكذا من المال. ثم توسعوا في الاستعمال فصاروا يستعملونها إذا أرادوا نسبةَ الأمر والفضل إلىٰ صاحبه ومسببه، فأخذها المعاصرون علىٰ حالها، علىٰ أنَّ العرب إذا أرادت نسبة الأمر إلىٰ صاحبه لم يلزمها أن تستعمل لفظة مخصوصة، فقد تقول (وليست علة انتشاره كذا، أو ولم ينتشر لكذا، أو وما كان انتشاره عن كذا). ويصلح أن تقول: (وله الفضل في حبيَّ الشعر)، بدل «أدين له بحبي للشعر».

ومن هذه الاستعمالات المتفرنجة قولهم (يمارس) كما في قول بعض الكتاب: «وقد حث القرآن الكريم علىٰ ممارسة العدل دنوًّا من التقوىٰ»، وقول بعض الكتاب: «تنبه [عائشة ﵂] أنه لا فرق بين ممارسات الرسول اليومية وبين ما يدعو إليه القرآن». وهذه من قول الإنجليز exercise وpractice، والإنجليز تستعملها في الأصل لمعاناة الشيء ومزاولته والتعود علىٰ شدَّته والدربة عليه، وهذا المعنىٰ قريبٌ من معنىٰ (الممارسة) في العربية، كما في قول عباس بن مرداس في معالجة الحروب:

ومارس زيدٌ، حين أُقصِدَ مُهرُه ... وأجدر به في مثلها أن يمارسا!

وكما في قول جعفر بن وهب، في شدة معاناة الأمر:

هل الحفظ إلا للصبيّ، وذو النُّهىٰ ... يُمارس أشغالًا تُشرِّدُ بالذِّكر

وليس هذا ما يُريدونه بـ (ممارسة العدل وممارسة التأثير والممارسات السيئة) وأشباهها، وهل يستساغ أن يُقال: فلانٌ يعاني العدل ويزاول التأثير ويمتنع عن المعالجات السيئة! ليس في هذه العبارات ممارسة لشيء ولا معاناة، وإنما هو استعمال إنجليزي، والإنجليز تستعمل اللفظة أيضًا لمطلق العمل، وللعادة والسنة ونحوها، وأخذها أصحابنا علىٰ حالها[١].

ومن هذه الألفاظ قولهم (صحي)، كما في قول بعضهم: «وشهدت هذه الحقبة فهمًا غير صحيٍّ للدين؛ فقد ارتبط بالخرافة حينًا، وبالتملق والمراءاة أحيانا أخرىٰ»، وكقول بعض الكتاب: «يُخيَّل إليَّ أن الانفتاح علىٰ روايات الشعوب الأخرىٰ أمرٌ صحيٌّ جدًّا بالنسبة إلىٰ الكاتب العربي». وهذه من قول الإنجليز healthy، وهم يستعملونها بمعنىٰ الصحيّ، كالذي في بغية الطلب لابن العديم: «وهي مدينة حسنة البناء صحية الهواء». هذا الأصل في كلام الإنجليز، إلا أنهم توسعوا في استعمالها، فجعلوها للأمر الحسن المحمود، والأمر النافع، والأمر السويّ السليم، وأخذ قومنا هذا الاستعمال الإفرنجي علىٰ صورته[٢].

ومن ذلك قولهم (وفقًا)، كما في قول بعض الكُتَّاب: «ووفقا للمؤرخين اليهود فإن هذا الصندوق يحتوي أيضًا علىٰ عصا»، وقول بعض أساتذة الأدب:

---

(١) وترىٰ بعض الإنجليز يستعملها في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ (أن يمارسوا أي اختيار)﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ (بممارسة العدل بينكم)﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ (تعظوا بشيء لا تمارسونه)﴾. وقوله سبحانه: ﴿قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ (أنا حقا أحد الذين يزدرون ممارساتكم)﴾. وتراها في ترجمتهم قول ابن طفيل: «فالتزم خدمته والاقتداء به والأخذ بإشارته فيما تعارض عنده من الأعمال الشرعية التي قد تعلمها في ملته (الممارسات الدينية)» وقول ابن حزم: «وحد الحمق استعمال المعاصي والرذائل (ممارسة المعاصي)»، وقوله: «وقد صح في إجماع الأمة المنقول بالكافة الذي يَصحبه العمل عند كل فرقة (الممارسة)».

(٢) وتأمل ترجمتهم لقول ابن حزم: «وحد السخف هو العمل والقول بما لا يحتاج إليه في دين ولا دنيا ولا حميد خلق (أو خلق صحي)».

«وخطاب السلطة، وفقًا للجاحظ، هو خطاب يتجاور فيه المقدس بالمدنس». وهذه من قول الإنجليز (according) ومعناها في الأصل موافقة الشيء وملاءمته، إلا أن الإنجليز تستعملونها عند نسبة الكلام والرأي إلىٰ صاحبه، فكأن الإنجليز تحرَّجت من قول: (ذكرَ فلانٌ، وقال، وحكىٰ، وروىٰ، وزعم) فاستعملوا هذه اللفظة[١].

ومن هذه الألفاظ قولهم (غطَّىٰ)، كما في قول بعض المعاصرين: «كان بإمكان ساعٍ ذي مهمة خاصة أن يغطي المسافة من المدينة إلىٰ بغداد في تسعة أيام»، وكما في قول بعض الكُتَّاب: «ويتألف هذا الكتاب الموسوعي من خمسة مجلدات ضخام غطَّىٰ فيها جميع مسائل الفقه». وهذه من قول الإنجليز (cover) وهذه يستعملونها في الأصل لتغطية الأمر وستره، كأن يُقال: غطَّىٰ وجهه بيديه. ثم توسعوا في استعمالها فجعلوها لطائفةٍ من المعاني، منها الذي كانت تستعمل له العرب (قطع)[٢]، وأخذها المعاصرون علىٰ صورتها، كما في المثال الذي ذكرتُ. والإنجليز تستعملها أيضًا بمعنىٰ موضوع الكلام، فيقولون: هذا الكتاب يغطي نفس المسائل الذي ذكرناها أمسِ، وقد تعبر عن هذا المعنىٰ بقولك: إن موضوعه نفس ما ذكرناه، وإنه يذكر ويتكلم ويورد ويَنْظُرُ في نفس ما ذكرناه، وهو في نفس الأمر، وهو متضمن له مشتملٌ عليه، وغيرها ألفاظٌ كثيرةٌ عريقةٌ في العربية تغني عن قول: هذا الكتاب (يستر) مسألة كذا. والإنجليز أيضًا تستعملها

(١) وتراهم يستعملونها في ترجمتهم لهذه الجملة الواردة في صحيح البخاري: «قال حماد: إذا تكفل بنفس فمات فلا شيء عليه. وقال الحكم: يضمن (وفقًا لحماد ... ووفقًا للحكم)»، ويترجمون بها قول الواقدي: «واسمه فيما ذكر الكلبي: قيس بن سكن (واسمه، وفقًا للكلبي: قيس بن سكن.» وقول ابن خلدون: «وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرين ألفًا كلهم متبوع علىٰ ما نقله سيف قال وكانوا في أتباعهم أكثر من مائتي ألف، وعن عائشة والزهري فإن جموع رستم الذين زحف بهم سعد بالقادسية إنما كانوا ستين ألفًا (وفقًا لسيف، ووفقًا لعائشة والزهري ...)».

(٢) كما في ترجمتهم لقوله ﷺ: «إنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا (دون أن يغطي المسافة كاملةً)».

بمعنىٰ: استوفىٰ المسائل وحصرها جميعًا وأتىٰ عليها، كما في المثال الذي ذكرتُه. وهم يستعملون (التغطية) أيضًا لغير ذلك كنقل الأخبار ونطاق الشيء، وغير ذلك مما أخذه المعاصرون علىٰ صورته، وهذا في لفظة واحدة.

ومن هذه الألفاظ قولهم (عالَم) كما في قول بعض الكُتَّاب: «هناك منطقة القرن الإفريقي -مثلًا- وهي منطقة قريبة من العالم العربي». وقول بعض الكُتَّاب: «تستطيع عين الرائي أن تميز لأول وهلة حدود العالم الإسلام في عهد أبي بكر ﵁». وهذه من قول الإفرنج (world)، ومعناها في الأصل عندهم هذه الدنيا كلُّها والخلق كلهم، وهذه يصلح أن تناظرها لفظة (العالم)، إلا أن الإنجليز توسعوا في استعمال اللفظة وجعلوها لكل بلدانٍ يجمعها أمر جامع، فقالوا: العالم النصراني، والعالم الأوربي، والعالم العربي، والعالم الإسلامي، ونحو ذلك. فأخذ أصحابنا التسمية علىٰ حالها. وانظر في هذين المثالين المعاصرين التي أوردتها، ثم تأمل ما يشبهها في المعنىٰ عند الأوائل كقول السيرافي (ت: ٣٣٠هـ) في رحلته: «كانت هذه البلاد من الهند تقرب من بلاد العرب، وأخبارها متصلة بهم في كل وقت»، ولو كان عصريًّا لقال: (قريبة من العالم العربي) كما في المثال السابق. وتأمل قول اليعقوبي (ت: ٢٩٢ هـ): «وآخر مدن بلاد الإسلام من هذه الناحية مدينة في جزيرةٍ في وسط النيل يقال لها: بلاق» ولو كان معاصرًا لقالَ: (في العالم الإسلامي) كما في المثال.

ومن ذلك قولهم (مباركة)، كما في قول بعض الكُتَّاب: «وهنا يجب أن نلاحظ أن حلف الفضول الذي حاز مباركة رسول الله ﷺ، بعد ذلك، لم يكن منطلقه الانتصار لرجل مسلم، بل كان لكافر». وهذه من قول الإنجليز blessing، ومعناها في الأصل مباركة الشيء. إلا أنَّ الإنجليز يستعملونها أيضًا للإذن بالشيء وقَبوله والرضا به وتأييده. فيقولون: أعطاني أبي مباركته للسفر، أي أذن لي ورضي بسفري. ويقولون: هذا الأمر حاز مباركة جميع الدول، أي أيَّدته كلُّها. ولعل أصل هذا الاستعمال أن النصارىٰ كانوا إذا أقدموا علىٰ أمرٍ عظيمٍ استأذنوا

قساوستهم، وسألوهم أن يباركوا لهم أمرَهم هذا، فكانت هذه المباركة إذنًا وقَبولًا وتأييدًا. ودخل هذا الاستعمال في كلام أهل العصر وشاع جدًّا.

وأنا هاهنا لم أذكر لك إلا الألفاظ المفردة، وفي العبارت شيءٌ كثير مثلها، لا طاقة لي بجمعه وما بي حَيْلٌ للتفتيش عنه، إلا أني أذكر منها شيئًا قليلًا ها هنا، فمن ذلك قولهم الذي مرَّ: (الدائرة القريبة والداخلية inner and close circle)، وفصيحه الخاصة والخواص والبطانة والدِّخلة والوليجة.

ومن هذه العبارات قولهم: (أرضية مشتركة common ground) وفصيحه (كلمة سواء) كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، ووجدت بعض الإنجليز ترجمها بقوله: (دعونا نجتمع معًا علىٰ أرضية مشتركة).

وأفادني الشيخ أيوب الجهني بمرادف ثانٍ للأرضية المشتركة، وهو (الأمر الجامع) كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾، ووجدت أكثر الإنجليز يترجمون (الأمرَ الجامع) بقولهم: (اهتمام مشترك common interest and concern)، وهذه أيضًا من العبارات المتفرنجة المشهورة في كلام المعاصرين.

ومن هذه العبارات أيضًا (السلام الداخلي) من قول الإنجليز (inner peace) وفصيحه: السكينة والطُّمَأنينة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، والإنجليز يترجمونها بقولهم: (منحهم السلام الداخلي).

ومن ذلك قولهم (حقيقةَ أنه كذا)، وهي من قول الإنجليز (the fact that..)، وهذه يكفي فيها استعمال المصدر أو حرفٍ مصدري، كما في الآية: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، وترجمه بعضهم إلىٰ الإنجليزية بقوله: (هل تستاؤون منا لأيِّ سبب غير حقيقة أننا نؤمن بالله).

ومن ذلك قولهم (حقل الرؤية) من (field of vision) ويريدون بها مدىٰ البصر.

ومن ذلك قولهم (إلىٰ درجة أنه) من (to the extent that) ويريدون به (حتىٰ)، كالتي في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾.

وهذا شيءٌ من الاستعمالات المتفرنجة لبعض الألفاظ، وحسبك به ها هنا، ويأتيك غيرها إن شاء الله في باب الأساليب، وفيه أمدُّ النفس وأبسط الكلام، وأكثر من الأمثلة.

وأظن المرء لو تتبع كلام المعاصرين، ونظر في كلِّ استعمالٍ للألفاظ محدَثٍ لم يكن عند المتقدمين، لوجده علىٰ طريقة الإفرنج، موافقًا لاستعمالهم، مميتًا -في الغالب- لشيءٍ من الكلام الفصيح. وكنت أذاكر شيخنا أبا قصيٍّ فيصلًا المنصور في بعض الألفاظ المتفرنجة فقال لي: «لو قيل لكل لفظٍ محدثٍ من كلام المعاصرين: (الحق بأهلك) لما بقي من كلامهم شيء!» وصدق، ومصداق قوله أنك لو نظرتَ في معاجم المعاصرين، ورأيتَ معاني الألفاظ واستعمالاتها واشتقاقاتها التي زادت فيها علىٰ معاجم المتقدمين، لاستقام رد أكثرها إلىٰ لغات الإفرنج كالفرنسية والإنجليزية، ولا يسلم منها إلا النزر القليل الذي لا يُعبأ به.

وهذه الألفاظ كلها ممكنة التخريج، كأن يُقال إن الحلم مثل الأمنية، من جهة بُعد وقوعه، فجاز بذلك أن تقول: ما هذه إلا أحلام، بمعنىٰ ما هذه إلا أماني. ويُقال إن التيار يشبه المذهب، من جهة أن أصحاب المذهب الواحد والطريقة الواحدة يجيئون كالموجة والتيار في اتصال بعض أقوالهم وطريقتهم ببعض. ويُقال إنك إذا تبنيتَ المذهب، فقد صرت تنتسب إليه وينتسب إليك، كانتساب الولد إلىٰ من تبنّاه. ويُقال إن أحب الطعام إليك سُمِّي طعامًا مفضَّلًا لأنه مقدَّمٌ عندك علىٰ سائر الطعام مفضَّلٌ عليه، ويُقال إن المعتذر آسفٌ لأن إساءته أحزنته، فهو يذكر حزنَه اعتذارًا لا إخبارًا. ويُقال إن (يدين) استعمالٌ

مليح، لأن من له فضلٌ عليك في أمر، ففضله ذاك كالدين عليك، تشكره له. ويُقال إن (الدرس) عبرةٌ وموعظة، من جهة أنك تعتبر به، فكأنما هو درسٌ يُدرِّسك إياه أحد. ويُقال إن المؤشر دليل، لأن من أشار إلىٰ شيءٍ فقد دلَّ عليه.

وبهذه التخريجات ينتهي المرء إلىٰ لغةٍ إفرنجية الاستعمال تُميت كلامَ العرب، فهذه الألفاظ -كما تقدَّم- ليست ألفاظًا تُزاد في كلام العرب، وإنما هي كـ (يهود) لا يعجبها أن تنزلَ الأرض ضيفةً فتقيمَ فيها مع أهلها علىٰ استحياء تعرف لاستعمالات العرب العريقة وألفاظها وتراكيبها وأساليبها حقَّها وتحفظ لها حرمتها وأوليَّتها، بل لا ترضىٰ حتىٰ تميتها وتستبدَّ بأرضها وتهلك طارفها وتليدها ولا تقنعُ حتىٰ لا ترىٰ استعمالًا أو أسلوبًا عربيًّا علىٰ ألسنة الناس. وإن نجا منها استعمالٌ أو تركيبٌ أو أسلوب، فهو كالغريب في بلده والمقيم في أرضٍ أُخرِجَ منها أهلُه. وتأمَّل هذا في أكثر ما ذكرتُ من الألفاظ، تجد المستحيا علىٰ ألسنة الناس الاستعمالَ المتفرنج، أما استعمال العرب الفصيح فهو عند الناس في منزلة الغريب والوحشي، يتعلمونه كتعلم الإنجليزيِّ ألفاظَ شكسبير ومن قبله، لا ليستعملوها ويتذوقوها، بل لينظروا في كلام أسلافهم. ومثل هذا لا يكون زيادةً في العربية كما زعموا، بل هو نقصٌ ونقضٌ وإماتة وتحريف.

وتنتهي هذه التخريجات إلىٰ تجويز كلِّ أعجميٍّ حتىٰ ينتهوا إلىٰ تجويز هذا الكلام المتأجلز: (أمرتُ قهوةً ضعيفةً من المقهىٰ حيث هناك رجلٌ عنده شعر مستقيمٌ ويلبسه منخفضًا، وكان لباسه ذكيًّا، ثم عثرت علىٰ أني لم أحمل عليَّ مالًا). وإن شئتَ هلمَّ نجرب تخريجها عقلًا ولغةً -علىٰ طريقة العرنجيين-: قولك (أمرتُ قهوة)، يجوز أن تستعمل (أمرتُ) لأنك تقول في الكلام الفصيح: (أمرتُ بطعامٍ فأُعِدَّ)، فهي تشبه ذلك، بل فيها إحياءٌ لاستعمالٍ فصيح قديم، ويجوز حذف الباء كما هي عادة العرب في حذف حرف الجر ونصب ما بعده كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ﴾ أي كفروا بربهم، وقد يُقال إن حذف الباء جائزٌ لأن الفعل هنا ضُمِّنَ معنىٰ (طلبتُ قهوةً). ويجوز تسمية القهوة

الخفيفة الرقيقة ضعيفةً، لأن معنىٰ الضعف فيها واضح، فليست قهوةً شديدةَ الطعم ثقيلةً، وإنما فيها ضعف، فهذا استعمال مليح واضح. أما قولك (حيث هناك) فلا بأس به، فلم تخالف قواعد الإعراب، والأمر فيه سعة. وأما قولك (الشعر المستقيم) للشعر السبط، فبيِّنة، لأن في الشعر السبط استقامةً، ولا اعوجاج فيه! ويجوز قول (لبس شعره منخفضًا) لأنَّ صورةَ وضعه شعره تشبه لُبسَه اللباس، ولأن الشعرَ المُسدَل المُرسَلَ يُخفض ولا يُرفع، فجاز قول: لبس شعره منخفضًا. أما وصفُ أناقة الثوب بالذكاء فهو استعمال مليح، لأن أناقةَ اللباس تنبئ عن وفرة عقل اللابس وذكائه. أما العثور علىٰ الشيء بمعنىٰ الفطنة إليه فواضح، فالعثور علىٰ الشيء معرفته والاطلاع عليه بعد جهلٍ، وكذلك التفطن للأمر والتنبه له ومعرفته بعد غفلةٍ وجهل، فهما بمعنىٰ واحد. وأما قوله (عليَّ مال) للمال الحاضر، فهو استعمالٌ مليحٌ لحرف الجر، بل لعله أدقُّ من قول العرب في هذا المعنىٰ (معي مال)، لأن المعية لا يلزم منها في التصور أن يكون المال حاضرًا عندك ساعةَ الكلام، بل ربما كان في سيارتك، أما (عليَّ مال) فمعناها أن المال حاضرٌ علىٰ جسدك ملاصقٌ له، وهذا أوضح وأبين وأبلغ في هذا المعنىٰ.

فالتخريج العقلي -كما رأيتَ- هين سهل، ولو بسطتُ الحجة أكثر من ذلك لقدرت أن أسوق لكل هذه اللحون شاهدًا من كلام العرب يقوي مقالتي! وفاسد الذوق متىٰ اعتاد مثل هذه العبارات قبلها واستحسنها، وضاق بمن ينكر عليه استعمالها، ولم يطلب هذه التخريجات إلا ليتترس بها ويجعلها حجةً علىٰ الناس، كصاحب الهوىٰ يفتش عمن يحتج لهواه الفاسد، ويوهم أنه إنما أراد التفتيش عن الحق. ولستُ أدري من أوهم الناس أن الإفرنج تضع لغتها هكذا تعسفًا، بل كل اشتقاقٍ تشتقه الإفرنج في لغاتها إنما مرده إلىٰ العقل. وإنما مدار الأمر ومحل الخلاف الذوق كما تقدم، فإن من تعوَّد علىٰ (فقدتُ الاهتمام في الفلسفة) لن يرضىٰ بـ (زهدتُ في الفلسفة)، ولا يراها تقوم بالمعنىٰ الذي في نفسه، ولن يقنع بقولك ذلك ولو جعلت تعد له الشواهد من الكلام الفصيح من

الفجر حتىٰ المغرب، لأن نفسَه علَّقت هذه المعاني بهذه العبارات والاستعمالات المتفرنجة. وهذه الاستعمالات وجدت -في أول العمر- القلبَ خاويًا فتمكنت منه، فلم تأذن لغيرها بدخوله بعد الكِبَر.

وقد ذكرتُ مرةً في بعض مواقع التواصل قولَ المعاصرين (نمط حياة وأسلوب حياة)، كما في قول بعض الكُتَّاب: «الانتقال من الريف إلىٰ المدينة هو تغير صعب من نمط حياة ريفية إلىٰ نمط حياة حضرية». فقلتُ إن اللفظة العربية الفصيحة في ذلك هي (العيش والعيشة والمعيشة ونحوها)[1]. والشواهد عليها كثيرةٌ في كلام العرب الأوائل، وقد ذكرتُ طرفًا منها إذ ذاك، فزاد بعض الفضلاء شواهد أُخَر، ومنها ما ذكره الدكتور فيصل المنصور من قول جرير:

تكلِّفني معيشةَ آلِ زيدٍ ومن لي بالمُرَقَّق والصِّنابِ!

وذكر غيرُه شيئًا كثيرًا غيرَ ذلك، وهذه الألفاظ لا يصلح ترجمتها إلا بقولك lifestyle. وعلىٰ كثرة الشواهد التي أُورِدَتْ، فإن بعض الإخوان استنكرها، ولم يرها موافقةً للمعنىٰ الذي يريد. ولهذا نستنكر هذه الاستعمالات الإفرنجية، لأنها تحجب الناس عن كلام العرب الأول. ومن أراد تذوق كلام الله وكلام رسوله ﷺ، شقَّ عليه ذلك إذا لم تعتده نفسه، واعتادت ألفاظًا متفرنجةً كـ(أسلوب الحياة) و(مؤشرات) و(الشخص المفضل) و(الدائرة القريبة) و(اهتمام مشترك) و(تبنَّىٰ رأيًا) و(هذه إيجابيات الكلام بموضوعية بدون تبرير)، فألفها وتشربها حتىٰ صار ينكر غيرها، ويستسمجه، فلا يتذوق قوله ﷺ (خير معايش الناس لهم ...) ولا يتذوق الشواهد التي كنت أذكرها عند الألفاظ التي مضت.

والناس تزعم أنها لزمت هذه العربية لأنها عربية القرآن، وتراها معتنيةً

---

(١) والإنجليز تستعملها في ترجمة قوله ﷺ: «خَيْرُ مَعَايِشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَطِيرُ عَلَىٰ مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ إِلَيْهَا (نمط الحياة الأفضل هو) ...». وتراها في ترجمة قول الأصمعي: «ليس هذا عيش آل الخطاب (ليس هذا نمط حياتهم)» وقول الجاحظ: «ولم احتجوا لظلف العيش علىٰ لينه (أسلوب الحياة التقشفي)» وفي ترجمة قول الواقدي: «ولا معيشة أهنا من العفة (ولا أسلوب حياة أكثر متعة من العفة)».

بالنحو متحريةً لمجانبة اللحن، إلا أنها تذر الألفاظ وتعرض عنها، مع أن الأصل في الكلام المعاني، أما الإعراب فعارضٌ عليها، ولا يجادل في ذلك إلا جاهلٌ أو متجاهل. فمن قال بتبدل الألفاظ ومعانيها، فقد قال بتبدل الأصل، ومن قال بتبدل الأصل فقد قال بتبدل اللغة كلِّها، فيصير التمسك بالنحو إذ ذاك كتمسِّك ملَّاحٍ بشراع سفينةٍ قد غمرها البحر وأغرقها. ولا تظنَّن أني بذلك أحقر الإعراب، لا والله، بل هو عظيم القدر، وكثيرٌ من المعاني لا تُفهم إلا إذا استقام الإعراب، وقد نزل القرآن معربًا، وكان النبي ﷺ وصحابته الكرام يعربون الكلام، فالإعراب من لغتهم، ومن أنكره وهوَّن منه فهو جاهلٌ بكلام العرب. إلا أني رأيت كثيرًا من الفضلاء يبالغ في شأن النحو، وينصرف عن المعاني والأساليب، بل يهوِّن منها ويستهزئ بمن جعلها أصلًا في الكلام، وهذا غلط. فإن الرجل لو أضاع دلالات الألفاظ واستعمالاتها، وعبَّر عن الأغراض بغير ما عبرت به العرب، واستعمل متفرنج الأساليب، لما كان موافقًا لكلام العرب ولا قادرًا علىٰ فَهم ما تكلموا به ولا تذوق كلام الله ولا كلام نبيه ولما تهيَّأ له النظر في مصنفات علماء الأمة قبلنا في جميع الفنون، ولو استظهر ألفيَّاتِ النحو كلها، وحفظ كتبَ الصرفِ كلَّها، وأقام الإعراب ولم يدخل في كلامه لحنٌ البتة، فإنما اللغة بمعانيها واستعمالاتها وأساليبها.

والأصل أن اللحنَ في استعمال الألفاظ ملحقٌ بباب الأساليب، إلا أني أوردتُ ها هنا طرفًا منه يغني عن شرحه فيما بعد، ويرد الكلام فيه مبسوطًا إن شاء الله في باب الأساليب والاستعمالات.

الإماتة والتغليب

وأما الإماتة والتغليب، فهي علىٰ ما ذكرتُ لك في باب النحو، فإنَّ كثيرًا من الألفاظ تُمات أو يُغلَّبُ عليها استعمالٌ موافقٌ لكلام الإفرنج، سواء أكان هذا الاستعمال صوابًا أم خطأً. وكلُّ ما تقدَّم ذكره من الألفاظ داخلٌ في باب الإماتة، فالإيجابيات والسلبيات أماتت والمحاسن والمساوئ، وفقد الاهتمام في الشيء أمات الزهد فيه. وأنتَ إذا نظرتَ في الحواشي التي وضعتُها وأثبتُّ فيها تراجم الإنجليز لكلام العرب رأيتَ أن الناس هجرت أكثر هذه الاستعمالات العربية وما صارت تستعمل إلا الألفاظ التي استعملها الإنجليز، وراجع هذه الألفاظ في مواضعها.

وفي الإماتة شيءٌ أدق من هذه الواضحات، وهو أن تُغلَّب لفظةٌ صحيحة نادرة قليلة الورود في كلام العرب، علىٰ لفظةٍ فصيحة مشهورةٍ في كلام المتقدمين، بل لربما كانت مشهورةً في كلام العامة حتىٰ الساعة. فمن ذلك قولهم: (يُقال) في مثل قولنا في العامية: (زارنا رجل يقال له أبو محمد)، وهم يغلبون عليها اللفظة الموافقة لكلام الإفرنج، (أي: يُدعىٰ كذا). وقد رجعت إلىٰ نحوٍ من خمسين ترجمةً إنجليزية لقوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾، فوجدتها كلُّها تترجم «يُقال» بـ (called)، أي (يُدعىٰ إبراهيم)، وهذا الاستعمال الإنجليزي هو الغالب علىٰ كلام المعاصرين، ولا تكاد تجد أحدًا يستعمل (يُقال)، مع أن العامة تستعملها، ولو استعملتَها في الكتابة لعُدَّت تكلفًا.

ومن ذلك قول العامة (أبطا علينا فلان) فلفظة الإبطاء هذه يُراد بها أنه تأخر، وهي لفظةٌ فصيحة، كما في حديث أوس بن حذيفة الثقفي رضي الله عنه، قال: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ أَبْطَأْتَ عَلَيْنَا اللَّيْلَةَ . . .» وهذه لا تكاد تراها في العرنجية، فليس في الإنجليزية لفظٌ لها. ولما ترجمَ الإنجليزُ الحديثَ قالوا: (came late، أي: جئتَ متأخرًا)، وهذا الاستعمال هو الغالب في العرنجية، فأميتت اللفظة وغُلِّبَ عليها ما يوافق الكلام الفرنجي، حتىٰ إن لفظةَ (تأخر) قلَّت في كلامهم، وشاع في كلامهم (جاء متأخرًا). وقد وجدت بعض الإنجليز ترجموا لفظة الإبطاء في بعض الأحاديث بـ (استغرق وقتًا طويلًا)، كما في حديث عائشةَ رضي الله عنها، قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي، وَلَهُ حَاجَةٌ، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِ . . .» ترجموها بقولهم: أخذتُ أو استغرقتُ وقتًا طويلًا، وهذا العبارة مشهورةٌ في العرنجية.

ومن التغليب والإماتة ما هو أدق من ذلك، وهو أن تكون فيه اللفظة قليلةَ الورود في كلام العرب، لا تكاد تقف علىٰ شاهدٍ لها، مثل (التجاهل)، كالتي في قول بعض المعاصرين: «هذه الاعتبارات لا تعني تجاهل التحذير أو التشكيك في صحته»، وهذه غُلِّبت لموافقتها استعمال الإفرنج، أقصد (ignore)، وقلَّ استعمال الألفاظ الفصيحة الكثيرة الورود في كلام العرب، «مثل (الترك والإعراض)»[1].

ومن الألفاظ المغلَّبة ما يكون فصيحًا صحيحًا، إلا أنه يغلب علىٰ كل مرادفاته لموافقته كلام الإنجليز، وتأمل ذلك في لفظة القائد، وهذه أربع آيات

(١) «وترىٰ الإفرنج يستعملون (التجاهل)» في ترجمة هذه الآيات والأحاديث: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (وتجاهل أذاهم) و﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ (يتجاهلون التحذير) وفي الحديث: «إني لأعطي الرجل وأدع الرجل (وأتجاهل الآخر)» وحديث عائشة رضي الله عنها: «ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا حَتَّىٰ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (دُونَكِ فَانْتَصِرِي)» يترجمونه بقولهم: (ثم التفتت إليَّ، لكني تجاهلتها حتىٰ قال النبي: «عليك أن تقول شيئًا لتدافعي عن نفسك»).

وأربعة أحاديث ترجمها الإنجليز بقولهم (leader قائد)، مع أن العرب استعملت طائفةً من الألفاظ لها غير القائد. وأنتَ إذا نظرتَ في الترجمة الإنجليزية رأيتَ العرنجية موافقةً لها تستعمل (القائد) لهذه الأغراض:

الأصل	ترجمة الإنجليزية	ترجمة الترجمة
﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾	He said, "I will make you a leader of people".	قال: سأجعلك قائدًا للناس
﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾	"How dare you believe in Him before I have given you permission? He [Moses] must be your leader who has taught you magic	قال فرعون: «كيف تجرؤون أن تؤمنوا به قبل أن أكون أعطيتكم الإذن؟ يجب أن يكون (موسىٰ) هو قائدكم الذي علمكم السحر
﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾	Their leaders went off saying, 4Carry on as you are! Hold fast to your gods	ذهب قادتهم قائلين: «استمروا كما أنتم! تمسكوا بآلهتكم . . .
﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾	And they will say, "Our Lord! We obeyed our leaders and elite, but they led us astray from the Right Way.	وسوف يقولون: «ربنا! أطعنا قادتنا ونخبتنا، لكنهم قادونا إلىٰ الضلال عن الطريق الصحيح.
«حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا»	so that when He leaves no learned person, people turn to the ignorant as their leaders	فعندما لا يترك شخصًا متعلمًا، الناس يتجهون إلا الجهلاء كقادة لهم

«وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ الإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَي ابْنُ سَلُولَ»	and the leader of the false accusers was 'Abdullah bin Ubai bin Salul.	وقائد المفترين كان عبدالله بن أبي ابن سلول
«عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَىٰ أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجَالًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَتِيكٍ»	Allah's Messenger sent some men from the Ansar to Abu Rafi', the Jew, and appointed 'Abdullah bin Atik as their leader.	أرسل رسول الله بعض الرجال من الأنصار إلىٰ أبي رافع، اليهودي، وعيَّن عبدالله بن عتيق كقائدٍ لهم.
عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ، قَالَ: غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَعَلَىٰ الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ	AbuImran said: We went out on an expedition from Medina with the intention of (attacking) Constantinople. AbdurRahman ibn Khalid ibn al-Walid was the leader of the company.	قال أبو عمران: خرجنا في حملة من المدينة بنية (مهاجمة) القسطنطينية. عبد الرحمن بن خالد بن الوليد كان قائد الجماعة.

والألفاظ مثل (قائد) كثيرة، تجد اللفظة قليلة الورود في كلام العرب قبل زمن الترجمة، ثم تغلب هذه اللفظة علىٰ مرادفاتها حتىٰ تكاد تميتها، لا لشيءٍ إلا لأنها وافقت كلام الإفرنج، علىٰ أنَّ مرادفتها لربما كانت مستعملةً في كلامهم العامي(١). فكأنَّ أهل العصر لا يأخذون في (الفصحىٰ) إلا بما رضيته لغاتُ

(١) ومن ذلك أني شاهدتُ مقطعًا سُجِّل سنةَ ١٣٨٣ هـ، لهيف بن حسن الحجرف رحمه الله، وهو من أشياخ بادية الكويت، وأظنه جاوز إذ ذاك التسعين أو المئة. وكان مما ورد في كلامه قولُه: «وهو كبيرنا =

الإفرنج وأقرتهم عليه، وهذا من خفيِّ العجمة وشديدها. وتأمل هذا في النصوص التي أوردها في باب الأساليب.

وبعض المعاني لا يكون لها في لغات الإفرنج لفظٌ أصلًا. وأذكر لك ها هنا طرفًا من رسالة كتبتُها قديمًا، لعلك تروّح بها عن نفسك من ثِقَل الكتاب، وتستبين بها معنىٰ ما سيأتي بعدها، وهي بعيدةٌ عن موضوع الكتاب جدًّا، لكن لا بأس في الاستطراد والاسترواح. قلتُ في رسالةٍ سمَّيتها: (الذكر الوجيز لأكل الإنجليز):

«وأما طعام الإنجليز وشرابهم، فقد بلوتُه غيرَ مرَّةٍ، فلم أجده علىٰ كثرةِ البلوىٰ إلا مسيخًا لا طعمَ له، كأنما تدخل في بطنك هواءً ليثقلها ويَذهبَ بجوعك، أما طعم، فلا طعم. والإنجليز لا يتبِّلون طعامهم إلا قليلًا، ويَدَعُون ذلك للآكلين، فيضعون لهم التوابل علىٰ الموائد. والعارفون بالطباخة يعلمون أن الطعام إذا لم يُتبَّل ساعةَ الطبخ سَمُج. وهم إذا عالجوا الطعامَ لم يحسنوا معالجته، فتجيء صنوفه كلُّها كأنما هي أكلةٌ واحدة. وأذكر كهلةً إنجليزيةً جعلت تذكر طعامَ المشارقة وتثني عليه، وتذم طعام قومها، وذكرتْ أنْ ليس من عادتهم إطالة طبخ الطعام وإكثار ألوانه وتوابله. وقد قرأتُ كلامًا عند بعض المتقدمين يقول إن مما يفسد الأبدان إكثار ألوان الطعام وتوابله. فنحن ألذ أكلًا وأقل عافية وهم أسمج أكلًا وأصح أبدانًا. وأكل الإنجليز جملةً خفيفٌ جدًّا. ويرون مسح ما في الصحفة سوءَ أدب، ونحن نعده بركة. ويرون الأكل باليد سوء أدب، ونراه أصلًا. وأذكر أني سألت طائفة منهم عن ألفاظِ

= يومَ الوفرة»، فكأن المذيع لم يسمعه فقال «كبير هو؟» فقال ابن حجرف: «أقول: وهو شيخنا ذاك اليوم»، فتأمل كيف استعمل (الكبير) و(الشيخ) بمعنىٰ القائد عند المعاصرين.

كالتعرق والتعرمش التمشش فلم يهتدوا إلىٰ مرادف لها في لغتهم، فقدَّرتُ أن ذلك لأنهم محرومون من هذه النعم، ما يعرفونها أصلًا». اهـ

فالإنجليز ليس في كلامهم ألفاظٌ كالتعرق والتمشش، والتعرق أن تأكل بأسنانك ما بقي علىٰ العظم من لحم. والتمشش مضع ما يصلح مضغه ومصه من العظام، كرؤوسها. والعرمشة جامعةٌ لهذين الأمرين، إلا أنها من كلام العامة. والإنجليز إذا أرادت أن تعبر عن هذه المعاني لم تجد لها ألفاظًا، وإنما تستعمل لها عبارةً واصفة، كأن تقول: أكل بقية اللحم بأسنانه.

وقد لا يكون في كلام الإنجليز لفظة تعبر عن عين المعنىٰ، وإنما يكون فيها مرادفات قريبة، كما ترىٰ في ترجمة الإنجليز لهذا الحديث: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ»، استعملوا في الترجمة مرادفًا لهذه اللفظة فقالوا (تحمي ضدَّ) و(تجنِّب) ونحو ذلك.

وقد بينتُ لك في أول الكتاب كيف كان الناس بعد عصر الترجمة يُحصلون ملكاتهم من الكتب المترجمة، وهذه الكتب لا تستعمل من الألفاظ إلا ما كان موجودًا في الكتب الإفرنجية. فكانت لغة العصر تميت ما لم يكن له في لغات الإفرنج لفظ، أو قلَّ استعماله في العرنجية جدًّا حتىٰ كاد يكون مفقودًا. وأهل العصر لا يتعمدون بذلك إماتة هذه الألفاظ والتراكيب، وإنما أدوا ما كانوا يقرؤون. وأذكر لك ها هنا ألفاظًا قليلةً -من مثل ذلك- مما ورد في كلام النبي ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، ولا تكاد تراه عند أهل العصر وليس له مرادف في الإنجليزية. ولا أذكر لك هنا غريب الألفاظ ومهجور الاشتقاق، ولا ما كان مختصًّا بأهل ذلك الزمان، بل أورد ما لم تزل العرب تكثر من استعماله إلىٰ قُبيل زمن الترجمة عفوًا من غير تكلُّف. وأسرد هنا الأحاديث -مع ترجمة الإنجليز لها- من غير تفصيل:

فمن ذلك قوله ﷺ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ»(١)، وقوله: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»(٢)، وقوله: «ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ، فَمَنَعَهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ . . .»(٣)، وقوله: «فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي . . .»(٤)، وكما في حديث أبي سعيد -في رجلٍ خوّن النبي-: «نَظَرَ إِلَيْهِ [ﷺ] وَهْوَ مُقَفٍّ فَقَالَ "إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(٥). وقول عبد الله بن مسعود إن النبي ﷺ قال له: « «اقْرَأْ عَلَيَّ»، قَالَ قُلْتُ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي». قَالَ فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغْتُ **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾**. قَالَ لِي «كُفَّ- أَوْ أَمْسِكْ»(٦)، ومن ذلك قول أمنا عائشة رضي الله عنها: «كَانَ ﷺ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ»(٧)، وقولها عن أبيها رضي الله عنه: «فَتَيَمَّمَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسَجًّى بِبُرْدِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ بَكَىٰ فَقَالَ بِأَبِي أَنْتَ

---

(١) وفي الترجمة: (ينام الرجل، وعند ذلك، يتم أخذ الأمانة).

(٢) وفي الترجمة: (لا أفيدكم بشيءٍ أمام الله).

(٣) وفي الترجمة: (رجل يمتلك ماءً زائدًا أكثر مما يحتاج).

(٤) وفي الترجمة: (أعلموني عندما تكونون منتهين).

(٥) وفي الترجمة: (ثم نظر النبي إلىٰ الأخير بينما كان ذاهبًا بعيدًا . . . يخرجون من الدين).

(٦) وفي الترجمة: (توقف!). ولا أزال أذكر بعض الفضلاء من أساتذة الترجمة يحدثنا عن التكلف في الترجمة والتنطع، فذكر أن من التنطع أن تُترجم stop talking بقولك: (كفَّ عن الحديث)، ويقول إن الصحيح الطبيعي ترجمتها بـ (توقف عن الكلام)، فتأمل كيف صارت اللفظة العربية الفصيحة الموافقة لعربية النبي ﷺ تكلفًا وتنطعًا، وصارت اللفظة الموافقة لأساليب الإنجليزية هي الأصل الطبيعي.

(٧) وفي الترجمة: (يأخذ الطعام).

يَا نَبِيَّ اللَّهِ»[١] وقولها: «يَشْهَدْنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الْفَجْرِ مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ، ثُمَّ يَنْقَلِبْنَ إِلَىٰ بُيُوتِهِنَّ حِينَ يَقْضِينَ الصَّلاَةَ، لاَ يَعْرِفُهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْغَلَسِ»[٢]. وقول أمِّ عطية رضي الله عنها: «نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا»[٣]. وقول ابن عمر رضي الله عنه: «كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلاَةَ، لَيْسَ يُنَادَىٰ لَهَا . . .»[٤] وقوله: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلاَثَ تَكْبِيرَاتٍ»[٥]، وقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا»[٦]، وقول كعب بن مالك رضي الله عنه: «فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا وَاسْتَعَنْتُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ»[٧] وكقول حذيفة بن اليمان: «فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُهُ . . .»[٨].

وترىٰ -إن شاء الله- غير هذه الألفاظ في النصوص التي أوردها في باب الأساليب فتأملها. فإنك ترىٰ الإنجليز إذا ترجموا شيئًا من هذه الألفاظ احتالوا عليها واستعملوا في ترجمتها عبارةً أو ألفاظًا قريبة، لأن الإنجليزية ليس فيها هذه

(١) وفي الترجمة: (ذهب إليه مباشرةً . . . انحنىٰ).

(٢) وفي الترجمة: (اعتادت المؤمنات، متغطيات بملاءاتهن الحجابية، أن يحضرن صلاة الفجر مع رسول الله، وبعد انتهاء الصلاة يعدن إلىٰ بيوتهن ولا يتعرف عليهن أحد بسبب الظلام).

(٣) وفي الترجمة: (يتم جعله إلزاميًا).

(٤) وفي الترجمة: (يخمنون وقتها).

(٥) وفي الترجمة: (مكان مرتفع).

(٦) وفي الترجمة: (لا أنقص منها شيئًا).

(٧) وفي الترجمة: (عندما سمعت أنه كان في طريق عودته إلىٰ المدينة، انغمست في قلقي، وبدأت أفكر في أعذار كاذبة، وأقول لنفسي: كيف يمكن أن أتجنب غضبه غدًا . . . ثم قررتُ بشكل قاطعٍ أن أقول الحقيقة).

(٨) وفي الترجمة: (ذهبتُ بعيدًا منه).

اللفظة. وإذا نظرتَ إلىٰ اللفظة العربية رأيتَها قليلة الورود في كلام المعاصرين أو ما تكاد ترد في كلامهم أصلًا، لأن الإنجليزية ليس فيها لفظٌ لهذا المعنىٰ.

مسألة:

وقبل الانتقال إلىٰ باب الأساليب، لا بدَّ من ذكر مسألة مهمة، وهي أنك تجد كثيرًا من العلماء يكاد يجزم أن لفظةً أو تركيبًا ليس بعربيٍّ، وما يمنعه من التصريح بذلك إلا أنه لم يحط بكلام العرب كلِّه، ولم يقرأ كتبَهم كلَّها من لدن خطَّت أيديهم كتابًا إلىٰ عصر الترجمة، فيأخذ بالحزم ويسكت عن هذه اللفظة، أو يتحرز فيقول -علىٰ استحياء-: (لعلها ولربما تكون جاءت من لغات الإفرنج)، حتىٰ لا يطلع أحدٌ علىٰ شاهدٍ لها بعده، فيستجهله ويتكلم فيه. وأذكر لك لفظةً من مثل هذه الألفاظ التي أكاد أجزم أنها إنما دخلت من كلام الإفرنج، وأبين لك كيف يقع الشكُّ في النفس، وكيف يكون التفتيش عن الألفاظ حتىٰ لا تظنَّ أنَّا نخطِّئ بالظِّنة ومن غير تحقيق، ثم أعقِّب علىٰ ذلك بثلاث مسائل مهمة جدًّا.

تأمل قولَ بعض فضلاء أساتذة الأدب وأرباب مجمع اللغة العربية: «. . . مقاربة ما يخططون له ضدَّ المسلمين عامةً . . .»، لفظة (يخططون) هنا بمعنىٰ (يدبرون) من الألفاظ التي أكاد أجزم أنها ما دخلت كلام أهل العصر إلا من لغات الإفرنج. وهي موافقةٌ لكلام الإنجليز في قولهم plan وplot، ومعناها عندهم في الأصل خِطَّة الأرض، وهي الأرض تُجعل عليها خطوطٌ حتىٰ تتميز. وترجمَ الإفرنج (خِطَط المقريزي) ونحوها من الكتب بقولهم plan. إلا أن الإنجليز توسعوا في معنىٰ plan وplot فجعلوها للتدبير للأمر. وتجد أهل العصر يوافقون الإفرنج في التراكيب التي يستعملون فيها plan، فيُعَدُّون الـ (خطة) بـ (ضدّ) كما في المثال الذي مرَّ، ويقولون: خطة عمل، وخطة دراسية، وخطط مستقبلية، وتطوير الخطة، ويقدم خطة، ويدرس الخطة، وخطط للأمر بعناية، وسارت الأمور كما هو مخطط، ونحو ذلك. وأنتَ لا تكاد تجد (الخطة) في

كلام الأوائل بهذا المعنىٰ، وأنا لم أقف عليها فيما قرأتُ ولا فيما تيسر لي البحث فيه، بل تجد الأوائل يستعملون لهذا المعنىٰ التدبير والحيلة والكيد والمكر ونحوها. وكنتُ إذا قرأتُ كتبَ الأوائل أفتش عنها لشكِّي فيها منذ مدة، فلا أقف عليها، وكنتُ أراهم يحومون حول المعنىٰ ولا يواقعون لفظة (التخطيط)، وتأمل هذه العبارة المنسوبة إلىٰ عليٍّ رضي الله عنه في نهج البلاغة: «ثم انظر في حال كُتَّابك فولِّ علىٰ أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق»، أراد بالمكايد هنا (الخطَط) بلغة العصر. وقال ابن أبي الحديد في شرح هذه العبارة: «شرع في أمر الكُتَّاب ... وإليهم معاقد التدبير وأمر الديوان، فأمره أن يتخيَّر الصالح منهم، ومن يوثق علىٰ الاطلاع علىٰ الأسرار **والمكايد والحِيَل والتدبيرات**»[(١)]، فانظر كيف حوَّم ابن أبي الحديد حول معنىٰ (التخطيط) ولم يذكر هذه اللفظة مع ذلك.

وجعلتُ أبحث عنها في المواقع التي جمعت كتبًا كثيرةً من مصنفات الأوائل كـ (الشاملة) فلا أجدها، وأنظر في الكتب المترجَمة إلىٰ الإنجليزية فأجد لفظة (plan: الخطة) ترد كثيرًا في الترجمة، ولا ترد مع ذلك في الأصل[(٢)]، بل جعلتُ أقرأ كتبًا هي مظنةٌ لاستعمال هذه اللفظة، لا أقرأها إلا للتفتيش عن

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن حديد، ج١٧، ص٧٦.

(٢) ومن ذلك ترجمة الإنجليز لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (هل يشعرون بالأمان من خطة الله)﴾، وقوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ (ألم يحبط خططهم)﴾، وترجمتهم لقول الحباب بن منذر رضي الله عنه للنبي ﷺ: «أمنزلًا أنزلكهُ اللهُ، ليسَ لنا أن نتقدَّمه ولا نتأخَّر عنهُ، أم هو الرَّأيُ والحربُ والمكيدةُ؟ قال ﷺ: بل هوَ الرَّأيُ والحربُ والمكيدةُ.» ورأيتُ مِن الإنجليز مَن يترجم المكيدة هنا بقوله خطة (plan) ومن يترجمها بقوله تَكتيك (tactics) ومن يترجمها بإستراتيجية (strategy). ومن ذلك ما رواه الواقدي من قوله: «أقبل دامسٌ علىٰ أبي عبيدة وقال له: أيها الأمير قد عجزت وأنا أعمل حِيَلًا فما صدر من يدي في حقهم شيء ... فقال أبو عبيدة: وما الذي دبرت؟ (خططًا ... خططت)» وقول الواقدي: «ودار حول بيوتهم وتفكر في أمره وكيف يحتال (وتفكر في خطته)»، وترجمتهم لقول ابن حزم: «قد ينحس العاقل بتدبيره ولا يجوز أن يسعد الأحمق بتدبيره (خطط الرجل الذكي ... خطط الرجل الغبي)».

هذه اللفظة، ككتاب (تفريج الكروب في تدبير الحروب) لعمر الأوسي (ت: ٧٥١هـ) ومعنىٰ تدبير الحروب (خططها) بلغة أهل العصر، وذكرَ فيه ترتيبَ الجيش وأشكال الصفوف وأعدادها ومواضعها، ومواضع النزول والقتال وأوقاتها، وغير ذلك مما يدخل في معنىٰ (التخطيط) بلغة العصر، ولم يذكر هذه اللفظة مع ذلك. ومن ذلك كتاب (التنوير في إسقاط التدبير) لابن عطاء الله السَّكندري (ت: ٧٠٩هـ) ومعنىٰ إسقاط التدبير (ترك التخطيط) بلغة العصر، وأراد به الحثَّ علىٰ تفويض الأمر لله والتسليم لأقداره وترك الاشتغال بـ (التخطيط) للأمور الدنيوية والفكرة فيها، وعلىٰ أنَّ الكتاب يدور علىٰ معنىٰ (التخطيط) عند المعاصرين، إلا أن السكندري لم يذكر هذه اللفظة، ولو كانت مستعملةً عندهم لذكرها[1].

ورأيتُ بعض أساتذة العربية يقول إن كسرَ الخاء من أخطاء الكُتَّاب الشائعة، والصواب أن (الخطة) -بمعنىٰ التدبير- هي بضم الخاء، واستشهد بقوله ﷺ: «لا يسألوني خُطَّةً يعظمون فيها حُرُماتِ الله إلا أعطيتهم». والخطة في هذا الحديث لا تشبه استعمال المعاصرين البتة وليست من (التدبير) في شيء، وإنما معناها الأمر والحال. وفي شرح الحديث: «أيُلام ابنُ هذه أن يفصلَ الخُطَّة وينتصرَ من وراء الحَجَزة» قال ابن الأثير: «الخطة **الحالُ والخَطب**»[2]. وفي الحديث: «وفاصِلُ خُطَّةٍ أعيت علينا»، قال ابن الأثير: «أي إذا وقعت بنا **مُعضلةٌ** قام بها دوننا، أو مشكلةٌ عرَّفها وبيَّنها. والخُطَّة: **الحالة الصعبة**»[3] وفي جمهرة

---

(١) وهذا الكتاب مترجمٌ إلىٰ الإنجليزية، ترجمه سكوت كوقل وسمَّاه (The Book of Illumination)، ووردت في الترجمة لفظة (التخطيط plan) كثيرًا، كما في ترجمة قول السكندري: «وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ: وإن كان ولا بدَّ من التدبير، فدبروا ألا تدبروا (التخطيط، فخططوا ألا تخططوا)» وقوله: «إذا كان التدبير منك، والقدر يجري علىٰ خلاف ما تدبر، فما فائدة تدبيرٍ لا تنصره الأقدار؟ (بما أنك تخطط بعناية بينما تتعارض الأقدار الإلهية مع كل خططك . . .)».

(٢) منال الطالب لابن الأثير، ص١٠٠.

(٣) منال الطالب لابن الأثير، ص١٢٧.

الأمثال لأبي هلالٍ العسكري: «قولهم فلانٌ في رأسه خُطَّة: أي في نفسه حاجةٌ يرومها وله أمر يطلبه، والجمع خُطَط ... والخُطَّة: الخَصلة، ويقال: هذه خُطَّة خسف، وخُطَّة صدق، وخُطة سوء، تعني الخَصلة»[1]. فهي هنا أيضًا بمعنىٰ الأمر والشأن والحاجة، لا التدبير. وفي الصحاح للجوهري: «الخُطة بالضم: الأمر والقصة، قال تَأَبَّطَ شرًّا:

هـمـا خُـطَّـتـا إمَّـا إسـارٌ ومِـنَّـةٌ وإمـا دَمٌ والـقَـتْـلُ بـالـحُـرِّ أَجْـدَرُ

يقال: جاء وفي رأسه خطة، أي جاء وفي نفسه حاجةٌ قد عزم عليها ... وقولهم: خطة نائية، أي مقصد بعيد»[2]. واستعمال الخطة في الأحاديث وفي المثل وفي بيت تأبط شرًّا بعيدٌ عن استعمال المعاصرين، والألفاظ التي استعملتها المعاجمُ كالحال والمعضلة والخطب والأمر والعزم والحاجة والمقصد لا تدلُّ علىٰ التدبير وإن كانت قريبةً منه ويجوز تخريج (التخطيط) علىٰ هذه المعاني عقلًا، وتقدَّم أن كلَّ استعمالٍ في لغات الإفرنج يجوز تخريجه عقلًا. ولا يبعد أن يقرأ بعض المعاصرين هذه الأحاديث التي وردت فيها (الخُطَّة) فيفهم الخطة بمعناها المعاصر، ثم لا يفهم الجملة علىٰ وجهها.

بل لا بأس، هَبِ الأوائل استعملوا (الخطةَ) بمعنىٰ التدبير وهب أنَّ لها أصلًا قديمًا، فهي إن سلمت من أن تكون استعمالًا متفرنجًا لم تسلم من أن تكون إماتةً لكلام العرب المشهور، وتغليبًا لما لا يكاد يوقف عليه. فهذه اللفظة، أي (التخطيط)، أماتت ألفاظ الأوائل التي كانوا يستعملونها في هذا المعنىٰ وغلبت عليها، حتىٰ صارت بعض معاجم المعاصرين إذا أرادت شرح قول العرب (أمرٌ دُبِّرَ بليل) قالت: (أمرٌ خُطِّطَ بليل). وأنت لا تكاد ترىٰ أحدًا من أهل العصر يستعمل في هذا المعنىٰ غير (التخطيط) موافقًا استعمالات الإفرنج. وفيها -فوق ذلك- إماتة للاستعمال الفصيح للخُطَّة كالذي تقدَّم ذكره في الحديث وفي كلام

(١) ج٢، ص٨٥.

(٢) الصحاح للجوهري، ج٣، ص١١٢٣.

تأبَّط شرًّا. فـ (التخطيط) استعمالٌ دخلَ -في كلام العصر- من كلام الإفرنج، وإن وقفَ رجلٌ بعد مدةٍ علىٰ شويهدٍ له في مخطوطٍ من المئة الخامسة أو كتابٍ من المئة الثامنة. وأذكر ها هنا ثلاثة أمور فيها زبدة القول:

أولها: أن اللفظة وإن كان قد استعملها أحدٌ من القدماء فلا مانع أن يكون دخولها عربيةَ العصر من لغات العجم لا من هذا الأصل. كحلاقة اللحىٰ، فإن قومًا ممن سبقوا هذا العصر عُرفوا بحلق لحاهم، إلا أنَّ حلق اللحىٰ لم يشع في العرب في زماننا من هذا الأصل، وإنما هو اتباعٌ لسنة الفرنجي الغالب، وهذه الاستعمالات مثلها.

وثانيها: أنَّ في هذا خطأً في الاستدلال، فهَب أن رجلًا جاء وقال: «ربطة العنق هذه التي يسمونها الكَرَفِتَّة لم تأتنا من بلاد الإفرنج، فقد وقفتُ علىٰ ذكرها في كتابٍ في المئة الثامنة، وذُكِرَ فيه أن رجلًا من الناس كان يلبسها بدمشق، فهي بذلك عربيةٌ أصيلة». والكرفتة أعجمية لا ريب، وهي إفرنجيةٌ وإن وجدَ امرؤٌ لها ذكرًا قديمًا، فإنا نعلم لباس العرب قديمًا من العمائم والثياب ونحوها، وبلغتنا أخبار لباسهم وعايناه وشاهدناه في يمنهم وحجازهم ونجدهم وعراقهم وشامهم ومصرهم ومغربهم، وغير ذلك من بلاد العرب، ونحن نعلم أيضًا متىٰ شاعت هذه الكرفتات في الناس، وإنما ذلك بعد غَلَبَةِ الإفرنج علىٰ شيءٍ من بلاد العرب، فلا يُجادِلُ في ذلك ويزعم أن الكرفتة عربية أصيلةٌ إلا من لا رجية في إفهامه. وهذا مثالٌ ضربته لك من كيسي، ولم يَرِدْ ذكر الكرفتات أصلًا، وإنما هو أمرٌ يُقاس عليه. فغرابة هذا القول كغرابة قول قائلٍ لو قال: «وقفتُ علىٰ شاهدٍ في كتابٍ كان في المئة السابعة، يذكر (الدرس) بمعنىٰ العظة والعبرة، فهي بذلك استعمالٌ عربيٌّ فصيح». ونحن -كحالنا في الكرفتة والعمائم- نعرف كلامَ العرب ومصنفاتهم علىٰ اختلاف بلادهم وأزمنتهم بين أيدينا، وكلُّهم يعبر عن هذا المعنىٰ بـ (الاتعاظ والاعتبار)، فمن وقفَ علىٰ شُويهدٍ لـ (درس) في كتاب من الكتب واحتجَّ به أنها عربية الأصل، كمن وقف علىٰ ذكرٍ قديمٍ للكرفتة واحتج أنها عربية

الأصل. فهو ذكرٌ نادرٌ لا يُحفَل به عند الكثير الذي بين أيدينا مما يخالفه. والكرفتة -وإن قيل إن لها أصلًا قديمًا- قد رأينا متىٰ ذاعت في الناس، وكذلك (الدرس) وغيره من عجمة الاستعمال، قد رأينا أنها ما ذاعت في الناس إلا لمَّا كثرت ترجمة lesson لفظيًّا، وغلبت علىٰ اللفظة الفصيحة الواردة في الكتاب والسنة وفي كلام العرب في القرون التي خلت، حتىٰ كادت تميتها. وهي وإن وُقِفَ لها علىٰ شويهدٍ في كتب العرب فهي لم تدخل كلام العصر من هذا الأصل وإنما من كلام الإفرنج. وإن وقفَ بعضهم علىٰ شُويهدٍ لها في كتاب من الكتب واحتجَّ به علىٰ أنها عربية الأصل، فهو كمن وقف علىٰ ذكرٍ قديمٍ للكرفتة واحتج أنها عربية الأصل كذلك.

وثالثها: أن هذه الألفاظ وإن وُجد لها أصلٌ قديم نادر، فإنه استعمالٌ خاملٌ لا يكاد يُعرف، وإنما قوَّاه وأذاعه موافقته لكلام الإفرنج، فهو إن خرجَ من أن أصله فرنجي، لم يسلم من كونه تغليبًا لما لا يكاد يُعرف، وما غُلِّبَ إلا لموافقته كلامَ الإفرنج. وفي هذا إماتةٌ للأصل المشهور في كلام العرب وفي مصنفاتهم حتىٰ عهدٍ قريب. وفي ذلك قطعٌ للسند بين المتقدم والمتأخر وبيننا بين كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فتجد المرء ينكر الألفاظ الفصيحة ويستوحش منها، ويأنس بهذه اللفظة الموافقة للإنجليزية، ويحتجُّ بأنها وردت عند متقدم. وكأنَّ غرضنا من حفظ هذه اللغة أن لا نستعمل إلا شيئًا استعمله أحدٌ من المتقدمين، وإن كان شاذًّا نادرًا لا يكاد يوقف عليه إلا بطول تفتيش، ونحن لم نرد ذلك وما أردنا بحفظ العربية إلا حفظَ الاستعمالات والمعاني والأساليب الغالبة علىٰ كلام العرب حتىٰ نفهم كلامهم ونتذوق مقالهم، فناشدتك الله كيف يفهم الاستعمال العربيَّ الفصيح المشهور في كلام العرب وكيف يستأنس به من لا يعرف إلا ألفاظًا لا يكاد يجدها في كتبهم وكلامهم، ولا يكاد يقف عليها مع طول التطلُّب والتنقير! واعتبر هذا في مثل لفظة (التخطيط)، وأشباهُ (التخطيط) كثيرة.

أساليب الكلام وتراكيبه

المراد بأساليب العرب: كيف كانت العرب تستعمل لغتها وتعبر عن أغراضها في التحيات والخطب والأمر والنهي والسؤال وبيان التعجب والغضب ووصف الأشياء، وكيف كانت تكني، وتحذف وتقدر، وكيف كانت تصرف الألفاظ وتشتق من أصولها المعاني، وغير ذلك من استعمالاتها. وهذا الباب أعظم الأبواب خطرًا، وأكثرها فسادًا وتفرنجًا.

وقد مرَّ ذكر بعض الألفاظ التي تفرنج استعمالها، إلا أن من آفات النظر في أفراد الألفاظ والتراكيب أنها شاغلةٌ عن النظر في اللغة بكليتها، وقد تخرج المشتغل بها من العجمة الظاهرة، فتدخله في العجمة الخفية، وخير ما يُمثل به في هذا الباب: (الكاف الدخيلة)، في مثل قولك: (هو حسنٌ كشاعر، سيِّئٌ كمعلم)، فإن بعض الفضلاء قال نضع بدلها: (بوصفه معلمًا)، فكأنما أرادوا أن يلزموا طريقة الإفرنج في الكلام والتعبير والفكر، إلا أنَّهم أرادوا أن يفتشوا عن أصلح الألفاظ لموافقة أساليب الإفرنج. و(بوصفه) هذه أعجميةٌ، وإن لم تكن تطابق اللفظة الإنجليزية كلَّ المطابقة. وهذا المعنىٰ قد يُعبَّر عنه بسبلٍ شتَّىٰ في العربية، كأن تقول: هو في الشعر حسن، وفي التعليم سيئ، وكأن يقال: أحسن به شاعرًا، وأبئس به معلمًا. ويقال: لا يجوز لنا معاشر المسلمين كذا، ونحن مسلمون لا يجوز لنا كذا، ولا يجوز لنا كذا ونحن مسلمون، ونحن -مسلمين- لا يجوز لنا كذا، ولأنَّا مسلمون لا يجوز لنا كذا، وغيرها من الأساليب التي

تصلح في هذا المعنىٰ بدل (نحن كمسلمين لا يجوز لنا كذا). وقد يُعبر عن المعنىٰ بتعبيرٍ بعيدٍ عن هذا، فيُقلب الاسم فعلًا، والجملة كلمةً، والكلمة جملةً.

وتأمل هذه المواضع من كتابين من كتب العرب، هما وفيات الأعيان لابن خلكان ومقدمة ابن خلدون، هذه الجمل لمَّا ترجمها الإنجليزُ استعملوا فيها الكاف الدخيلة، ولو عُرضت الجمل الإنجليزية علىٰ مترجم عربيٍّ من أهل عصرنا ما أظنه يحسن ترجمتها بغير الكاف الدخيلة. وأقتصر علىٰ ثلاثة أمثلة من كل كتاب:

الكتاب	الأصل	الترجمة الإنجليزية وفيها الكاف	ترجمة الترجمة
وفيات الأعيان	«ولما توفي والده قعد مكانه للتدريس»	On his father's death, he replaced him as a teacher	عند وفاة والده، حل محله كمدرس
وفيات الأعيان	برز في صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين . . .	As a writer of epistles he reached pre-eminence and surpassed every predecessor	ككاتب للرسائل، وصل مكانة عالية وتجاوز كل سلف . . .
وفيات الأعيان	«فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلىٰ كتابتك يحوجهم إلىٰ حسن الظن بك»	their admiration for you as a learned scholar and the necessity which they lie under of having a kâtib like you, will induce them to place confidence in you	إن إعجابهم بك كعالم متعلم وضرورة وجود كاتب مثلك، سوف يدفعهم إلىٰ وضع الثقة فيك.

مقدمة ابن خلدون	«ونُقِلَ في فضائل المأمونِ وحُسنِ عِشرتِه [كذا وكذا]. .	It has been reported, as an indication of alMa'mun's excellence and affability. .	وقد نُقِلَ كإشارة إلىٰ تميز المأمون وحسن عشرته . . .
مقدمة ابن خلدون	«ولا يُعارض ذلك بما كان في الفتوحات الإسلامية . . .»	The events of the Muslim conquests cannot be used as an argument against (the preceding remarks).	لا يمكن استخدام أحداث الفتوحات الإسلامية كحجة ضد (الملاحظات السابقة) . . .
مقدمة ابن خلدون	«وأنه وإن ندر ذلك في صورةٍ مفروضةٍ، لا يصح بقاؤه».	and even if, hypothetically, it might happen as a rare exception, his existence would be precarious.	وحتىٰ لو حدث ذلك، افتراضيًا، كاستثناء نادر، فإن وجوده سيكون غير ثابت».

ومثال ذلك أيضًا أن بعض الفضلاء يخطِّئ قولهم: (حرفيًا) في مثل: (هو حرفيًا لذيذ، وأنا حرفيًّا أعرف مرادك، وأنا كنتُ حرفيًا أصب الماء)، ويقولون استعمل بدلها: (حقيقةً) أو (فعليًّا). فكأنما قصر الأمر علىٰ التفتيش عن خير لفظةٍ يُعبر بها عن أساليب الإفرنج. وهذا وإن أخرجك من خطأ اللفظ، فإنَّ فيه لزومًا للكلام الفرنجي والذوق الأعجمي، وإماتةً لأساليب العرب التي تصلح في هذا المعنىٰ كاليمين مثلًا، كقولك: هو والله لذيذ، ولام التوكيد كقولك: إني لَأعلمُ مرادك، والمفعول المطلق، كقولك: صببتُ الماء صبًّا، وغيرها من الأساليب الكثيرة.

وأضرب لك مثالًا أبين من ذلك، تأمل قول بعض المعاصرين: «وُجهت إلىٰ [أبي حنيفة] وإلىٰ مدرسته انتقادات مُرَّة».

هذه الجملة لو نظرتَ فيه أفراد ألفاظها كدتَ تجد لغالب ذلك أصلًا قديمًا، إلا أنها رُكبت تركيبًا أعجميًا، وسُبكت معانيها سبكًا فرنجيًا، واتخذت أسلوبًا إنجليزيًّا. فاستعمال النقد بمعنىٰ الذمِّ والعيب قديم، وفي لسان العرب: «في حديث أبي الدرداء أنه قال: (إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك)، معنىٰ نقدتهم أي عبتهم واغتبتهم». إلا أنَّ الإكثار من استعمال هذه اللفظة وتغليبها علىٰ سائر الألفاظ التي كانت تستعملها العرب لهذا المعنىٰ إنما كان لموافقتها استعمال الإفرنج[1]، وبرهان ذلك أن هذا التركيب (وجهت انتقادات مرة) إنما هو تركيبٌ أعجمي كلُّه، فالإنجليز هي التي تستعمل (وجَّه direct) مع الانتقاد، والإنجليز هي التي تجمع (الانتقاد) فتقول criticisms، وأنت لا تكاد تجد المتقدمين يجمعونها، والإنجليز هي التي تصف الانتقادات بأنها مُرَّة bitter. وعرب زماننا يكثرون من استعمال الانتقاد استعمالًا أعجميًا، فيصفون (الانتقاد) بمثل ما تصفه به الإنجليز، فيقولون: انتقاد بنَّاء وانتقاد هدَّام وانتقاد إيجابي

---

(١) والإنجليز يستعملونها في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ (البعض منهم ينقدك بخصوص الصدقات)﴾. ويستعملونها في ترجمة قول عائشة رضي الله عنها: «مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَىٰ أَنْ يَعِيبُوا مَا لاَ عِلْمَ لَهُمْ بِهِ. عَابُوا عَلَيْنَا أَنْ يُمَرَّ بِجَنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَا صَلَّىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَىٰ سُهَيْلِ ابْنِ بَيْضَاءَ إِلاَّ فِي جَوْفِ الْمَسْجِدِ (كم يتسرع الناس في انتقاد ما لا يعرفون عنه إلا القليل، انتقدونا لكذا ...).» وتراهم يستعملونها في ترجمتهم لقول ابن حزم: «لا تسند سبَّ من تحدثه إلىٰ غيرك (لا تقل إن شخص آخر قال الانتقادات الذي تخاطب به صاحبك)» وقوله: «وإن أعجبت بمدح إخوانك لك ففكر في ذمِّ أعدائك إياك فحينئذ ينجلي عنك العجب (ففكر في الانتقاد الذي يوجهه لك أعداؤك) وقوله: «من قدَّر أنه يسلم من طعن الناس وعيبهم فهو مجنون (من انتقادهم)». ويستعملونها في ترجمة قول ابن خلدون: «فجعل الخيرة وهي العدالة مختصّة بالقرن الأوّل والّذي يليه. فإيّاك أن تعوّد نفسك أو لسانك التعرض لأحد منهم (انتقاد أي منهم)، وقوله: «ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيبون شعر أبي بكر بن خفاجة شاعر شرق الأندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد (ينتقدون)».

وانتقاد سلبي، وانتقادات واسعة النطاق، وانتقاد غير مبرر، وانتقادات حادة، ونحو ذلك. فصار عقلُ المرء الذي يعقل به الأمورَ أعجميًّا، ولسانه الذي يعبر به عن المعاني تابعًا لألسنة الإفرنج، يضع الألفاظ حيث تضعها الإفرنج، ويشتق منها الاستعمالات كما تشتق الإفرنج، ويصرفها ويركبها كما تفعل الإفرنج. وأجدر بمن كانت هذه حاله أن يفهم كلام العرب فهمًا أعجميًّا، ويستنكر ما لم يجده في أساليب الإفرنج واستعمالاتها ويستوحش منه.

وقد تجد بعض العلماء من المعاصرين يتذاكرون التركيب المحدَث من جهة النحو والتصريف ويختلفون فيه من ذلك الوجه، ويكون الإشكال فيه -حقيقةً- من جهة الأسلوب. وقد تقدَّم ذكر قولهم (الفتيات الأجمل) وأنهم يذكرون اختلاف الصفة عن الموصوف في التأنيث والعدد، فيتذاكرون المسألة من جهة النحو، ومدخل هذا الغلط أصلًا متابعة أساليب الإفرنج لا أساليب العرب، ومن عادة العرب في هذا الموضع استعمال المضاف والمضاف إليه. ويشبه هذا ما تراه من اختلافهم أيُقال (السبب الرئيسي) أم (السبب الرئيس)، فطال اختلافهم في الأمر من جهة نحوه وتصريفه، والإشكالُ في التركيب أسلوبه. فالإنجليز استعملت صفةً وموصوفًا، وجعلتِ الصفةَ principal ومعناها رأس الشيء ورئيسه والمقدم فيه، ومثلها قولهم: main، بنفس المعنىٰ. فأخذَ هذا التركيب أصحابُنا علىٰ حاله، فأتوا بصفةٍ وموصوفٍ تبعًا للإفرنج، واستعملوا عين الصفة التي استعملها الإفرنج، وغلَّبوا هذا الأسلوب علىٰ أساليب العرب[1].

---

(١) والغالب في هذا أن العرب تستعمل الإضافة كما ذكرت، وتأمل ترجمة الإنجليز لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا (في القرية الرئيسية)﴾ و﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا (المجرمين الرئيسيين)﴾ وفي ترجمة قوله ﷺ: «لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا (همنا الرئيسي)» وقوله: «أَكْثَرُ عَذَابِ ٱلْقَبْرِ مِنَ ٱلْبَوْلِ (البول هو السبب الرئيسي)» و«رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ (المصدر الرئيسي للكفر)». وترىٰ الإنجليز يستعملونها كثيرًا في ترجمتهم للإضافة في كتب العرب، كما في ترجمتهم لقول ابن خلدون: «غالب عيشهم الذرة. وكذا أهل الضواحي .. عامة مآكلهم لحوم الضأن والدجاج (طعامهم الرئيسي)».

وتفرنج الأساليب علىٰ وجوهٍ كثيرة، فمنها وضع الألفاظ في غير مواضعها، وقد تقدَّمت بعض الأمثلة. ومنها تصريف الكلام تصريفًا أعجميًا، والاقتصار من كلام العرب علىٰ ما وافق لغات الإفرنج. ومن التفرنج أيضًا الإسراف في بعض الألفاظ تبعًا للإنجليزية، مثل (يمكن) و(هناك) ويأتي ذكرها. ومن ذلك متابعة أساليب الإنجليز في أزمنة الأفعال، كما في حروف الاستقبال التي تقدم ذكرها. ومنها العدول عن التعبير العربي كأن يُعدَل عن (حديث النفس) إلىٰ (الحديث الداخلي)، ومنها تركيب الألفاظ تركيبًا أعجميًا، كما في مثال (وجَّه انتقادًا) الذي مضىٰ، وقد مرَّ قول بعض الكتاب (عمل بحثًا حول الأمر) بدل (بحث الأمر). ومن ذلك التحرج من التصريح بنسبة الكلام إلىٰ صاحبه، فيُقال: (وفقًا لفلان)، بدل: (ذكر فلان). ومن ذلك صورة عرض الكلام، كأن يُقال: (وأكمل قائلًا: ...)، (وأضاف: ...) وهذه أساليب مقتبسة من لغات الإفرنج.

ولكثرة هذه الأساليب المتفرنجة لم أرد أن أشتغل بعدِّها، وإنما سلكتُ في هذا الباب سبيلًا اجتهدتُ فيها ألا تذهلني أفراد الألفاظ والتراكيب عن تفرنج الأساليب جملةً. وذلك أن أعرض لك كلامًا عربيًا مترجمًا إلىٰ الإنجليزية كما كنتُ أصنع فيما تقدّم في هذا الكتاب، وسترىٰ أنَّ الكلام إذا كان فصيحًا سابقًا لعصر الترجمة فهو بعيد عن كلام الإنجليز وأساليبهم، بل ترىٰ أن الترجمة الإنجليزية ما تكاد تخالف الأصل الفصيح في شيء، إلا وافقتها العرنجية، حذو القذة بالقذة. وإن كان الكلام لبعض المعاصرين رأيتَ الكلام يُترجم إلىٰ الإنجليزية من غير كثير تبديلٍ كأنما رُدّ إلىٰ أصله.

وأذكر فصول هذا الباب هنا مجملةً، ثم أفصلها في مواضعها:

- ننظر في التراجم الإنجليزية للقرآن والسنة، حتىٰ ننظرَ أكلام المعاصرين أقرب من الكلام العربي الفصيح أم من ترجمته الإنجليزية.

- ثم ننظر في كتب العرب التي تُرجمت إلىٰ الإنجليزية، لنصنع مثل ذلك.
- ثم ننظر في شيءٍ من كلام المعاصرين.

وفي هذا الباب زبدة الكلام، وواضح البيان، وصريح الحجة علىٰ تفرنج عربية العصر بكليتها.

البعد بين كلام العرب والإنجليز

ترجمة الكلام من لغةٍ إلىٰ لغةٍ يصلح لقياس البعد بينهما، والسبيل إلىٰ ذلك أن تعمد إلىٰ كلامٍ عربيٍّ وتترجمه إلىٰ لغةٍ أعجمية، فإن قدرَ ما يلزمك في الترجمة من التحايل والتبديل للألفاظ وتصاريفها وتراكيبها هو قدر البعد بين اللغتين، فإن كَثُر، فتلك زيادة في التباعد، وإن قلَّ فهذه زيادةٌ في التقارب. وهذا يصلح في جميع اللغات، فأنتَ إذا ترجمتَ من الإسبانية إلىٰ البرتغالية وجدتَ قربًا في الألفاظ والاستعمالات والأساليب والاشتقاقات، أما إن ترجمتَ من السواحلية إلىٰ اليابانية أو الأردية، وجدتَ بينها شقةً بعيدة.

وعمدت -حتىٰ أجرب فيها هذا المقياس- إلىٰ جملٍ من آياتٍ وأحاديث ونقولٍ متفرقةٍ متفاوتة في الطول، مما تُرجم إلىٰ كلام الإنجليز، ونظرتُ في ترجمتها الإنجليزية وقايست بينها وبين الأصل. وفعلتُ ذلك حتىٰ يُعلم بُعد الإنجليزية عن كلام العرب، وإنما يُعرف الشيء بضدِّه، فلا يعرف تفرنج عربية العصر ومشابهتها كلامَ الإفرنج إلا من عرف نقاء عربية الأوائل ونصاعتها وبعدها عن كلام الإفرنج.

وأعرض عليك في أولها شيئًا من القرآن، فأورد لك الأصلَ العربي، فترجمتَه الإنجليزية، ثم أثلث بترجمةٍ لفظيةٍ للترجمة الإنجليزية، فألزم فيها الأساليب والتراكيب الإنجليزية، من غير أن آتي بظاهر أخطاء النحو، لأن الكلام هنا في الاستعمال وسَمتِ الكلام، لا في أفراد أخطاء النحو. وقد رقَّمت المواضع التي سأعلق عليها حتىٰ يسهل لك تقليب النظر بين التعليق والترجمة.

ثم أورد بعدها تعليقًا أبين فيه بعدَ الإنجليزية عن لغة القرآن، وكلام العرب الأول، وأريك أن الإنجليز لزمهم اللعب في الكلام وأساليبه وألفاظه حتىٰ ينقلوا المعاني العربية إلىٰ لغتهم. ولا يسعني ها هنا أن أعلِّق علىٰ كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، فتأمل أنتَ البعدَ بين اللغتين، في اختيار الألفاظ للمعاني وفي تركيبها ورصفها وتصريفها ونحو ذلك. وأريد بذلك أن تتأمل كيف يُقلب الفعل اسمًا والاسم فعلًا، وكيف تُقدَّم لفظةٌ وتؤخر، وكيف تُزاد لفظةٌ حتىٰ يستقيم المعنىٰ، وكيف تُنقص لفظةٌ لخلوِّ الإنجليزية منها، وكيف تستعمل الألفاظ استعمالًا علىٰ غير استعمال العرب لها، وكيف تُعاد صياغة الكلام حتىٰ يوافق أساليب الإنجليز.

ولا تحملنك كثرة الشواهد وطولها علىٰ أن تجاوزها إلىٰ ما بعدها من الكلام، لكن استَشِفَّهَا وأَمْعِنِ النظرَ فيها وأعمِلِ الفكرَ واقتلها تأمُّلًا، فإنما الزبدة والفائدة فيها، وما تعليقي بعدها إلا زياداتٌ لا تغني، وقد جاهدتُ نفسي ألا أكثر من التعقيبات، فلو عقَّبت علىٰ كل لفظةٍ وتركيبٍ وأسلوب، لشقَّ ذلك عليَّ لكثرة ما يحتاج إلىٰ تعقيب وبيان، ولَأضجرك، فإن النفس ملولة. وحتىٰ أعينك علىٰ التأمل جئت إلىٰ بعض العبارات التي فيها ما يُتأمل فلوَّنتُ عربيها وعرنجيَّها بلونٍ واحدٍ، حتىٰ يسهل عليك النظر في العبارتين والمقايسة بينهما، فانظر أيهما أبقىٰ علىٰ أقلام الناس وأذيع، أأسلوب العرب أم أسلوب الإفرنج!

مثالٌ من القرآن[١]:

الأصل	﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾
الترجمة	He turned away from them and said, "Alas! Poor Yusuf!" He tried to hide his feelings, but his eyes turned white with grief!"

(١) وقد نقلتُ تراجم القرآن في هذا الكتاب كله من: https://www.islamawakened.com/

ترجمة الترجمة	(١) استدار بعيدًا عنهم، وقال: «ياللأسف، يوسف المسكين!» (٢) وحاول أن يخفي مشاعره لكن عينيه تحولت بيضاء مع الحزن!»

(١) قول الإنجليز (turned away)، ترجمته لفظيًا: أدار كذا بعيدًا، وهذه العبارة الإنجليزية -علىٰ غرابتها- دخلت في كلام المعاصرين، كما في قول بعض الكتاب: «أما عبد المعطي الذي كان يشعر بالاختناق، فإنه استدار بعيدا عن المكان . . .» وكقول بعضهم: «لا يكترثون للغريب إلا بنظرةٍ خاطفة، ثم يستديرون بعيدًا عنه ليواصلوا صخبهم من جديد». وقد يقول الإنجليز -في معنىٰ التولي والصد والإعراض- (أدار وجهه ورأسه وعينيه بعيدًا)، وهذه تجدها في كلام المعاصرين كثيرًا كقول بعض الكتاب: «نظر إليها في فزعٍ وضيق، ولكنه سرعان ما أدار عينيه بعيدًا عنها».، وقول بعضهم: «بعضهم يلوي شفتيه ويدير وجهه بعيدًا من الإشمئزاز والقرف». وهذا أسلوبٌ فرنجي، مباعدٌ للناس من الكلام الفصيح[١]. وبعض المعاصرين يريد تخفيف العجمة من (استدار بعيدًا)، بيقول (التفتَ بعيدًا)، فخفَّف العجمة ولم ينفها، لأنه يكفيك قول (التفتَ عنه) من غير زيادة (بعيدًا away) كما تفعل الإنجليز.

(٢) قول الإنجليز (hide his feelings يخفي مشاعره) تعبيرٌ شائع عند أهل العصر، كقول بعضهم: «أعطت تلك التجربة لبورقيبة الدهاء لكنها لم تعلمه إخفاء مشاعره عند الغضب». وكقول بعض الكُتَّاب: «ولم أستطع أن أخفي مشاعر اعتزازي أمام الهيئة الداعية». ومعنىٰ هذه العبارة الإنجليزية هو معنىٰ الكظم الذي في الآية، كما في اللسان: «كَظْمُ الغيظ: تجرُّعه واحتمال سببه والصبر عليه. وفي الحديث: إذا تثاءب أَحدكم فليَكْظِمْ ما استطاع أي ليحبسه مهما أمكنه. ومنه

(١) ومن ذلك ما ورد في ترجمة هذه الأحاديث: «لا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»، وفي رواية: «فيعرض هذا ويعرض هذا». وفي قوله: «لاَ يَزَالُ اللَّهُ ﷻ مُقْبِلًا عَلَىٰ الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ انْصَرَفَ عَنْهُ». هذه كلها يترجمون باستدار بعيدًا، أو أدار وجهه أو عينه بعيدًا.

حديث عبد المطلب: له فَخْرٌ يَكْظِم عليه أي لا يُبديه ويظهره». وقد وقفتُ علىٰ مثالٍ طريف عند بعض المعاصرين، جمع فيه صاحبه بين العبارتين، أقصد إدارة العينين بعيدًا، وإخفاء المشاعر، يقول: «حلَّ محل [الابتسامة] ضيق وغيظ حاول أن يخفيهما بإدارة عينيه بعيدًا عنها، لكنه فشل[١]، فشل الطفل الذي بداخله في أن يخفي مشاعره». واستعمال المعاصرين للفظة (المشاعر feelings) أسلوب -في أكثر أحواله- فرنجيٌّ من قول الإنجليز feelings[٢].

مثال:

الأصل	﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾
الترجمة	Wealth and children are the adornment of the life of this world: but the things that endure, good deeds, are of far greater merit in your Lord's sight, and a far better source of hope.
ترجمة الترجمة	(١) الثروة والأولاد هم زينة الحياة في هذا العالم: لكن (٢) الأشياء التي تدوم، الأعمال الصالحة، لها ثواب أعظم بكثير في نظر ربك، وهي (٣) مصدر أمل أفضل بكثير.

(١) قول الإنجليز (wealth ثروة)، يدخل في باب التغليب والإماتة، فالعرب قد تستعمل لفظة (المال) وتُريد بها الغِنىٰ وتريد بها مطلقَ ما ملك الرجل من

---

(١) وقوله «لكنه فشل»، من عجمة الأساليب أيضًا، والإنجليز تستعمل fail للعجز وعدم الاستطاعة، وهم يترجمون بها قول أنسٍ ﵁: «فَحَثَا فِي ثَوْبِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ يُقِلُّهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ (حاول حمله بعيدًا لكنه فشل في ذلك)». واستعمال (الفشل) لضد الظَّفرِ ليس بفصيح أصلًا. فمعنىٰ الفشل: الجُبن والوهن وذهاب القوة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم﴾، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، واللفظ الفصيح الذي تستعمله العرب لضدِّ النجاح والظفر: الإكداء، أفادني ذلك الشيخ فيصل المنصور.

(٢) وتأمل ترجمة الإنجليز لقوله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ (مشاعر الغضب)»، و«إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَىٰ اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنه (يجرح مشاعره)».

مال، ولا تزال هذه طريقة العامة، فيقولون: فلان عنده فلوس، وضيَّعت فلوسي كلَّها. أما الإنجليز والمعاصرون إذا أرادوا التعبير عن هذا المعنىٰ قالوا: (عنده ثروة! وضيع ثروته كلَّها)[1].

(٢) قوله: (the things that endure الأشياء التي تدوم) فيه تنبيه لطيف علىٰ أنَّ الإنجليزية لا يجمل فيها أن تُجعل الصفاتُ أسماءً. فـ(غنيٌّ) مثلًا صفة، لكنها يصلح أن تكون اسمًا في العربية فتقول: (ما رأيتُ غنيًّا يلبس كذا)، وهذا لا يصلح في الإنجليزية فيلزمهم أن يزيدوا لفظةً، مثل (شخصًا غنيًّا أو أحدًا غنيًّا)[2]، وهذا الأسلوب الإنجليزي تراه غالبًا علىٰ كلام أهل العصر.

(٣) قوله: (source of hope مصدر أمل أفضل) احتاجوا فيه إلىٰ زيادة لفظة (مصدر). وترىٰ الإنجليز يصنعون مثل ذلك في كثير من الآيات والأحاديث[3]، وترىٰ المعاصرين يكثرون من (مصدر) إكثار الإفرنج منها.

---

(١) وتجد الإنجليز تترجم بـ(الثروة) هذه الأحاديث: «اقْسِمُوا الْمَالَ بَيْنَ أَهْلِ الْفَرَائِضِ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ (وزعوا الثروة)» و«اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ (زِد ثروته ونسله)» و«لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ (أعطاه الله ثروةً)».

(٢) كما ترىٰ في ترجمتهم لهذه الأحاديث: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ (شخصٍ فقير)» و«حُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ (الأشياء الغير المرغوب بها)» و«أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي (خمسة أشياء)».

(٣) فتراهم يستعملونها في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً (مصدرا للضوء)﴾ و﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ (مصدر راحة لهم)﴾. وفي ترجمتهم لهذه الأحاديث: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ (كانت مصدر إزعاج)» وقول أنس رضي الله عنه «انْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَىٰ الصَّوْتِ (نحو مصدر الصوت . . . وصل مصدر الصوت قبلهم)». هذا من جهة إقحامها في الكلام، وقد تدخل أيضًا في باب التغليب علىٰ غيرها من الألفاظ التي استعملها الأوائل، كأصل الشيء ومنشأه ومورده وعينه وينبوعه.

مثال:

الأصل	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾
الترجمة	Have they not travelled through the earth, and seen what was the end of those before them? Allah destroyed them completely and a similar fate awaits the disbelievers
ترجمة الترجمة	ألم يسافروا خلال الأرض، ويروا ماذا كانت (١) نهاية أولئك الذين قبلهم؟ دمَّرهم الله تمامًا، (٢) ومصير مشابه ينتظر الكافرين

(١) قال: (نهاية end)، بدل (عاقبة)، والإنجليز تعبر عن العاقبة والمنقلب بـ (النهاية) فتراهم يترجمون الآيات التي ترد فيها لفظة (العاقبة) بقولهم (نهاية)، كما في قوله سبحانه: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾. وهذا الاستعمال الإنجليزي هو الأصل في الفصحىٰ، حتىٰ غلب علىٰ (العاقبة) وكاد يميتها.

(٢) (وينتظر الكافرين مصيرٌ مشابه)، هذا التعبير الإنجليزي تراه كثيرًا في كلام المعاصرين، كقول بعض دكاترة الأدب: «هذه النقود هي من حق أولئك الذين يعيشون اليوم ما عاشه ذلك الشاعر بالأمس والذين ينتظرهم مصير مشابه». وهذه الآية ترجمها بعض الإنجليز بقولهم: "will suffer the same fate" أي: (سيعانون نفسَ المصير)، وهذه أيضًا تراها في (الفصحىٰ المعاصرة). وهذه العبارات الإنجليزية، أقصد معاناة نفس المصير أو معاناة مصير مشابه، ومواجهة نفس المصير ولقاءه، وجدتُها أيضًا في ترجمة قوله تعالىٰ: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فيقولون (يعانون نفس المصير ويلقون نفس المصير ونحوها) وهذه العبارات القرآنية عُدِلَ عنها في العرنجية إلىٰ عباراتٍ إفرنجية لا طعم لها ولا معنىٰ.

أمثلة من السنة:

الأصل	الترجمة	ترجمة الترجمة
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عمله صلَاته، فَإِن صلحت فقد أفْلح وأنجح وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخسِرَ فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: انظرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلُ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ».	Abu Huraira said that he heard Allah's Messenger say, "The first action for which a man will be held accountable on the day of resurrection will be his prayer. If it is sound he will be prosperous and successful, but if it is unsound he will be unfortunate and miserable. If any deficiency is found in his obligatory prayer the Lord Mighty and Sublime will issue instructions to consider whether His servant has any voluntary prayers that can complete what is insufficient in his obligatory prayers. Then the rest of his actions will be treated in the same fashion.	أبو هريرة قال إنه سمع رسول الله يقول: العمل الأول الذي سوف يخضع لأجله الرجل للمحاسبة في يوم القيامة (١) سوف يكون الصلاة. إن كانت سليمة، فسيكون مزدهرًا وناجحًا. (٢) لكن إذا كانت غير سليمة فسيكون سيئ الحظ وبائسًا. إذا تم إيجاد أي نقص في صلاته الواجبة، الرب ﷻ (٣) سوف يصدر تعليمات بالنظر إذا كان عبده له (٤) أي صلاة تطوعية يمكن أن تكمل ما هو ناقص في صلاته الواجبة. ثم بقية أعماله سوف تتم معاملتها بنفس الطريقة».

(١) قوله (will be سوف يكون)، مرَّ بنا ذكر مثله في باب النحو، عند ذكر إسراف المعاصرين في حروف الاستقبال. والأصل العربي ليس فيه حرف استقبال: «أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ: صلاته». وفيه مسألة ثانية وهو أن الإنجليز يلزمها استعمال حرف (be) أو تصريفاتها بين المبتدأ والخبر، فلا يجوز في لغتها أن تقول: صاحبُ السيارةِ الحمراءِ خالدٌ، فيلزمهم قول: يكون خالد. وهذا الأسلوب تراه عند بعض أهل العصر. وبعض الحُذَّاق يريد تخفيف العجمة فيستعمل (هو)، كأن يقول: صاحب السيارة الحمراء هو خالد، ولا بأس به، إلا أن الإسراف منه من أثر الترجمة وتغليب أساليب الإفرنج، والناس ما زالت في عاميتها علىٰ طريقة العرب في هذا الأمر.

(٢) قال: (لكن إذا كانت غير سليمة)، ترجمةً لـ «وَإِنْ فَسَدَتْ»، وذلك لأن الواو والفاء لا تصلح في الإنجليزية عند مثل هذا العطف الذي يكون فيه استدراك أو ذكر حالٍ معارضة، فيضعون محلها (لكن but)[١]. وأنتَ ترىٰ أهل العصر يسرفون في (لكن) كإسراف الإفرنج فيها، مع أنهم إذا تكلموا بعاميتهم لم يصنعوا ذلك.

(٣) قوله: (issue instructions يصدر تعليمات) تعبيرٌ فرنجيٌ تراه كثيرًا في كلام أهل العصر، كما في قول بعض الكُتَّاب: «وفي موقعة أحد أصدر [النبي ﷺ] تعليمات واضحة للرماة شدد عليهم فيها أن لا يبرحوا مكانهم»،

---

(١) وترىٰ ذلك في ترجمتهم لهذه الآيات: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ (ولكن إذا تحملتم بصبر)﴾، و﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (ولكنهم لا يخدعون)﴾ و﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ (لكن لا تجاوزا الحدود)﴾، ومثل ذلك في ترجمة هذه الأحاديث: «إِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً (لكن لم يفعلها)»، و«إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ قَطَعُوهُ (لكن إذا سرق الضعيف)».

والإنجليز تستعمل (التعليمات) مع ألفاظٍ غير (الإصدار) وأكثر هذه التراكيب شائعةٌ في كلام المعاصرين، وهذه إن سلم بعضها من أن تكون الترجمةُ أدخلته لم يسلم من أن تكون غلَّبته[١].

(٤) قال: (any voluntary prayer) ومعناها: أي صلاة تطوع)، فترجم (من تطوعٍ) بـ (أي)، والأصل العربي فيه تنكيرٌ بالتنوين، و(من) زائدة للتوكيد[٢]. والإكثار من استعمال (أي) للتنكير شائعٌ في كلام المعاصرين، كقول بعضهم: «هل هناك أي شك في أن هذا لا يمكن أن يكون وحيًا إلهيًا؟»، وكقول بعضهم: «بعبارة أخرىٰ[٣]، لن يكون هناك أي معنىٰ يمكن إضفاؤه علىٰ الحاضر إلا بالرجوع إلىٰ الماضي». وهذا كله أسلوبٌ نتابع الإفرنج فيه[٤].

---

(١) ومن ذلك ما تراه في ترجمتهم لهذه الآيات: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا (ولن أتجاهل تعليماتك)﴾ و﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم (وفقا لتعليمات أبيهم)﴾ و﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ (يعطيكم تعليمات)﴾ و﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ (أن يتركوا أي تعليمات)﴾.

(٢) ولهذا التركيب شواهد كثيرةٌ في كلام العرب، يترجمونها غالبًا بـ (أي)، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ «فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (هل ترىٰ أيَّ شقوق)»

(٣) وقوله: (بعبارة أخرىٰ) هذا أخذوه من قول الإنجليز (in other words) ترجمه بعضهم بقوله (بكلمات أخرىٰ)، وهو شائعٌ في كلام المعاصرين، كقول بعضهم: «كان الجواهري حزبًا بمفرده، أو بكلمات أخرىٰ: كان رئيسَ حزبٍ أفراده الشعب العراقي بأجمعه»، وأراد بعضهم التخفيف من العجمة فقال (بعبارة أخرىٰ). وهذه العبارة يستعملونها إذا أرادوا تفسيرَ كلامٍ سابقٍ لها، ويكفي في ذلك استعمال (أي) التفسيرية، وما أكثر العبارات العربية التي كانوا يستعملونها لهذا المعنىٰ كقولهم: أريد أنه كذا، والمراد أنه كذا، وأقصد كذا، والمعنىٰ أنه كذا، ولا تزال الناس تستعمل هذه العبارات في عاميتها، فإذا كتبت تفرنجت.

(٤) وتأمل ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ (هل هناك أي شك)﴾، و﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ (لا يكون لهم أي عذر أمام الله)﴾ وقوله ﷺ: «أَلَكَ بَيِّنَةٌ (هل عندك أي دليل؟)، وقول أنس ﷺ: «مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ (أيَّ طعامٍ)»

مثال:

طرفٌ من حديث لكعب بن مالكٍ ﷺ[1]:

ترجمة الترجمة	الترجمة	الأصل
كل الناس كانوا الآن يتجنبونا. (١) موقفهم تجاهنا تغير. بدا لي كما لو أكن حتىٰ أعرف المكان الذي كنت فيه، هذه لم تعد المدينة التي عشت فيها. استمرينا في هذه الحال لخمسين ليلة. بقي صديقاي الاثنان في المنزل، يبكيان. كنت الأصغر والأقوىٰ في الثلاثة، فواصلت الخروج وحضور صلاة الجماعة (٢) مع المسلمين الآخرين.	All people were now avoiding us. Their attitude towards us changed. It seemed to me as if I did not even know the place I was in. This was no longer the town I lived in. We continued in this condition for 50 days. My two friends stayed at home, crying. I was the youngest and the strongest of the three, so I continued to go out and attend the congregational prayers with other Muslims.	فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّىٰ تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَىٰ ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ

---

(١) والترجمة من النسخة الإنجليزية لظلال القرآن، لعادل الصلاحي، أما ما سواها من الأحاديث فنقلته عن sunnah.com

وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَىٰ صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّىٰ إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ...

I frequented all the markets, but nobody would speak to me. I would also go to the Prophet and greet him as he sat down after prayers. I would always think to myself: "Have I detected any movement on his lips suggesting that he has answered my greeting?" I would pray close to him and look at him stealthily. When I was preoccupied with my prayer, he would look at me, but when I looked towards him, he would turn his face the other way.

When this harsh treatment of the Muslim community seemed to have lasted too long, I climbed the wall of an orchard which belonged to a cousin of mine named Abū Qatādah, and whom I loved more than anyone else.

ترددت علىٰ كل الأسواق، لكن لا أحد يتحدث إليَّ. كنت أيضًا أذهب إلىٰ النبي وأحيِّيه بينما هو جالس بعد الصلاة. كنت دائمًا أفكر في نفسي: هل لاحظت أي حركة علىٰ شفتيه توحي بأنه قد أجاب تحيتي؟ كنت أصلي قريبًا منه وأنظر إليه خلسة. (٣) وعندما أكون منشغلًا بصلاتي، كان ينظر إلي، لكن عندما أنظر نحوه، كان يدير وجهه في الاتجاه الآخر.

عندما بدا لي أن هذه المعاملة القاسية من المجتمع المسلم قد استمرت طويلًا جدًّا، تسلقت جدار بستان يخص ابن عم لي يُسمىٰ أبا قتادة، والذي أحبه أكثر من أي أحد آخر.

(١) قال المترجم: (موقفهم تجاهنا تغيَّر)، ترجمةً لـ (تغيَّروا لنا)، ولا تزال العامة تستعمل عبارةً قريبةً من عبارة كعبٍ رضي الله عنه، فيقولون: فلانٌ تغير عليَّ بعد صحبة، أي -بلغة العصر-: تغير موقفه أو تغيرت مشاعره تجاهي[١].

(٢) قال المترجم: (أشهد صلاة الجماعة مع المسلمين الآخرين)، ترجمةً لقول كعب: «فأشهد الصلاة مع المسلمين»، فزاد لفظة (الآخرين) من عنده، وهذا من أساليب الإنجليز، ولو لم يزدها لكان الكلام غريبًا في الإنجليزية. وعرب زماننا يكثرون من استعمال (الآخرين) تبعًا للإنجليز. ومن ذلك أنَّ الإنجليز لا يصلح في لغتها أن تستعمل لفظة (الناس) مثل استعمال العرب، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾، فتراهم إذا ترجموها قالوا (أتأمرون other people الناس الآخرين بالبر) أو قالوا (أتأمرون others الآخرين بالبر)[٢]. وهذا أسلوبٌ تراه عند أكثر كتاب زماننا.

(٣) وقال المترجم (وعندما أكون منشغلًا بصلاتي، كان ينظر إلي) فترجم (إذا) بـ (عندما)، والإنجليز تستعمل (عندما) بمعنىٰ (إذا) الظرفية الشرطية[٣]. وهذا الأسلوب والإسراف في (عندما) للظرفية الشرطية تراه كثيرًا في كلام المعاصرين، كقول بعضهم: «عندما يأتي سوف أرد الاعتبار لذاتي، سوف أجعله يدفع الثمن غاليًا[٤]».

---

(١) ومثل هذا تراه في ترجمة الإنجليز لقول عَمْرِ بن عبسةَ رضي الله عنه: «فَتَلَطَّفْتُ حَتَّىٰ دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ (تبنيت موقفًا ودودًا تجاه المكيين)، وترجموا بها قولَ ابنِ حزمٍ: «وأنا أعلمك أن بعض من خالصني المودة تغير علي أقبح تغير بعد اثني عشر (تغير موقفه تجاهي)»، وترجموا قولَ ابن خلدون: «ما ظنّك برجل نقم علىٰ أهل الدّولة ما نقم من أحوالهم (مواقفهم)»، و«واختلف شأن القياصرة في الأخذ بهذه الشّريعة (اختلف موقف)».

(٢) وتأمل ترجمتهم لهذه الآيات: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ (الآخرين)﴾ و﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ (أمم أخرى)﴾ و﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ (وللمؤمنين والمؤمنات الآخرين)﴾.

(٣) ولهذا تراهم يترجمون بها هذه الآيات: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا (عندما يقابلون أولئك)﴾ و﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (عندما يقرر)﴾ و﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (عندما أكون مريضا)﴾.

(٤) ودفع الثمن غاليًا من كلام الإفرنج، كما في الإنجليزية pay dearly.

مصنَّفات العرب:

لمَّا ذكرتُ لك شيئًا من كلام الله ﷻ وكلام نبيه ﷺ فكلام صحابته رضوان الله عليهم، أذكر لك الآن شيئًا من مصنفات المتقدمين السابقين لعصر الترجمة. وأذكر هنا منها فِقَرًا وأعلق عليها كما صنعتُ آنفًا، وقد أوردتُ من قديم مصنفات العرب ثم عرجت علىٰ ما بعدها فما بعدها.

مثال:

طاهر بن الحسين الخزاعي (ت: ٢٠٧) من كتابٍ لبعض ولده يوصيه لما ولّاه المأمونُ[(١)]:

الأصل	الترجمة	ترجمة الترجمة
وأخلص نيتك في جميع هذا وتفرّد بتقويم نفسك تفرُّدَ من يعلم أنه مسئول عمَّا صنع ومجزيٌّ بما أحسن ومؤاخذ بما أساء فإنّ الله ﷻ جعل الدين حرزًا وعزًّا ورفع من اتبعه وعزَّزه.	In all these things, have pure intentions. Pay special attention to improving yourself as a person one who realizes that he will be held responsible for his deeds, that he will be rewarded for his good deeds, and punished for his evil deeds. For God made the religion a refuge and a power.	(١) في كل هذه الأشياء، تحلَّ بالنيات الصافية. أعطِ اهتمامًا خاصًا لتحسين نفسك (٢) كشخص يدرك أنه سوف يتم تحميله المسؤولية علىٰ أعماله، وأنه سوف يتم مكافأته لأعماله الجيدة، ومعاقبته لأفعاله الشريرة. لأن الله جعل الدين ملجأً وقوةً. ويرفع (٣) أولئك الذين يتبعونه ويكرمونه.

(١) وهو كتابٌ مشهورٌ نقله جماعةٌ من الناس في مصنفاتهم، وقد نقلته هاهنا من مقدمة ابن خلدون، لأن المقدمة مترجَمة، فكان كلامه فيها مترجَمًا. والترجمة لفرانز ابن روزنتال.

واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدىٰ. وأقم حدود الله تعالىٰ في أصحاب الجرائم علىٰ قدر منازلهم وما استحقّوه ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به.	He lifts up those who follow it and honor it. Therefore, lead those whom you govern and rule along the path of religion and the way of right guidance. Apply the punishments that God has ordained for criminals, according to their station and according to what they deserve. Do not disregard it and do not make light of it.	ولذلك، قُد أولئك الذين تنظمهم وتحكمهم علىٰ طريق الدين وطريق الإرشاد الصحيح. طبِّق العقوبات التي فرضها الله للمجرمين وفقًا لمكانتهم ووفقًا لما يستحقون. لا تتجاهلها ولا تستخف بها.

(١) قدَّم المترجم (في كل هذه الأشياء) وابتدأ بها الكلام، وهي ترد في الأصل العربي عارضةً وسط الجملة. ووقوعها أول الكلام أو وسطه جائزٌ في اللغتين، إلا أن الابتداء بها أولىٰ في أساليب الإنجليز[١]، واعتراض الكلام بها أشهر في لغة العرب، في فصيحٍ وعاميٍّ. وهذا الأسلوب الفرنجي تراه كثيرًا عند أهل العصر، وقلَّ فيهم أسلوب العرب، كما ترىٰ في قول بعض الكُتَّاب: «في أحد الأيام، كنت أتابع سباقات الجري بين الشباب . . .».

(١) وتأمل صنيعهم هذا في ترجمتهم لقول عمر ؓ: «وَإِنِّي -وَاللَّهِ- مَا أَدَعُ بَعْدِي شَيْئًا هُوَ أَهَمُّ إِلَيَّ مِنْ أَمْرِ الْكَلَالَةِ (والله، أنا لا أترك ورائي أي شيء له بالنسبة لي أهمية أكثر من الكلالة)»، وتراه في ترجمتهم لقول ابن حزم: «وهذا النوع يسمىٰ في باب الغزل بالعشق.» قالوا: (في المفردات الخاصة بالحب، هذا النوع يُدعىٰ العشق) وفي قول ابن منقذ: «وقد خرجنا يومًا لقتال أسد ظهر علىٰ الجسر (في أحد الأيام، خرجنا . . .)»، وفي قول ابن خلدون: «وكان هذا الطين في الدّولة العبّاسيّة يعرف بطين الختم» قالوا: (تحت الدولة العباسية، كان هذا الطين يُدعىٰ طين الختم)، و«ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملةً بالمغرب وأهله.» قالوا في الترجمة: (في الوقت الحاضر، اختفت هذه الطريقة تمامًا . . .)

(٢) قال: (تحسين نفسك كشخص يدرك أنه . . .)، في هذه الجملة مسائل كثيرةٌ أذكر منها واحدة، وهي أن الإنجليز تكثر من استعمال لفظة (شخص) في مواضع لا تصلح في العربية. فالإنجليزية لا يصلح فيها استعمال (مَن) كما في قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»، فيترجمونه بقولهم: (هو الشخص الذي يتركه الناس . . .)[١]. والإنجليزية أيضًا لا يجمل فيها استعمال النعوت محل الأسماء، وقد تقدَّم بيان هذا عند التعليق علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾، فليزمهم قولُ: الأمور الباقية. فإن كانت الصفة لعاقلٍ استعملوا (الشخص person)[٢]، وهذا الإسراف في (شخص) كثير في كلام المعاصرين، بل هو الأصل في كلامهم.

(٣) قال: (ويرفع أولئك الذين يتبعونه)، ترجمةً لقول الخزاعي: (ورفع مَن اتبعه). والكلام في هذه المسألة يشبه الكلام في (الشخص). فالإنجليز إذا أرادت أن تعبر الاسم الموصول للجمع أو ما كان في معنىٰ الجمع، كـ (الذي ومَن)، قالوا (those who، أي: أولئك الذين)[٣]، وذاع هذا التركيب عند المعاصرين. وأنتَ إذا تأملتَ في قول بعض المعاصرين: «يجب الاختيار بين أولئك الذين يحبون إحصاء نقودهم وأولئك الذين يحبون أن يقُصُّوا أحلامَهم». عرفتَ أنه لم

---

(١) وترىٰ ذلك في ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ (من الشخص الذي يدعو)﴾، و﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ (هل الشخص الذي)﴾.

(٢) وترىٰ ذلك في مثل ترجمتهم لقوله ﷺ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَىٰ الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَىٰ الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَىٰ الْكَثِيرِ»، يترجمونه بقولهم: (الشخص الأصغر يجب أن يحيي الشخص الأكبر، والشخص الماشي يحيي الشخص الجالس، والعدد الصغير من الأشخاص، يحيي العدد الكبير من الأشخاص).

(٣) وتراهم يترجمون بهذا التركيب هذه الآيات: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ (أولئك الذين)﴾ و﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (باستثناء أولئك الذين)﴾، وهذه الأحاديث: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَىٰ (باستثناء أولئك الذين يرفضون)» و«خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (ثم أولئك الذين يتبعونهم)».

يستعمل (أولئك الذين) إلا علىٰ طريقة الإفرنج، ويكفيه لو استعملَ (مَن) أو (الذين).

مثال لابن حزمٍ الأندلسي (ت: ٤٥٦ هـ) من كتابه الأخلاق والسير[١]:

الأصل	الترجمة	ردُّ الترجمة
من سبب للناس الطمع فيما عنده لم يحصل إلا علىٰ أن يبذله لهم ولا غاية لهذا أو يمنعهم فيلؤم ويعادونه فإذا أردت أن تعطي أحدًا شيئًا فليكن ذلك منك قبل أن يسألك فهو أكرم وأنزه وأوجب للحمد.	Anyone who tempts others with his riches has no choice but to share them out - and there would be no end to this - or to refuse them which would make him seem mean and would attract universal hostility. If you wish to give something to somebody, do it of your own initiative and before he asks for it; this is more noble, more disinterested and more worthy of praise.	أي أحد يغري الآخرين بثرواته ليس لديه خيار سوىٰ مشاركتهم بها -ولن يكون هناك حد لذلك- أو يرفضهم، مما (١) يجعله يبدو لئيمًا ويجتذب عداءً شاملًا. إذا رغبت أن تعطي شيئًا ما لشخص ما، فافعل ذلك بمبادرة شخصية منك وقبل أن يطلبه؛ هذا أكثر نبلًا، أكثر نزاهةً، وأكثر جدارة بالثناء.

(١) والترجمة لمحمد أبي ليلىٰ.

من بديع ما يقع في الحسد قول الحاسد إذا سمع إنسانًا يغرب في علم ما: (هذا شيء بارد، لم يتقدم إليه ولا قاله قبله أحد). فإن سمع من يبيِّن ما قد قاله غيره قال: (هذا بارد وقد قيل قبله). وهذه طائفة سوء قد نصبت أنفسها للقعود علىٰ طريق العلم يصدون الناس عنها ليكثر نظراؤهم من الجهال.	Something peculiar about envy is when you hear a jealous person say, when someone has done original work in some branch of science, "What a silly person! Nobody has ever put forward that hypothesis before and nobody has ever believed that. But if the same person hears someone expound an idea which is not new, he exclaims. "What a silly person! This is not a new idea"! This sort of person is harmful because he is bent of obstructing the path of knowledge and turning people away from it in order to increase the number of his own sort, the ignorant.	شيء ما غريب حول الحسد هو عندما تسمع شخصًا غيورًا يقول عندما يقوم أحدٌ ما بعمل أصلي في فرعٍ ما من العلم: «يا له من شخص سخيف! (٢) لم يقدم أحدٌ تلك الفرضية من قبل ولا أحد آمن بها أبدًا». لكن إذا سمع نفسُ الشخصِ شخصًا ما يشرح فكرة ليست جديدة، فإنه يصيح: «يا له من شخص سخيف! هذه ليست (٣) فكرة جديدة!» هذا النوع من الأشخاص ضار لأنه عازم علىٰ عرقلة طريق المعرفة ويحول الناس بعيدًا منه أجل زيادة عدد نوعه الخاص، الجهال.

(١) قال المترجم: (مما يجعله يبدو لئيمًا) ترجمةً لقول ابن حزم (فيلؤم)، وها هنا مسألة دقيقة. وهي أن الإنجليز إذا أرادت أن تصف شيئًا ببعض الصفات التي يراها المرء ويحسها في نفسه، لم يحسن في كلامهم وصفه بها رأسًا،

فيستعملون (يبدو)[1]. ويدخل في ذلك أيضًا صيغة (استفعل)، فإن الإنجليز إذا ترجموا أمثال هذه الألفاظ: استصعبت الأمر واستسهلته واستحقرته واستصغرته واستملحته ونحوها، قالوا: بدا لي سهلًا، وبدا صعبًا ونحوها. وترىٰ الإنجليز يترجمون أمثال هذه الألفاظ (أحسب وأرىٰ وأظن) بـ (يبدو لي). ومن الاستعمال الفرنجي لـ (يبدو) أن الإنجليز يستعملونها محلَّ (كأنَّ)[2]. وأهل العصر ينهجون نهجَ الإفرنج في (يبدو) ويسرفون فيها كإسرافهم.

(٢) قال المترجم: (لم يقدم أحدٌ تلك الفرضية من قبل ولا أحد آمن بها أبدًا) ترجمةً لعبارة ابن حزم: «[هذا شيء] لم يتقدم إليه ولا قاله قبله أحد». فتأمل أنتَ أيَّ العبارتين أقرب إلىٰ سليقتك العامية في أسلوبها وتركيبها، تعلمْ يقينًا أن الناس إذا كتبت تفرنجت، وأنَّ سليقتها العامية أقرب إلىٰ أساليب الأوائل. فأنتَ قد تقول في العامية: (هذا شيْ ما سبق له ولا قاله قبله أحد)، وهذا شيءٌ قريبٌ جدًّا من كلام ابن حزم وألفاظه، بخلاف العرنجية التي توافق الجملة الإنجليزية. لكنَّ الناس تعوَّدت الأسلوب العرنجي في الكتابة، فظنَّته لذلك أيسر. وتعوَّدت الناس العرنجيةَ في الكتابة حتىٰ ظنتها هي الكلام الفصيح، وقد رأيتُ بعض الأكاديميين إذا رأىٰ أحدًا يكتب ما يشبه هذه الجملة: (هذا شيء ما

---

(١) وترىٰ ذلك كثيرًا في ترجمتهم للكلام الفصيح، كما في ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ (يبدو رجوعا بعيدا)﴾ و﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (صار يبدو لهم جذابا)﴾ و﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡ (بدا متشابها)﴾ و﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ (بدا طويلا جدا)﴾ و﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ (هل كان يبدو عجيبا للناس)﴾. وكما صنعوا في ترجمة قوله ﷺ: «لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَىٰ قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ (تبدو غير مهمة مقارنة بقراءتهم)»، وكما قال بعضهم في ترجمة قول عمرَ رضي الله عنه: «لَا أَدَعُ بَعْدِي شَيْئًا أَهَمَّ عِنْدِي مِنَ الْكَلَالَةِ (يبدو في عقلي أكثر أهمية)»، وكما قالوا في ترجمة قول أنسٍ رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ (تبدو في أعينكم أصغر).

(٢) كما ترىٰ في ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ (يبدو كما لو كان هو)﴾، وكقول بعض صحابة النبي ﷺ له: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَىٰ بِالْبَادِيَةِ (يبدو أنك كنتَ ترعىٰ في الغابة)». وكقول بعضهم: «يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ (تبدو كما لو كانت موعظة وداعية).

قاله قبله أحد) توهم أنها من العامية، وإذا رأىٰ ما يشبه (لم يقدِّم أحدٌ هذه الفرضية مسبقًا) توهم أنها فصيحة واستأنس بها وأثنىٰ عليها، فسبحان الله كيف يحكمون! وتأمَّل قول المترجم: (فكرة شخص آخر) و(هذه ليست فكرة جديدة) التي ترجم بها قول ابن حزمٍ: «ما قد قاله غيره» و«قد قيل قبله!»، تزدد يقينًا بهذا الذي قلته لك.

(٣) قال المترجم: (ليست فكرة جديدة) ترجمةً لقول ابن حزم: «قد قيل قبله!»، وهذه فيها مسألة دقيقة جدًّا تظهر لك شدة تغلغل التفرنج في أساليب العربية واستعمالاتها، وأنه قل ما يُنتبه لكثيرٍ منها. وذلك قوله (فكرة)، ترجمةً لـ (قيل). والناظر في كتب المتقدمين ما يكاد يرىٰ لفظة (فكرة) بهذا المعنىٰ، وإن وجدَ اللفظة فهي في الغالب غير مطابقةٍ لاستعمال المعاصرين، وأنت إذا قرأتَ كتب المعاصرين رأيتهم يسرفون فيها إسرافًا شديدًا، وهم في أكثر هذه الاستعمالات موافقون لكلام الإفرنج، مخالفون لما استعملته العرب في هذه المعاني. وجربتُ أن أفتش عن لفظة (فكرة) في كتابٍ من أمهات كتب المتقدمين فوجدتُها لم ترد إلا في عبارتين، وهي «أطال الفكرة» «والأخذ بالحظِّ في تقليب الفكرة . . .» وليست هذه كاستعمال المعاصرين للفكرة. ثم فتشتُ عنها في كتابٍ لبعض المعاصرين مقاربٍ له في الطول، فوجدتُها وردت نحوًا من أربعين مرةً، أكثرها علىٰ طريقة الإفرنج[1].

(١) وأذكر لك أمثلةً من الكلام الفصيح وردت في ترجمته (idea فكرة)، ولعلي أكثر من الأمثلة لدقة هذه المسألة وخفائها، وتأمل أنتَ مطابقة استعمال المعاصرين للترجمة الإنجليزية ومخالفته للكلام الفصيح. ومن ذلك من القرآن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ (ليس عندنا فكرة إذا)﴾ و﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (لديكم أفكار مختلفة)﴾ و﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (فما هي فكرتكم عن رب العالمين)﴾، ومن الحديث قوله ﷺ: «إِنَّ عَبْدًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ثُمَّ عَرَضَتْ لَهُ التَّوْبَةُ (ثم خطرت له فكرة التوبة)» وقوله ﷺ: «تَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَشَدَّ النَّاسِ كَرَاهِيَةً لِهَذَا الشَّأْنِ حَتَّىٰ يَقَعَ فِيهِ (يكره هذه الفكرة)». ومثل ذلك قول أم المؤمنين عائشة ﵂: «كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلأُوثِرَنَّ بِهِ الْيَوْمَ عَلَىٰ نَفْسِي (كان عندي فكرة أن يكون المكان لي)» وقولها في حديث الإفك: «دَعَا =

مثالٌ لابن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ) من مقدمته(١):

الأصل	الترجمة	ترجمة الترجمة
وأين هذا كله من حال المأمون المعروفة في دينه وعلمه واقتفائه سنن الخلفاء الراشدين من آبائه وأخذه بسير الخلفاء الأربعة	How does all this accord with alMa'mun's well-known religion and learning, with his imitation of the way of life of his forefathers, the right-guided caliphs, with his adoption of the way of life of those pillars of Islam, the (first) four caliphs,	كيف يتفق كل هذا مع دين وتعليم المأمون (١) المعروف جيدًا، أو مع تقليده لطريقة الحياة الخاصة بأسلافه الخلفاء الراشدين، أو مع تبنّيه طريقةَ حياة أولئك الأركان للإسلام، الخلفاء الأربعة،

= رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ﷺ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْي، يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ (يستشيرهما في فكرة مفارقة زوجته)»، وكقولها ﷺ: «جَاءَنِي يَسْتَأْذِنُ عَلَيَّ فَكَرِهْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّىٰ أَسْتَأْذِنَكَ (فلم تعجبني فكرة أني أعطيه الإذن)». ومن كلام غيرها من الصحابة رضوان الله عليهم قول جابر بن عبدالله: «إنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَلَكَ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ أَوْ سَبْعَ وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آتِيَهُنَّ أَوْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجِيءَ بِامْرَأَةٍ تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُصْلِحُهُنَّ (لم أستحسن فكرة أن أحضر بنتًا مثلهم)». وقول عبد الرحمن بن عوف: «فَتَخْلُصَ بِأَهْلِ الْفِقْهِ وَأَشْرَافِ النَّاسِ، فَتَقُولَ مَا قُلْتَ مُتَمَكِّنًا (تخبرهم أفكارك بثقة)» وكقول سلمةَ بن صخرٍ الأنصاري: «وَجَدْتُ عِنْدَكُمُ الضِّيقَ وَسُوءَ الرَّأْيِ وَوَجَدْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ السَّعَةَ وَالْبَرَكَةَ (الأفكار السيئة)». وفي كلام من جاء بعدهم من أصحاب التصانيف قول الجاحظ: «فقد كان يفتنُّ (أي يتفنن في الحديث) في الحزم والعزم، وفي الحلم والعلم، وفي جميع المعاني، إلا ذكر الجود (مجموعة واسعة من الأفكار)»، وكقول ابن حزم: «فإني جمعت في كتابي هذا مَعَانِيَ كثيرة (أفكارًا عديدة)»، وكما في هذه الجمل لابن طفيل: «وكان رأيه هو ألا يتناول أحد شيئًا إلا ما يقيم به الرمق (وفكرته الخاصة كانت ..)» و«المعنىٰ الذي لاح له (الفكرة التي خطرت له ..)» و«واهتدىٰ إلىٰ البناء بما رأىٰ من فعل الخطاطيف (جاءت له فكرة البناء)»، وكقول ابن خلكان: «(ما أنا من فلان ولا فلان مني)، يريدون به البعدَ منه والأنفة (يريدون به فكرةَ التخلي ..)» وكما في قول أحمد النامي -معاصر المتنبي-: «كان قد بقي من الشعر زاوية دخلها المتنبي، وكنت أشتهي أن أكون قد سبقته إلىٰ معنيين قالهما ما سبق إليهما (فكرتين)».

(١) والترجمة لابن روزنتال.

أركان الملّة ومناظرته العلماء وحفظه لحدود الله تعالىٰ في صلواته وأحكامه.
فكيف تصحُّ عنه أحوال الفساق المستهترين في التَّطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان السمر، سبيل عشاق الأعراب.
وأمثال هذه الحكايات كثيرة، وفي كتب المؤرخين معروفة. وإنما يبعث علىٰ وضعها والحديث بها الانهماك في اللذات المحرمة وهتك قناع المخدرات، ويتعللون بالتأسي بالقوم فيما يأتونه من طاعة لذَّاتهم.

with his respect for the religious scholars, or his observance in his prayers and legal practice of the norms established by God! How could it be correct that he would act like (one of those) wicked scoundrels who amuse themselves by rambling about at night, entering strange houses in the dark, and engaging in nocturnal trysts in the manner of Bedouin lovers
There are many such stories. They are always cropping up in the works of the historians. The incentive for inventing and reporting them is a (general) inclination to forbidden pleasures and for smearing the reputation of others. People justify their own subservience to pleasure by citing men and women of the past.!

أو مع احترامه للعلماء الدينيين[1]، أو مراعاته في صلواته وممارساته القانونية للمعايير التي وُضعت من قبل الله.
(٢) كيف يمكن أن يكون صحيحًا أن يتصرف مثل أحد هؤلاء الأوغاد الفساق الذين يُسلُّون أنفسهم بالتجول في الليل، ودخول منازل غريبة في الظلام، والمشاركة في ملتقيات ليلية بطريقة العشاق البدو!
(٣) هناك قصص كثيرة كهذه، وهي دائما تظهر (٤) في أعمال المؤرخين. الحافز لاختراعها ونقلها هو ميل عام إلىٰ اللذات المحرمة ولتلطيخ سمعة الآخرين. يبرر الناس انقيادهم للذة بالاستشهاد برجال ونساء من الماضي.

(١) أخطأ المترجم هنا، لكنك لن تعدم فائدةً من النظر في تركيبه الإنجليزي هنا، وهو موجود في العرنجية.

فلذلك تراهم كثيرا ما يلهجون بأشباه هذه الأخبار وينقرون عنها عند تصفحهم لأوراق الدّواوين.

ولو ائتسوا بهم في غير هذا من أحوالهم وصفات الكمال اللّائقة بهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لو كانوا يعلمون.

ولقد عذلت يوما بعض الأمراء من أبناء الملوك في كلفه بتعلّم الغناء وولوعه بالأوتار وقلت له ليس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك فقال لي أفلا ترىٰ إلىٰ إبراهيم بن المهديّ كيف كان إمام هذه الصّناعة ورئيس المغنّين في زمانه؟

Therefore, they often appear very eager for such information and are alert to find it when they go through the pages of (published) works.

If they would follow the example of the people (of the past) in other respects and in the qualities of perfection that were theirs and for which they are well known, it would be better for them, if they would know.

I once criticized a royal prince for being so eager to learn to sing and play the strings.

I told him it was not a matter that should concern him and that it did not befit his position. He referred me to Ibrahim b. al-'Mahdi who was the leading musician and best singer in his time.

لذلك، غالبًا يبدون متحمسين جدًا لمعلومات كهذه، ويكونون متيقظين للعثور عليها عندما يتصفحون صفحات الأعمال المنشورة.

إذا كانوا سيتبعون مثال رجال الماضي في نواحٍ أخرىٰ وفي صفات الكمال التي كانت لهم والتي كانوا بها معروفين جيدًا، سيكون أفضل لهم، لو كانوا يعرفون.

لقد انتقدت مرةً أميرًا ملكيًا لكونه حريصًا جدًا أن يتعلم أن يغني ويلعب علىٰ الأوتار. قلت له إنها ليست أمرًا ينبغي أن يهمه ولا يليق بمنصبه. أحالني إلىٰ إبراهيم بن المهدي الذي كان الموسيقار الرائد والمغني الأفضل في وقته.

فقلت له: يا سبحان الله وهلّا تأسّيت بأبيه أو أخيه أوما رأيت كيف قعد ذلك بإبراهيم عن مناصبهم فصمّ عن عذلي وأعرض.	I replied :"For heaven's sake, why do you not rather follow the example of his father or his brother? Do you not see how that activity prevented Ibrahim from attaining their position?" The prince, however, was deaf to my criticism and turned away.	(٥) أجبته: بحق السماء، لماذا لا تتبع مثال أبيه أو أخيه؟ ألا ترىٰ كيف منع ذلك النشاط إبراهيم من الحصول علىٰ منصبهم؟ والأمير، مع ذلك، كان أصمَّ عن انتقادي واستدار بعيدًا.

(١) قال المترجم: (المعروف جيِّدًا) ترجمةً لـ (المعروف)، وترجمةً لـ (مشهور) في آخر الفقرة. والإنجليز تسرف في لفظة (جيِّدًا) في هذا المعنىٰ فيقولون (تعرف جيدًا، وتعلم جيدًا، وتدرك جيدًا)[١]، وأهل العصر يسرفون مثلهم من هذا الأسلوب، كما في قول بعض المعاصرين: «من المعروف جيدًا أن العلويين كانوا بعيدين جدًا عن التوحد في ما بينهم . . .» وكقول بعضهم: «وهذا الكتاب غير معروف جيدًا».

(٢) قال المترجم: (كيف يمكن أن يكون صحيحًا) ترجمةً لقول ابن خلدون «كيف يصحُّ»، فزاد لفظة (يمكن)، وهذه مسألة قلَّ من يتفطَّن لها، وهي أن إسراف الناس في استعمال (يمكن) وأخواتها كـ (يستطيع ويقدر) إنما هو أسلوبٌ

(١) وتأمل ذلك في ترجمتهم لهذه الآية: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ (أنت تعلم جيدا)﴾، وقول قول كعب رضي الله عنه: «يا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (ألست تدرك جيِّدًا)». والشواهد علىٰ ذلك كثيرةٌ في كتب العرب.

فرنجي. والإنجليز تراهم يقحمون can في تراجمهم للكلام العربي، وهي لم ترد في الأصل[1]. وأهل العصر موافقون للإفرنج في أسلوبهم هذا، مع أنهم لا يصنعون ذلك في عاميتهم، فتجد الرجل يقول (تلقىٰ هذا الكتاب في مكة)، (وما تدخل إلا بثوب) فإذا كتبَ تفرنج وقال: (يمكنك أن تجد هذا الكتاب في مكة) و(لا يمكنك الدخول إلا بثوب).

(٣) قوله (هناك قصص كثيرة كهذه) ترجمة لقول ابن خلدون (وأمثال هذه الحكايات كثيرة). والإنجليز تسرف في استعمال (هناك وثَمَّ) جدًّا، والمعاصرون يتأسَّون بهم في هذا الإسراف. والاستعمال في أصله عريقٌ في العربية، وليس مبتدأ أمره من الترجمة كما توهم بعض الفضلاء، فتراه عند القاسم بن سلَّام (ت: ٢٢٤): «وقال الكوفيون من أصحاب الرأي: الوضوء والغسل جائزان , وإن لم يكن هناك نية»، وتراه عند الجاحظ الذي أفادني به أستاذنا فيصل المنصور: «هناك خياناتٌ في صُلب الملك، أو في بعض الحُرَم، فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة من المُلْك». إلا أن استعمال (هناك) قليلٌ في كلامهم، أما المعاصرون فيسرفون فيها إسرافَ الإفرنج، حتىٰ غلَّبوا أسلوبَ الإفرنج علىٰ أساليب العرب التي تستعملها في هذا المعنىٰ، وصيَّروا أساليب العرب غريبةً[2]. والناس في عاميتهم أقرب إلىٰ أسلوب العرب، فتجد المرء

---

(١) كما فعلوا في ترجمة هذه الآيات: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ (كيف يمكن أن يكون)﴾ و﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (لا يمكنكم ان تحصوها)﴾ و﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ (لا يمكنك أن تقود العمي يمكنك فقط أن تسمع)﴾، وفي ترجمة هذه الأحاديث: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بيْنَ رِجْلَيْهِ أضْمنْ لهُ الجَنَّة (الذي يستطيع أن يضمن)» و«وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا (يمكن أن تُشم)» و«إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُوني ما هي؟ (أي شجرة يمكن أن تكون)»، وكما في قول ابن مسعودٍ ﷺ: «قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ (لكننا لم نستطع أن نجدك، وقضينا أسوأ ليلة يمكن أن يقضيها الناس)».

(٢) وتأمل ذلك في ترجمة الإنجليز لقوله ﷻ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (ليس هناك إله إلا هو)﴾ =

يقول: (ما في المحفظة ريال! وفلان ما بقلبه رحمة، ويا حظك لو أن عند بيتك مسجد) ونحوها، فإذا تفاصح تفرنج وقال: ليس هناك رحمة في قلبه، وليس هناك ريال في المحفظة، وأنت محظوظ إذا كان هناك مسجد عند بيتك، ونحو ذلك.

(٤) قال: (في أعمال المؤرخين)، ترجمةً لقول ابن خلدون: «في كتب المؤرخين». والإفرنج يستعملون لفظة (العمل work)، ويريدون بها ما يصنعه المرء بإعمال الذهن، كالكتاب والقصيدة ونحوها[1].

(٥) قال المترجم: (أجبته) ترجمةً لقول ابن خلدون (فقلتُ له)، والإنجليز تستعمل كثيرًا من الألفاظ في الموضع التي تستعمل فيه العرب (قال) مثل قولهم (أجاب) و(أضاف) ونحوها[2]، وكنت إذا عرضت لي في الترجمة هذه الألفاظ

= و﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (كان هناك بعض الرجال)﴾ و﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ (وبين أولئك الذين خلقناهم هناك أناس يهدون)﴾، وكما في ترجمة قوله ﷺ: «لَوْ أَنَّ نَهرًا بِبَابِ أَحدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا (لو كان هناك نهرٌ عند ...)» و«كَانَ -فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا (كان هناك شخصٌ)» و«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (هناك ثلاثة أصناف)» ومن كلام صحابته قول عمر بن الخطاب: «لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ (ليس هناك علامات سفر عليه)» وقول أبي حميد الساعدي: «فَلَمَّا جَاءَ وَادِيَ الْقُرَىٰ إِذَا امْرَأَةٌ فِي حَدِيقَةٍ (كانت هناك امرأة في حديقة)» وقول جرير بن عبدالله: «كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْتٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْخَلَصَةِ (كان هناك بيت)».

(١) وتأمل ترجمتهم لقول ابن حزم: «وهذا مستغرب في الشعر، ولي ما هو أكملُ منه (أقتبس مثالًا أكمل منه من أعمالي الخاصة)»، وقوله: «وحمي فكري وتهيج نشاطي فكان ذلك سببًا إلىٰ تواليف لي عظيمة المنفعة (أعمال مكتوبة)» ووردت لفظة works بهذا المعنىٰ في ترجمة وفيات الأعيان مئات المرات، منها: «وله في الأدب كتب متعددة (عدد من الأعمال اللغوية)» و«لا بن دريد من التصانيف المشهورة كتاب الجمهرة (بين أعماله المحتفىٰ بها)»، و«وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلدات (مجموعة أعماله الشعرية كبيرة)»، وبها ترجم الإنجليز قول ابن خلدون: «وطالع كتب الفلاسفة وشدّد في نفي الصفات (الأعمال الفلسفية)»، وقوله: «ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمّهات بالشرح والإيضاح (الأعمال الرئيسية)».

(٢) ومن ذلك ترجمتهم لهذه الآيات: (قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا (أجابوا)»، و﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (أضاف ما هي مهمتكم)﴾، و﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى (وأكمل نوح ربي)﴾ و﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ=

احترت فيها، ثم عرفتُ -بالنظر في تراجم الإنجليز للكلام الفصيح- أنهم يريدون بها كلَّها معنىٰ (قال). وقد يرىٰ المرء أن (قال) لا تؤدي المعنىٰ الذي يريده من (أضاف وأكمل)، فأقول هذا هو الذي أريده من قول إن الناس صارت ترىٰ أساليب العرب قاصرةً عن تأدية المعاني التي في نفوسهم، وتجد أساليب الإفرنج أدنىٰ إليها.

صفي الدين أحمد القشاشي (ت: ١٠٧١هـ)[١]:

الأصل	الترجمة	ردُّ الترجمة
مما أنعم الله به علىٰ أهل الحجاز هذا البن لأنهم ضعفاء فقراء في الغالب، والناس يقدمون عليهم من الآفاق، والإنسان لا بد له من طعامٍ يقدمه لمن دخلَ عليه،	One of the blessings of Allah on the inhabitants of the Hijaz was coffee beans, because those people were mostly poor and weak, and people used to come to them from everywhere. It is a necessity for a person that he have some food to offer to guests whom he receives into his home,	(١) إحدىٰ نعم الله علىٰ سكان الحجاز هي حبوب البن، لأن هؤلاء الناس يكونون غالبًا فقراء وضعفاء، (٢) والناس اعتادوا أن يأتوا إليهم من كل مكان. ومن الضروري أن يكون لدىٰ الشخص بعض الطعام ليقدمه للضيوف الذين يستقبلهم في منزله،

= ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ (صرح أنا عبد الله)﴾، وبعض الحذاق يريد الخروج من هذه العجمة فيقول: أجاب قائلًا، وأضاف قائلًا، وأكمل قائلًا، وصرَّح قائلًا، ونحو ذلك.

(١) وكلامه هذا رواه عنه تلميذه أبو سالم العياشي المغربي (ت: ١٠٩٠هـ)، ولا فرق هنا إن كان اللفظ للعياشي أو للقشاشي، فكلاهما من أهل تلك المئة، وهذا هو غرضنا هنا. وقد وجدتُ لها ترجمتين، ترجمة لزكي بن خير، وترجمة لسهيل بن لاهر، وخلطت بينهما ليصلح كل واحدٍ خللَ صاحبه، وأثبتُّ روابطها آخر الكتاب.

ولا قدرة لهم علىٰ تكلف ذلك لكل أحد يدخل عليهم، وهذه القهوة خفيفة المؤنة، والناس راضون بها، غنيهم وفقيرهم، ورئيسهم ومرؤوسهم، فكانت صيانة لوجوه الفقراء عند ورود أحد عليهم، فلا يبعد أن تكون مستحبة عند أهل الحجاز لأن اتخاذ الإنسان ما يصون به عرضه مطلوب شرعًا.	yet [these poor folk of the Hejaz] do not have the capability to undertake that [sort of hospitality] for everyone whom they receive. Now, this substance called coffee is inexpensive and easy to prepare, and people are satisfied by it, whether they are rich or poor, chiefs or followers. It therefore allows the poor to save face at times when they receive a guest. Hence, it is not far-fetched to conclude that it is a religiously praiseworthy thing for the people of the Hejaz, because from a [religious] point of view, a man has to maintain his honor.	لكن [هؤلاء الفقراء من الحجاز] ليس لديهم القدرة ليقوموا بذلك [النوع من الضيافة] لكل أحد يستقبلونه. الآن، هذه المادة التي تسمىٰ القهوة غير مكلفة وسهلة التحضير، والناس راضون بها سواء كانوا أغنياء أو فقراء أو رؤساء أو تابعين. ولذلك فإنها تسمح للفقراء بحفظ وجههم في الأوقات التي يستقبلون فيها ضيفًا. ولذلك ليس بعيدًا أن نستنتج أنه أمر يستحق الثناء دينيًا لأهل الحجاز، لأنه من وجهة نظر دينية، يجب علىٰ الرجل الحفاظ علىٰ شرفه».

(١) قال: (إحدىٰ نعم الله) ترجمةً لـ (مما أنعم الله به). والإنجليز ليس في لغتها ما يناظر (من) التبعيضية، فيستعملون محلَّها (أحد). و(من) هذه تستعملها العرب إذا أرادت أن تتكلم علىٰ بعضٍ من كلٍّ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾، والإنجليزية ليست فيها (من)

التبعيضية هذه، فإذا ترجموها للمفرد قالوا (أحد كذا..)[1]. وهذا الاستعمال إنما غُلِّبَ واشتهر لموافقته كلام الإفرنج وأساليبها.

(٢) قال: (والناس اعتادوا أن يأتوا) ترجمةً لقول القشاشي: «والناس يقدمون». ومن عادة الإنجليز استعمال (اعتاد used or accustomed to) في الكلام على الماضي من الأمور مما يتكرر ولا يكون مرةً واحدة، وهذا لا حاجة إليه في العربية، واشتهاره عند أهل عصرنا أسلوبٌ فرنجي[2].

وحسبنا بهذا هنا.

---

(١) كما ترى في ترجمتهم لقوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (تكون أحد المنذرين)﴾، و﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ (ذلك أحد آيات الله)﴾ و﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (أحد الرسل)﴾، وكما في ترجمته لقوله ﷺ: «إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ (أحد الأشياء التي . . .)» و«إِلَىٰ جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّام (إحدىٰ أحسن المدن في سورية)»، و«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (إحدىٰ صعوبات)». وكما في ترجمتهم لكلام بعض أصحاب التصانيف، مثل ابن حزم: «من عيب حب الذكر أنه يحبط الأعمال إذا أحب عاملها أن يذكر بها (أحد عيوب حب الصيت)» وقوله: «لعل علمك الذي تعجب بنفاذك فيه من العلوم المتأخرة (هو أحد فروع المعرفة الأقل أهمية)»، ومثل قول ابن خلدون: «والحجاج بن يوسف كان أبوه من سادات ثقيف وأشرافهم (أحد السادة والنبلاء في ثقيف)» و«وأما جزائر هذا البحر فكثيرة، من أعظمها جزيرة سرنديب (إحدىٰ الجزر الأعظم هي جزيرة سرنديب)».

(٢) وتأمل هذا في هذه ترجمتهم لهذه الآيات: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ (الآلهة التي اعتادوا أن يدعونها)﴾ و﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (الذي اعتادوا أن يستهزئوا به)﴾ و﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ (اعتدنا أن نقعد)﴾ و﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (لأنكم اعتدتم أن تفرحوا اعتدتم أن تمرحوا)﴾، وكما في قول ﷺ: «ثُمَّ يُدْعَىٰ النَّصَارَىٰ، فَيُقَالُ لَهُمْ مَنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّه (من اعتدتم أن تعبدوا . . . اعتدنا أن نعبد . . .)»، كقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ (اعتاد النبي)»، وكقول أنس رضي الله عنه: «كَانَ لاَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلاَّ فِي الاِسْتِسْقَاءِ (لم يعتد النبي أن يرفع . . .)» وكقول أبي هريرة رضي الله عنه: «قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً (اعتاد النبي)».

القرب بين العرنجية وكلام الإفرنج في الأساليب

تقدَّم فيما مضىٰ ذكر شيءٍ كثيرٍ من كلام المعاصرين عرَضًا، وبيَّنتُ موافقته لكلام الإفرنج في استعمال الألفاظ وفي ترتيبه وتركيبه. وأظنُّ في ما مضىٰ كفايةً، لكني أزيدك من كلامهم هنا حتىٰ أزيد الأمر توكيدًا وتثبيتًا وإيضاحًا واستدلالًا. وأعرج ها هنا علىٰ جملٍ قصيرةٍ ففِقَرٍ طويلة، وتأمل أنتَ كيف خالفت جملُ المتقدمين الإنجليزية، وكيف طابقتها لغة العصريين أو كادت، في ترتيب الكلام واختيار الألفاظ للمعاني وفي تركيبها واشتقاقاتها، حتىٰ إنك لتتوهم -من شدة المطابقة- أن كلام المعاصرين إنما هو ترجمةٌ لفظيةٌ لكلامٍ إنجليزي، وأنتَ ها هنا ترده إلىٰ أصله. وقد عرضتُ نصوص هذا الباب كلَّها علىٰ مترجمةٍ إنجليزيَّةٍ، وسألتُها أن تترجمها بلغةٍ إنجليزية سلسةٍ واضحةٍ، فتوسعتْ في بعض المواضع، مع أنها كانت تقدر أن تترجم أكثر الكلام ترجمةً لفظيةً ويصح الكلام لها مع ذلك، وهذا يعرفه من عرف الإنجليزية. وآثرتُ أن أبقي كلامها من غير تبديل، حتىٰ تعلم أنه علىٰ توسعها في الترجمة إلا أنها لم تباعد هذه النصوص في أسلوبها.

وقد ذكر عليٌّ الجارم رَحِمَهُ اللَّهُ سنةَ ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) عجمةَ الأساليب هذه، وفي كلامه دليلٌ علىٰ أن الفَرْنَجةَ لم تحدث في السنين القليلة التي خلت كما ظنَّ بعضهم، وإنما هي عريقةٌ في عصر الترجمة. يقول الجارم:

«نقرأ لبعض الكتاب كتابةً عربيةً في غير ردائها العربي الصميم، فظهرت مضطربةً مختلفة الألوان. هي أشبه بأعرابيٍّ انتزعته من البادية وأبقيت له خُفّيه وشَمْلته، ثم أضفت إلىٰ كل ذلك ما يحلو لك من ملابس فرنجية فبدا في زي عجيب تقتحمه العيون. لا هو بزيِّ العرب ولا بزي الأعاجم. وإذا عرض لكم شكٌّ أيها السادة في بعض ما أقول فإن أيسر ما يذهب بهذا الشك أن تعرضوا إلىٰ قطعةٍ مما يكتب هذا الصنف من الكُتَّاب، وأن تجربوا بأنفسكم بوضع كلمة أجنبية مكان كل كلمة عربية، فإن استقام لكم ذلك من غير كلفة ورأيتم أنكم خرجتم بعد هذا العمل اليسير بقطعة فرنسية أو إنجليزية صادقة التعبير صحيحة المعاني، فاعلموا أنني صدقتكم الحديث وأني لم أكن مبالغًا ولا مغرقًا»[1].

وكلامه هذا يصح في كتب الفلسفة والفكر والإعلام خاصةً، فإنك تجد الرجل يكتب بلغةٍ لو لم تعلم أنَّها كُتبت بالعربية أصالةً لأقسمتَ أنها كلامٌ مترجمٌ عن لغات الإفرنج ترجمةً لفظية. وقد ذكرتُ أول الكتاب أني ما أريد هؤلاء بكلامي، وإنما أريد من هم في عداد الأدباء، أو من كان في فنِّهم فسحةٌ للفصاحة كأهل العربية والمؤرخين ونحوهم. وتأمَّل هذا الكلام مثلًا للدكتورة خالدة سعيد في كتابها أفق المعنىٰ، وهي أستاذةٌ في الأدب:

«إن هذين البيتين يعيدان إنتاج قيم مغايرة بل مخالفة للمعنىٰ المقصود. وذلك يتولد من العلاقات البلاغية التي تقدمها الصياغة. ثم إن التحول من الخمول إلىٰ ما يشبه الكعبة بواسطة العلم، يعطي العلمَ هنا دورًا سحريًّا أو عجائبيًّا ويجعله بديلًا للنسب. كما يجعل القداسة الدينية مثلًا أعلىٰ له، وهذا

(١) جارميات، ص٢٤٥.

يَنتُج عن استقاء التعبير من حقل الرموز الدينية من جهة، ومن حقل القيم البدوية ومجتمع الأنساب من جهة أخرىٰ».

وتأمَّل قول الدكتور عبدالله العروي في كتابه مجمل تاريخ المغرب، وهو أستاذٌ للتاريخ:

«طلبت الكنيسة بإلحاح من امبراطور الشرق أن يبعث بحملة عسكرية ووعدته بمعجزة ربانية. وكانت فعلًا معجزة سنة ٥٣٣ عندما جاز الجيش البيزنطي البحر وانتصر انتصارًا لم يكن يتوقعه حتىٰ قائده بليزار. في الحقيقة كان زعماء الوندال قد تأثروا شيئًا فشيئًا بالحضارة الرومية (أي البيزنطية). وهذا يعني أن بيزنطة كانت قد شرعت في استرداد المغرب حضاريًا وديبلوماسيًا قبل أن تسترجعه عسكريًا. إن محاولة آخر الأمراء الواندال إيقاف حركة التأثير الثقافي وإثبات استقلاله عن بيزنطة هو ما دفع هذه الأخيرة إلىٰ استعمال القوة العسكرية. كان الغزو البيزنطي في ظاهره استرداد الأرض والسلطة، وفي حقيقته إحياء نظام اجتماعي بائد».

هذا الذي وضعتُ أسفله خطًّا كلُّه يُترجم إلىٰ الإنجليزية رأسًا، من غير أن يُبدل فيه شيء، علىٰ صورته وحاله وتصريفه، وأكثر ذلك إنما هو من دخيل الأساليب والاستعمالات الذي جاءت به الترجمة، وقليلٌ منه يجوز أن يكون له أصلٌ قديمٌ خامل، وغلَّبته الترجمة وأماتت ما هو أفصح منه. فأنتَ ترىٰ مثلًا قول الأولىٰ«يعيدان إنتاج قيم مغايرة» و«يعطي العلمَ هنا دورًا سحريًّا أو عجائبيًّا» و«وهذا يَنتُج عن استقاء التعبير من حقل الرموز الدينية»، هذا كلُّه إنجليزي. ومثله قول الثاني: «استرداد المغرب حضاريًّا وديبلوماسيًّا قبل أن تسترجعه عسكريًّا. إن محاولة آخر الأمراء الواندال إيقاف حركة التأثير الثقافي وإثبات استقلاله عن بيزنطة هو ما دفع هذه الأخيرة إلىٰ استعمال القوة العسكرية» كلُّه كلامٌ تحسبه كُتب بالإنجليزية ابتداءً، ثم ترجمه صاحبه ترجمةً لفظية. فكأنما المعاني تقع في نفوس

المعاصرين بالإنجليزية، وتسبكها خواطرهم سبكًا فرنجيًا، ثم تُوضع لها ألفاظٌ عربية.

وقد تقع عجمة الأساليب هذه في كلام خاصة الخاصة، وهاك جملةً لبعض الفضلاء من أساتذة العربية، يقول: «توجد قصص عديدة تربط الشطرنج بأسماء الخلفاء المبكرين والأدباء، ولكن كل ذلك غير مدعوم بدليل موثق». هذه الجملة يصلح أن تُترجم إلىٰ الإنجليزية ترجمةً لفظيةً، كلمةً بكلمةٍ تصريفًا بتصريف، ولا يكاد يختلف فيها شيء، فتقول:

There are numerous stories linking chess to the names of early caliphs and litterateurs, but all of that is not supported by documented evidence.

وهذه معناها لفظيًا: (هناك قصص عديدة تربط الشطرنج بأسماء الخلفاء المبكرين والأدباء، لكن كل هذا غير مدعوم بدليل موثق)، فلم يختلف عن أجلزتها إلا أن (يوجد) صارت (هناك)، علىٰ أن المؤلف من أساتذة العربية وله معجم في إصلاح أخطاء المعاصرين. ومما في هذه الجملة من أساليب الإفرنج قوله (الخلفاء المبكرين) وهم يقولون early ويريدون به المتقدمين، فيقولون مثلًا: الشعراء المبكرون، واليونانيون المبكرون، والتاريخ المبكر للإسلام، ونحو هذه الاستعمالات. وهذه استعمالات شاعت عند أهل العصر، كقول بعضهم: «وتجد في هذا الصدد آراء علماء مبكرين، منهم الأصمعي وأبو عبيدة ...»[1]. ومنها قوله (غير مدعوم بدليل) فالإنجليز هي التي تستعمل لفظة (الدعم support) هكذا[2]، وإن كان استعمالها معقولًا، وعند العرب استعمالات قريبة منها.

---

(١) والإنجليز يستعملونها كثيرًا في ترجمتهم لكتب العرب، كما في ترجمتهم لمقدمة ابن خلدون: «كما هو مذهب السلف من الأمة (اعتقاد المسلمين المبكرين)»، و«وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا (العلماء المبكرون)»، و«وأما بعد صدر الملة وحين علق الناس علىٰ العلوم (السنين المبكرة) ...»

(٢) وتأمل ذلك في ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (أحضروا دليلا يدعم كلامكم)﴾، وكما في ترجمة قوله ﷺ: «هَلْ لَكَ بَيِّنَةٌ؟ (دليل يدعم كلامك؟)»، وكما في ترجمة رسالة الشافعي: «فما في سياق الآية ما يدل علىٰ ما وصفت (دليل يدعم الذي قلته)» وكما =

والمعاصرون كثيرًا ما يضعون لفظة الدعم -في غير هذا المعنىٰ- في المواضع التي تضعها فيها الإفرنج ويغلبونها علىٰ ألفاظ العرب واستعمالاتهم[1].

وهلمَّ ننظر في جملٍ وفقرٍ من كلام بعض المعاصرين. وكنتُ آنفًا أعلق بتعليقات يسيرةٍ، وتركتُ التعليق ها هنا، حتىٰ يكون الأمر منوطًا بتأملك للكلام كلِّه، فانظر كيف طابقَ النصُّ العربيُّ النصَّ الإنجليزيَّ في أساليبه وتراكيبه واستعمالاته ولم يخالفه إلا في الشيء اليسير. واجعل هذه دربةً لك في تأمل الكلام والبَصَرِ بوجوه عجمته، وقد رأيتَ فيما تقدَّم من تعليقاتٍ ما يصلح أن تنتهج مثله.

للدكتور جمال فوزي عمار، في كتابه (التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام)، وهو من أساتذة التاريخ:

الأصل	الترجمة	ترجمة الترجمة
البحث في طبيعة المعرفة التاريخية والمؤرخين الذين شكلت كتاباتهم مادة هذه المعرفة، ومحاولة تصور مسيرة الحركة التأريخية للتاريخ الإسلامي،	Research into the nature of historical knowledge and the historians whose writings have formed the substance of this knowledge, and the attempt to imagine the path of the historiographical movement of Islamic history,	البحث في طبيعة المعرفة التاريخية والمؤرخين الذين شكلت كتاباتهم مادة هذه المعرفة، ومحاولة تصور مسار الحركة التأريخية للتاريخ الإسلامي،

= في ترجمة قول ابن حجر: «فإن للأول شاهدًا من حديث ابن عمر (الحديث الأول له دليل يدعمه في حديث ابن عمر)».

(١) وتأمل ذلك في ترجمة الإنجليز لهذه الآيات: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (يقدموا لهم الدعم)، و﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ (لن أدعم المجرمين أبدا)، و﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (دعم قوي)، وكترجمتهم لقوله ﷺ: «مَنْ أَعَانَ عَلَىٰ خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ -أَوْ يُعِينُ عَلَىٰ ظُلْمٍ- لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْزِعَ (يدعم الظلم)» وقوله: «مَنْ تَرَكَ كَلًّا أَوْ ضَيَاعًا، فَأَنَا وَلِيُّهُ فَلأُدْعَىٰ لَهُ (فأنا داعمه)» وكقول ورقة بن نوفل رضي الله عنه: «وَإِنْ أَدْرَكَنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا (أدعمك بقوة)».

هو أحد فروع الدراسات التاريخية عميقة الجذور في حقل التراث التاريخي الإسلامي[١].	is one of the branches of history studies which is deeply rooted in the field of Islamic historical heritage.	هو أحد فروع دراسات التاريخ (١) المتجذرة بعمق في حقل التراث التاريخي الإسلامي.

(١) قول الإنجليز deeply rooted اختلفوا في ترجمته، فمن الناس من يترجمها بقوله (عميقة الجذور) ومنهم من يقول (متجذرة بعمق) ومنهم من يقول (متجذرة بشكل عميق)، وكل ذلك شائعٌ في كلام المعاصرين[٢].

وهذا كلامٌ للدكتور عبدالرحمن المنيف من كتابٍ اسمه (سيرة مدينة)، والمنيف من كبار كتاب هذا العصر:

الأصل	الترجمة	ترجمة الترجمة
«ورغم أن الأردن، رسميًا، كان إلىٰ جانب الحلفاء، وأعلن دخوله الحرب، إلا أن عواطف الناس، بصورة عامة،	Even though Jordan, officially, was on the side of the allies, and announced that it would enter the war, nevertheless people's emotions, generally speaking,	رغم أن الأردن، رسميًا، كان إلىٰ جانب الحلفاء، وأعلن أنه سيدخل الحرب، إلا أن عواطف الناس، بصفة عامة[٣]،

(١) ص٣.

(٢) وفي ترجمة مقدمة ابن خلدون: «والكثير منه لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدوة، وما ذاك إلا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم (متجذرة فيهم بعمق)» و«لغتهم حضرية منسوبة إلىٰ أهل الحواضر والأمصار بخلاف لغة البدو من العرب فإنها كانت أعرق في العروبية (متجذرة بعمق أكثر)»

(٣) العبارة الإنجليزية اختلفوا في ترجمتها، فمنهم من يقول: بصورة عامة، وبشكل عام، وبصفة عامة، وكل ذلك شائعٌ في كلام الناس.

كانت إلىٰ جانب ألمانيا، ويمكن تفسير هذه العواطف بسهولة، فالموقف تجاه اليهود أبرزها، يضاف إلىٰ ذلك أن النظرة نحو الإنكليز، وإلىٰ الفرنسيين لم تكن ودية، بل معادية، نظرًا لكونهما المستعمرين المباشرين. ثم إن مجيء عدد إضافي من الإنجليز في هذه الفترة وتعزيز بعض الوحدات، خاصة قوات البادية، والتي كانت الزرقاء مقرًا لها، جعل الناس يتخوفون . . .»[1].	were on the side of Germany. These emotions can be easily explained, the attitude towards the Jews being the most prominent one, and add to this that the view towards the English and French was not friendly, but rather, hostile, in light of their being the immediate colonizers. And then, the arrival of an additional number of English persons during this period and the reinforcement of some of the units, particularly the Badia Force which was based in Zarqa, made the people apprehensive ...	كانت إلىٰ جانب ألمانيا. وهذه العواطف يمكن تفسيرها بسهولة، فالموقف تجاه اليهود هو الأبرز، ويضاف إلىٰ ذلك أن النظرة تجاه الإنجليز والفرنسيين لم تكن ودية، بل كانت معادية، في ضوء كونهما المستعمرين المباشرين. وثم إن وصول (١) عدد إضافي من الأشخاص الإنجليز خلال هذه الفترة وتعزيز بعض الوحدات، خاصةً قوة البادية، التي كان مقرها في الزرقاء، جعل الناس متخوفين . . .

(١) لفظة (أضاف) وكثير من اشتقاقتها في كلام المعاصرين كقوله الكاتب هنا (عدد إضافي)، إنما هي علىٰ أساليب الإنجليز. وكثيرٌ من هذه الاستعمالات الإنجليزية شاع في كلام المعاصرين حتىٰ غلب علىٰ الألفاظ التي كانت تستعملها

---

(١) ص١٤٠.

العرب في هذا المعنىٰ كـ (الزيادة)، فتراهم يقولون: (كذا يعطيك قوةً إضافية)، يريدون: يزيدك قوةً[١].

للدكتور محمود جابر عباس، من أساتذة العربية، في مقالٍ له اسمه (ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث):

الأصل	الترجمة	ترجمة الترجمة
كوّنت المقاربات النقدية الحديثة التي عرفها النصف الثاني من القرن العشرين حول قضايا الشعر العربي المعاصر أحدَ الاتجاهات الأساسية التي احتدم النقاش والجدل حولها بين نقادنا منذ مدة ليست بالقصيرة. ولا تزال تثير جدلًا متواصلًا ومتشعبًا ومثيرًا في آن واحد،	The modern critical approaches known to the second half of the 20th century concerning issues of contemporary Arabic poetry have formed one of the primary trends around which discussion and debate have raged amongst our critics for more than a short while. They still arouse constant debate which is both complex and interesting at the same time,	شكلت المقاربات النقدية الحديثة المعروفة في النصف الثاني من القرن العشرين بخصوص قضايا الشعر العربي المعاصر أحد الاتجاهات الأساسية التي احتدم حولها النقاش والجدل بين نقادنا لأكثر من مدة قصيرة. ولا تزال تثير جدلًا متواصلًا ومعقدًا ومثيرًا للاهتمام في نفس الوقت،

(١) وتأمل ذلك في ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ (أضفنا لهم المزيد من العذاب)﴾ و﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا (وتسعة إضافية)﴾ وترجمتهم لقوله ﷺ: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ (أضف الكثير من الماء)». وترىٰ الإنجليز يستعملونها كثيرًا في ترجمة (الزيادة) وما اشتق منها، كما في ترجمتهم لقول ابن حزم: «فهذا شرط في النصيحة زائد علىٰ شروط الصداقة (إضافي)» وقوله: «فإن لم يزدك بيانًا وسكت أو أعاد عليك الكلام الأول ولا مزيد فأمسك عنه (من غير أن يضيف أي شيء)».

حيث يحاول النقاد تفحص ودراسة آليات تحديث الشعر، الذي يشكل الأساس الفكري والجمالي للكشف عن رؤية حديثة بشأن قضايا التعبير الشكلي والبنيوي والسوسيولوجي، وبشأن البنية الإيقاعية والأدائية ووسائل التجديد فيها، وبشأن البنية اللغوية وقدرتها لانتهاك قانون المعيارية والوصفية. وقد بذل الشعراء والنقاد العرب -من بين منظري الحداثة العربية- جهودًا واضحة ومتميزة في هذا الجهد النظري والإبداعي والتطبيقي.	as the critics attempt to examine and study mechanisms for the modernization of poetry, which forms the intellectual and aesthetic basis for uncovering a modern vision concerning issues of formalist, structuralist, and sociological expression, and concerning rhythmic and performative structure and the means of renewal therein, and concerning linguistic structure and its ability to violate the law of normativity and descriptiveness. Arab poets and criticsfrom amongst the theorists of Arab modernismhave expended evident and distinguished efforts in this theoretical, creative, and applied endeavor.	محاولين تفحص ودراسة آليات التحديث الشعري الذي يؤلف الأساس الفكري والجمالي في الكشف عن رؤية حديثة لقضايا التعبير الشكلي والبنائي والسوسيولوجي والبنية الإيقاعية والأدائية وأساليب التجديد فيها، والبنية اللغوية وقدرتها في انتهاك قانون المعيارية والوصفية. وقد بذل الشعراء والنقاد العرب -من منظري الحداثة العربية- جهودًا واضحة ومتميزة في الجهد التنظيري والإبداعي والتطبيقي.

وهذا النصُّ علىٰ أنه يذكر الأدبَ والشعر والبلاغة، وهي أحرىٰ العلوم بالكلام الفصيح العالي، إلا أنَّ غالب الكلام إنجليزيُّ الأصل، في استعمالاته وتراكيبه. وكثيرٌ من ألفاظه إنما أدخلته لغات الإفرنج كـ(المقاربة) التي يريدون بها النهجَ والطريق، وغيرها من التراكيب كالكشف عن رؤية حديثة، وكالآليات، والتعبير الشكلي والبنائي والسوسيولجي، وانتهاك قانون المعيارية، وبذل الجهود المتميزة، ونحو ذلك.

وحتىٰ لا أدع في قلبك شكًّا من تغلغل هذا التفرنج وغَلَبته علىٰ الكلام، وأني لم أتتبع هنا بعض أخطاء المعاصرين وسقطاتهم تتبعًا، ولم أفتش عن نصوصٍ أنصر بها قولي، وإنما هو أمرٌ فاشٍ في لغتهم، لا تخطئه عين من عرف الكلام الفصيح، وماز بينه وبين العرنجية، فهذه مجلَّةٌ اسمها (أفكار)، بدأت سنةَ ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦م)، وتصدرها وزارة الثقافة الأردنية. وتُنشر في مجلة أفكار هذه الأشعارُ والقصص والمقالات التي تذكر الأدب والشعر وشيئًا من أخبار الناس وأحوالهم والمصنفات -قديمها وحديثها-، وغالب من يكتب فيها إنما يكون من كبار الكُتَّاب، ومقالاتها لعامة الناس لا لأصحاب الفنون، فليس فيها من اصطلاحات الفنون. ومجلة كهذه حقيقةٌ أن تكون فصيحة اللغة واضحة المعاني حسنةَ البيان. وحتىٰ أجعلك علىٰ يقينٍ من تفشي العجمة في كلام أكثر الكُتَّاب، لم أفتش في أعداد المجلات وصفحاتها عما يصلح الاستشهاد به، وإنما عمدت إلىٰ أربعةٍ من أعدادها، وكلُّ عددٍ من سنةٍ من السنين الأربع القريبة التي خلت. وقصدت الصفحة الخمسين من كلِّ عددٍ رأسًا من غير تقصٍّ، ونقلتُ من تلك الصفحة فقرةً علىٰ حالها، وأعرضها عليك هنا. وأنا هنا لا أحطُّ من قدر الفضلاء الذين أوردت لهم، بل أحسبهم أعلم مني وأجود بضاعةً في الفن، إلا أن الكلام هنا في اللغة نفسها وفي عجمتها، وهذا أمرٌ لا يكاد يسلم منه أحدٌ من أهل زماننا إلا من عصم الله.

للدكتور فايز الصيَّاغ، من أجوبته علىٰ نضال برقان في مقالٍ اسمه (فايز الصياغ، شيخ المترجمين العرب، نُشر في العدد ٣٢٤، سنةَ ٢٠١٦م):

ترجمة الترجمة	الترجمة	الأصل
يجب أن نتوقف عن الانخراط في نوع من النرجسية والفخر الأجوف، فنعتقد أن المثقف العربي بالتحديد قد لعب، خلال نصف القرن الماضي، دورًا[١] تنويريًا ومؤثرًا في الحياة العامة العربية عمومًا. ذلك لأننا شهدنا خلال النصف الأول من القرن الماضي كوكبة من الأشخاص المثقفين والمفكرين الذين كان لأفكارهم وممارساتهم تأثير عميق علىٰ الحياة الثقافية والسياسية والتعليمية في مصر والشام.	We must stop engaging in a type of narcissism and hollow pride, believing that the cultured Arab in particular has played, throughout the last half century, an enlightening and influential role in Arabic public life in general. This is because we have witnessed, during the first half of the last century, a constellation of cultured persons and thinkers whose ideas and practices have had a profound impact on the cultural, political, and educational life in Egypt and the Levant.	علينا أن نتوقف عن ممارسة نوع من النرجسية والتفاخر الأجوف فنعتقد أن المثقف العربي تحديدًا قد أدىٰ خلال نصف القرن الماضي دورًا تنويريًا مؤثرًا في الحياة العامة العربية عمومًا. ذلك أننا قد شهدنا خلال النصف الأول من القرن الماضي، كوكبة من المثقفين والمفكرين قد أحدثت أفكارهم وممارساتهم تأثيرًا عميق الغور في الحياة الثقافية والسياسية والتعليمية في مصر وبلاد الشام.

(١) وفي هذا العبارة فائدةٌ لطيفة، وهي أن بعض الكُتَّاب قد يخرج من عجمةٍ ظاهرة إلىٰ عجمةٍ أخفىٰ منها، فأنتَ تراه مثلًا قال (أدَّىٰ دورًا تنويريًا) بدل (لعب دورًا تنويريًا)، لأن بعضهم زعم أنَّ العبارة الأعجمية (لعب دورًا) تصلُحُ إذا وضعنا (أدىٰ) محلَّ (لعب).

واكتسبت تيارات فكرية وثقافية مماثلة بروزًا في مجتمعات عربية أخرىٰ مثل العراق وبعض دول شمال غرب إفريقيا العربية. لكن الغالبية العظمىٰ من المثقفين، وحتىٰ المتعلمين العرب، خلال فترة ما بعد الكولونيالية من الاستقلال منذ وسط القرن العشرين، كانوا وما زالوا، بأكثر من طريقة، يتحركون في فلك القوة الحاكمة، أو يتحدثون باسمها، أو ينتمون إلىٰ «الحاشية» أو إلىٰ الدوائر القريبة منها.	Similar intellectual and cultural currents gained prominence in other Arab societies like Iraq and some of the countries of Arab Northwest Africa. However, the vast majority of the cultured and even the educated Arabs, during the post-colonial period of independence since the middle of the 20th century, were and still are, in more than one way, moving in the sphere of the reigning power, or speaking in its name, or belonging to the ''entourage'' or to the circles close to it.	وبرزت تيارات فكرية وثقافية مماثلة في مجتمعات عربية أخرىٰ مثل العراق وبعض أقطار المغرب العربي. غير أن الأغلبية الغالبة من المثقفين، وحتىٰ المتعلمين العرب، في مرحلة الاستقلال بعد الكولونيالية منذ أواسط القرن العشرن، كانوا، وما زالوا، علىٰ أكثر من وجه، يدورون في فلك السلطة القائمة، أو ينطقون باسمها، أو ينضمون إلىٰ «الحاشية» أو الدوائر القريبة منها.

جلال برجس، في مقالٍ اسمه (استطلاع حول سر غياب أدب الخيال العلمي عند العرب، نُشر في العدد ٣٤٣، سنةَ ٢٠١٧م):

الأصل	الترجمة	ترجمة الترجمة
رغم أن عددًا من الكتاب الشباب الذي تعرَّف بعضهم علىٰ هذا الشكل الأدبي عَبر السينما، ومن ثم الكتاب، لهم محاولات، لكنها لم تجد صدىٰ، لا في الأوساط النقدية[1]، ولا بين القراء، ومن الجدير بالذكر أن كثيرًا من الأدباء يعتبرون هذا النمط نمطًا هابطًا، والكتابة فيه محض انحدار نحو شكل أدبي شعبي لا يفضلون الذهاب إليه مغادرين كتاباتهم التي ما تزال ترتهن إلىٰ القضايا السياسية الكبرىٰ، وإلىٰ الخيال الرومنسي.	Although a number of young writers, some of whom have become acquainted with this literary form through the cinema, and later, books, have made attempts, however, these have not found resonance, neither amongst critics nor with readers. It is worth noting that many literary writers consider this style to be a low style, and writing in it to be simply descent into a popular literary form in which direction they don"t want to go in a departure from their writings which continue to be dependent on the major political issues and romantic fantasy.	رغم أن عددًا من الكتاب الشباب، الذين تعرف بعضهم علىٰ هذا الشكل الأدبي عبر السينما، ثم الكتب لاحقًا، قد قاموا بمحاولات، لكنها لم تجد صدىٰ، لا بين النقاد ولا لدىٰ القراء. ومن الجدير بالذكر أن كثيرًا من الكتاب الأدبيين يعتبرون هذا النمط نمطًا هابطًا، والكتابة فيه هي ببساطة انحدار إلىٰ شكل أدبي شعبي لا يريدون الذهاب في اتجاهه مغادرين كتاباتهم التي ما تزال تعتمد علىٰ القضايا السياسية الكبرىٰ والخيال الرومانسي.

(١) قوله: (الأوساط) لا يصلح ترجمته إلىٰ الإنجليزية، لأنه من كلام الفرنسيس، ذكر الترجمان فريدٌ العربي أنه من قول الفرنسيس: (dans les milieux)، وعربيه (عند) أو (في)، كأن تقول إن هذا الأمرَ ذاع في الأدباء أو عندهم، بدل في الأوساط الأدبية. وفي هذا تنبيهٌ علىٰ أنَّ بعض التراكيب تأبىٰ أن تُردَّ إلىٰ الإنجليزية لفظيًا لا لعروبيتها، بل لأنها فرنسية الأصل.

لفتحي الضمور، في مقالٍ اسمه (انعكاس الربيع العربي في الموسيقىٰ والغناء، نُشر في العدد ٣٥٦، في ٢٠١٨م)

ترجمة الترجمة	الترجمة	الأصل
إن الموسيقىٰ الثورية الهادفة التي كانت وما تزال من أجل أمّ كل قضايانا، فلسطين، لأنها معارضة للمحتل، المستعمر الصهيوني - هي أكثر استحقاقًا بالدعم والانتشار من تلك التي نبثها منا، وإلينا، وعنَّا، وضدنا. ويا له من مبلغ كبير من المال تم إنفاقه علىٰ مشاريع فنية لا تخدم في النهاية غير أولئك الذين لديهم مصالح خاصة، الذين استغلوا هذا «الربيع»، مستخدمين اسم الدين، والذي لا يحمل أي علاقة بالدين، لأنه ببساطة دين محبة وسلام وأمان.	The revolutionary, purposeful musicwhich was and still is for the sake of the mother of all our issues, Palestine, since it is opposed to the occupier, the Zionist colonizeris more worthy of support and dispersal, than that which we broadcast from us, to us, about us, and against us. And what a great amount of money has been spent on artistic projects, which do not serve in the end other than those who have special interests, who have taken advantage of this spring," using the name of the religion, which bears no relation to the religion; for, it is simply a religion of love, peace, and security.	إن الموسيقىٰ الثورية الهادفة التي كانت، وما تزال، من أجل قضيتنا الأم، فلسطين، لأنَّها ضدَّ المحتل، والمستعمر الصهيوني، هي أحقُّ بالدعم والانتشار، من تلك التي نبثها منا، وإلينا، وفينا، وضدَّنا. وكم من المال الكثير، الذي أُنفق علىٰ مشاريع فنية، لا تخدم في النهاية، إلا أصحاب المصالح، الذين استغلوا هذا الربيع، باسم الدين، والذي لا يمت بصلة للدين، فما هو إلا دين محبة وسلام وأمان.

وقد أفرز الربيع العربي كثيرًا من المطربين الذين لم يثروا الساحة الفنية.	The Arab Spring has spawned many singers who have not enriched the artistic arena.	لقد ولَّد الربيع العربي كثيرًا من المطربين الذين لم يثروا الساحة الفنية.

للزبير مهداد، من مقالٍ له اسمه (الحداثة ... المثقف والسلطة، نُشر في العدد ٣٦٤، سنةَ ٢٠١٩م)

الأصل	الترجمة	ترجمة الترجمة
مطلب الحداثة لم يعد مثالًا خارجيًّا تسعىٰ النخبة العربية لنقله، بل أضحىٰ دينامية داخلية داخل المجتمع برعاية وإشراف الدول الاستعمارية، يزاحم البنيات التقليدية ويفككها. فأصبح المجتمع العربي مشدودًا بين ديناميتين قويتين: دينامية التحديث بمنشآته التقنية ومؤسساته الاقتصادية والإدارية ونماذجه الثقافية والفكرية الجديدة،	The demand for modernity is no longer a foreign ideal that the Arab elite is striving to transmit, rather it has become an internal dynamic within society under the patronage and supervision of the colonizing countries, which crowds out traditional structures and breaks them down. So, Arab society has become pulled between two powerful dynamics: the dynamic of modernization, with its technical facilities, its economic and administrative establishments, and its new cultural and intellectual models,	مطلب الحداثة لم يعد مثالًا أجنبيًّا تسعىٰ النخبة العربية إلىٰ نقله، بل أصبح ديناميكية داخلية داخل المجتمع تحت رعاية وإشراف الدول المستعمرة، الذي يزاحم البنيات التقليدية ويفككها. فأصبح المجتمع العربي منجذبًا بين ديناميكيتين قويتين: ديناميكية التحديث، بمرافقه التقنية، ومؤسساته الاقتصادية والإدارية، ونماذجه الثقافية والفكرية الجديدة،

ودينامية التقليد بمؤسساته الاجتماعية وقيمه الثقافية والذهنية الراسخة، وهذه السيرورة تضاعفت بوتيرة أكبر بعد إعلان الاستقلال، وبتغير واضح في طبيعة الفاعلين.	and the dynamic of tradition with its societal establishments and its solid cultural and mental values. This process has intensified with a greater pace since the announcement of independence, and with a clear change in the nature of the actors.	وديناميكية التقاليد بمؤسساتها المجتمعية وقيمها الثقافية والذهنية الصلبة. وقد تضاعفت هذه العملية بوتيرة أكبر منذ إعلان الاستقلال، وبتغيير واضح في طبيعة الفاعلين.

تأمل كيف كاد ترتيب الكلام يتطابق في الغالب فلا يُغيَّر فيه إلا شيء يسير، وكذلك تصريف الألفاظ، فتجد الاسم يناظر في الغالب اسمًا والفعل يناظر فعلًا والنعت نعتًا والحرف حرفًا. كأنما رُكِّبَ الكلام تركيبًا إنجليزيا. وقد تقدّم ذكر شيءٍ من كتب المتقدمين، ورأيتَ أنَّ الكلام يُغيَّر أكثر أسلوبه وتراكيبه واستعمالاته حتىٰ يستقيم في الإنجليزية، أما كلام المعاصرين فهو -كما رأيتَ- يُترجم -في أكثره- من غير كثير تبديل ويخرج مع ذلك مستقيمًا، لأن أكثر الاستعمالات والتراكيب إنما تُردُّ إلىٰ أصلها الذي جاءت منه. وإنَّ كلامًا مثل هذا يشقُّ إصلاحه، فأكثره فاسد، وإصلاحه: استبداله. ومن أصلح فيه لفظةً كأن يستعمل (أدَّىٰ دورًا) بدل (لعب دورًا) فهو كمن رأىٰ بنيانًا تقوّضَ وخرَّ سقفه وتهدمَّت أركانه، فجاء عند مدخله ووضع حصيرًا، ثم قال: أصلحنا الدار، الحمدلله!

ولا يقع في وهمك أن هذا الذي رأيتَه إنما هو من التوافق بين اللغتين وأنه قد يقع في كلام المتقدمين أيضًا، وقد عرضتُ عليك فيما سبق شيئًا كثيرًا من كلامهم، ورأيتَ أنَّه مباعدٌ لتراكيب الإنجليز جدًّا. وحتىٰ أزيدك يقينًا ولا أدع في قلبك ذرة شكٍّ، هذا كلامٌ للدكتور الفاضل محمد طقوش في كتابه التاريخ

الإسلامي الوجيز، وقد نقل هذا الخبر من طائفةٍ من كتب المتقدمين، فالمعاني التي عبَّرَ عنها أخذها من كلام المتقدمين، وصاغها بكلام أهل العصر. وأُورد هنا كلامه، ثم كلام الأوائل الذين نقل عنهم، وتأمل كيف قارب كلامُه أساليبَ الإنجليز، وكيف باعد كلامُ المتقدمين الإنجليزية:

الأصل	الترجمة الإنجليزية	ترجمة الترجمة
تسلم عبدالعزيز حكم الأندلس بتكليف من والده موسىٰ بن نصير . . . كان عبدالعزيز حاكمًا ناجحًا، رافق والده في معظم حملاته العسكرية، واكتسب منه خبرةً في العمل الإداري، وأبدىٰ حين تسلم الحكم رغبةً صادقةً في تنظيم الإدارة الجديدة، فأنشأ ديوانًا لتطبيق الأحكام الشرعية وتنسيقها لاستقطاب المسلمين من مختلف القبائل، وشجع الزواج بين العرب والإسبان لخلق مجتمع متجانس،	Abdel Aziz assumed the rule over Al-Andalus by commission from his father, Musa bin Nusair Abdel Aziz was a successful ruler. He accompanied his father on most of his military campaigns and gained experience from him in administrative work, and when he began to govern, he demonstrated a sincere desire to organize the new administration, establishing a divan [a high governmental body] to apply legal rulings and organize them for the purpose of attracting and bringing in Muslims of the various tribes. He encouraged marriage between Arabs and Spaniards in order to foster a homogeneous society,	تولىٰ عبد العزيز حكم الأندلس بتكليف من والده موسىٰ بن نصير . . . كان عبد العزيز حاكمًا ناجحًا. رافق والده في معظم حملاته العسكرية واكتسب خبرةً منه في العمل الإداري، وعندما بدأ في الحكم أظهر رغبة صادقة في تنظيم الإدارة الجديدة، فأنشأ ديوانًا [هيئة حكومية عليا] لتطبيق الأحكام القانونية وتنظيمها بغرض جذب واستقدام المسلمين من مختلف القبائل. شجع الزواج بين العرب والإسبان من أجل تعزيز مجتمع متجانس،

فتزوج هو من إيجلونا امرأة لذريق. وانتعشت في عهده الحياة الزراعية والصناعية والتجارية، بما وفد علىٰ الأندلس من المهاجرين من مصر وبلاد الشام والعراق . . . وعلىٰ الرغم من ذلك فإن عبدالعزيز [اتهم] بأنه وقع تحت تأثير زوجته، بحيث أصبحت عادات القوطيين تنعكس علىٰ معتقداته ونمط حياته، ودفعته إلىٰ التفكير بالانفصال عن دمشق والاستقلال بالأندلس، وعلىٰ الرغم من أنه ليست لدينا أدلة قاطعة لنزعاته الاستقلالية، فإنه يبدو ممكنًا في الظروف التي تعيشها إسبانيا آنذاك، واستنكر خصومه تصرفاته هذه ثم تمادوا فقتلوه أثناء صلاته . . . ويبدو أنه وقع ضحية اغتيال أعدته الخلافة في دمشق، ويُفترض أن لهذا الحادث علاقةً بموقف الخلافة من أبيه، والقضاء علىٰ طموح أسرته في تلك البلاد النائية»(١).

he himself marrying Egilona, the wife of Rodrigo. During his time agricultural, industrial, and commercial life was invigorated by the migrants that travelled to Al-Andalus from Egypt, the Levant, and Iraq. In spite of this, Abdel Aziz was accused of falling under the influence of his wife such that Gothic customs and habits began to reflect on his beliefs and his lifestyle, and she pushed him to think about separating from Damascus and independence for Al-Andalus. Even though we don't have definitive evidence of his leanings towards independence, this seems possible under the circumstances then existing in Spain. His adversaries disapproved of his behaviors and then took things to the extreme, killing him during his prayer time. It appears that he was the victim of an assassination planned by the Caliphate in Damascus, and presumably, this incident was connected with the Caliphate's position towards his father, and putting a halt to his family's ambitions in those distant lands.

وتزوج هو نفسه من إيجلونا، زوجة رودريغو. خلال وقته تم انتعاش الحياة الزراعية والصناعية والتجارية بواسطة المهاجرين الذين سافروا إلىٰ الأندلس من مصر والشام والعراق. وبالرغم من ذلك تم اتهام عبد العزيز بالوقوع تحت تأثير زوجته بحيث بدأت العادات والتقاليد القوطية تنعكس علىٰ معتقداته ونمط حياته، ودفعته للتفكير في الانفصال عن دمشق واستقلال الأندلس. وبالرغم من أننا ليس لدينا أدلة قاطعة لميوله نحو الاستقلال، فإن هذا يبدو ممكنًا تحت الظروف الموجودة آنذاك في إسبانيا. واستنكر خصومه تصرفاته ثم أخذوا الأمور إلىٰ أقصىٰ الحدود فقتلوه أثناء وقت صلاته. ويبدو أنه كان ضحية عملية اغتيال خططته الخلافة في دمشق، ومن المفترض أن هذه الحادثة مرتبطة بموقف الخلافة تجاه أبيه، ووضع حد لطموحات أسرته في تلك الأراضي البعيدة».

(١) التاريخ الإسلامي الوجيز (ص٢١٠-٢١١).

أتأمّلتَ كيف نُقل الكلام إلىٰ الإنجليزية نقلًا سلسًا، كأنما رددته إلىٰ أصله، وتأمل توافق النص العربي والإنجليزي في كثيرٍ من العبارات كـ (الحملة العسكرية، واكتساب الخبرة، والعمل الإداري، وإبداء الرغبة وإظهارها، وتطبيق الأحكام، وتشجيع الزواج، والمجتمع المتجانس، والحياة الاقتصادية والزراعية، والوقوع تحت تأثير فلان) وغيرها من التراكيب والألفاظ، كلُّها مطابقةٌ لتراكيب واستعمالات الإفرنج. وهذه فقرة قصيرة يسيرة وأنت ترىٰ أكثرها موافقًا لكلام الإنجليز، علىٰ أن العرب عبَّرت عن أكثر معانيها. وتأمل فيما سيأتيك الآن من هذه التراكيب العربية، تجد أكثرها قد عُدِلَ عنه إلىٰ ما يرادفه من تراكيب الإفرنج، فليس هذا التفرنج زيادةً كما زعموا بل هو استبدالٌ لأساليب الإنجليز مكان أساليب العرب، حتىٰ يصير المرء غريبًا عن كلام العرب لا يتوصل إليه إلا بلغات الإفرنج. وقد ذكر الدكتور في الحاشية أنه نقل هذه المعاني من كلام هؤلاء النفر: ابن عبدالحكم (ت: ٢٥٧هـ) وابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) وابن عذاري (ت: ٦٩٥هـ). وأوردتُ هاهنا كلامَهم مترجَمًا من غير أن أعقب عليه، وانظر أنتَ كيف اتفقت المعاني بينهم وبين الفقرة المعاصرة التي تقدَّمت واختلفت الأساليب والاستعمالات، كأنما لم تكن الفقرة المعاصرة نقلًا عنهم بالعربية، وإنما بالإنجليزية، ولذلك كادت تطابق ترجمتها.

وهذا كلام ابن عبدالحكم في كتابه فتوح مصر والمغرب[١]:

ترجمة الترجمة	الترجمة	الأصل
تزوج عبد العزيز امرأة مسيحية بعد أن غادر أبوه الأندلس، ابنة ملك أندلسي، التي قيل إنها تكون ابنة الملك رودريقو ملك الأندلس الذي تم قتله من قبل طارق، وعرفته على حياة ذات وفرة غير قابلة للوصف. عندما انتقلت معه بعد الزواج قالت: «لماذا لا أرىٰ الناس في مملكتك يمجدونك أو يسجدون كما فعل الناس في مملكة أبي له؟»	Adbel Aziz married a Christian woman after his father left [Al-Andalus], the daughter of an Andalusian king, who was said to be the daughter of King Rodrigo of Al-Andalus who was killed by Tariq, and she introduced him to a life of indescribable plenty. When she moved in with him after marriage she said, "Why don't I see the people in your kingdom glorifying you or bowing down as the people in my father's kingdom did for him?	وكان عبدالعزيز بعد خروج أبيه [من الأندلس] قد تزوج امرأة نصرانية، بنت ملك من أهل الأندلس يقال إنها ابنة لذريق ملك الأندلس الذي قتله طارق، فجاءته من الدنيا بشيء كثير لا يوصف. فلما دخلت عليه قالت: ما لي لا أرىٰ أهل مملكتك يعظمونك ولا يسجدون لك كما كان أهل مملكة أبي يعظمونه ويسجدون له؟

(١) ص٢٤٠.

فلم يدر ما يقول لها، فأمر بباب فنقب له فيْ ناحية قصره، وجعله قصيرًا، وكان يأذن للناس فيدخل الداخل إليه من الباب حين يدخل منكسًا رأسه لقصر الباب، وهي في موضع تنظر إلىٰ الناس منه، فلما رأت ذلك قالت لعبد العزيز: الآن قوي ملكك. وبلغ الناس أنه إنما نقب الباب لهذا، وزعم بعض الناس أنها نصَّرته، فثار به حبيب ابن أبي عبيدة الفهري وزياد بن النابغة التميمي وأصحاب لهم من قبائل العرب، واجتمعوا علىٰ قتل عبد العزيز للذي بلغهم من أمره».

He didn"t know what to say, so he ordered a door cut out in a part of his castle and made it low. He would invite people to enter and as they came in through the door their heads would tilt due to the door's lowness, she being in a location where she could watch the people, and when she saw that she told Abdel Aziz, "Now your rule has been made stronger." It got out that he had actually made the door for this purpose and some alleged she had converted him to Christianity, so Habib ibn Fihri,-Abi Ubaida al -Nabigha al-Ziyad ibn al Tamimi, and some of their associates from Arab tribes rebelled against him and united together to kill Abdel Aziz because of what they had heard about him."

لم يعرف ماذا يقول، لذلك أمر بقطع باب في جزء من قلعته وجعله منخفضًا. كان يدعو الناس للدخول وعندما يدخلون من خلال الباب تميل رؤوسهم بسبب انخفاض الباب، وهي تكون في موقع حيث يمكنها مشاهدة الناس، وعندما رأت ذلك، أخبرت عبد العزيز: «الآن جُعل حكمك أقوىٰ». وخرج [للناس] أنه فعليًا صنع الباب لهذا الغرض، وزعم البعض أنها حولته إلىٰ المسيحية، فتمرد ضده حبيب بن أبي عبيدة الفهري وزياد بن النابغة التميمي وبعض زملائهم من القبائل العربية واتحدوا مع بعضهم لقتل عبد العزيز بسبب ما سمعوا عنه».

وهذا كلام ابن الأثير في كتابه الكامل(١):

ترجمة الترجمة	الترجمة	الأصل
السبب الذي تم قتله [لأجله] كان أن والده عيَّنه ليحكم الأندلس، كما ذكرنا، عند عودته إلىٰ الشام. فتولىٰ القيادة وجعلها منظمة وعلىٰ المسار الصحيح، فحمىٰ حدودها الضعيفة وغزا مدنًا خلال وقت حكمه ما زالت باقيةً بعد وقت والده. كان طيبًا وفاضلًا، وتزوج زوجة رودريقو. أصبح مغرمًا بها وكان لها تأثير قوي عليه وحاولت إقناعه بأن يجعل زملاءه ومواطنيه يركعون عندما يدخلون، كما اعتيد أن يُفعل لزوجها رودريقو. فقال لها: «هذا لا يتم فعله في ديننا»،	The reason he was killed was that his father appointed him to govern over Al-Andalus, as we have mentioned, upon returning to the Levant. So he took charge and put it in order and on the right track, protecting its vulnerable frontiers and conquering cities during his time of rule which still remained after his father's time. He was good and virtuous, and married the wife of Rodrigo. He became fond of her and she had a strong influence over him and tried to persuade him to have his associates and citizens bow when entering, as used to be done for her husband Rodrigo. So he told her, "That's not done in our religion",	وكان سبب قتله أن أباه استعمله علىٰ الأندلس، كما ذكرنا، عند عوده إلىٰ الشام، فضبطها وسدد أمورها، وحمىٰ ثغورها، وافتتح في إمارته مدائن بقيت بعد أبيه، وكان خيِّرًا فاضلًا، وتزوج امرأة رذريق، فحظيت عنده وغلبت عليه، فحملته علىٰ أن يأخذ أصحابه ورعيته بالسجود له إذا دخلوا عليه كما كان يفعل لزوجها رذريق. فقال لها: إن ذلك ليس في ديننا.

(١) ج٤، ص٨١.

فلم تزل به حتىٰ أمر ففتح باب قصير لمجلسه الذي كان يجلس فيه، فكان أحدهم إذا دخل منه طأطأ رأسه فيصير كالراكع، فرضيت به، فصار كالسجود عندها، فقالت له: الآن لحقت بالملوك، وبقي أن أعمل لك تاجا مما عندي من الذهب واللؤلؤ، فأبىٰ، فلم تزل به حتىٰ فعل. فانكشف ذلك للمسلمين، فقيل: تنصر، وفطنوا للباب، فثاروا عليه، فقتلوه في آخر سنة سبع وتسعين. وقيل: إن سليمان بن عبد الملك بعث إلىٰ الجند في قتله عند سخطه علىٰ والده موسىٰ بن نصير، فدخلوا عليه وهو في المحراب، فصلىٰ الصبح وقد قرأ الفاتحة وسورة الواقعة، فضربوه بالسيوف ضربة واحدة، وأخذوا رأسه فسيروه إلىٰ سليمان، فعرضه سليمان علىٰ أبيه، فتجلد للمصيبة».

but she wouldn't let him be until he had ordered that a low door be opened into the council chamber where he would sit, and anyone who came through it would bend his head so he seemed to be bowing. She accepted this and came to view it as bowing, and said to him, "Now you have become like a king, all that's left is for me to make you a crown with my gold and pearls," and he refused but she wouldn't let him be until he had done it. The Muslims found out about this and people said he had become a Christian, and they became aware of the door, rising up against" him and killing him at the end of the year ninety-seven. Others have said that Sulayman ibn Abd al-Malik sent orders to the soldiers concerning killing him when he became angry at his father Musa bin Nusair. While he was at the mihrab, they went in. He prayed the dawn prayer and had read "The Opening" and "The Event" and then they attacked him with swords in one blow and took his head and brought it to Sulayman, and Sulayman showed it to his father, who tried to bear up under this tragedy.

لكنها لم تدعه حتىٰ أمر أن يتم فتح باب منخفض إلىٰ قاعة المجلس حيث كان يجلس، وأي أحد يجيء من خلاله سوف ينحني فيبدو أنه يركع. قبلت بهذا وصارت تنظر إليه كركوع، وقالت له: «الآن صرت كملك، وكل ما تبقىٰ لي أن أصنع لك تاجًا بذهبي ولآلئي»، ورفض لكنها لم تتركه حتىٰ فعلها. اكتشف المسلمون ذلك، وقال الناس أصبح نصرانيًّا، وأصبحوا مدركين للباب، فنهضوا ضده وقتلوه في نهاية العام السابع والتسعين. وقال آخرون إن سليمان بن عبد الملك أرسل أوامر للجنود بخصوص قتله لما أصبح غاضبًا علىٰ والده موسىٰ بن نصير. وبينما كان في المحراب، دخلوا. صلىٰ صلاة الفجر وقرأ الفاتحة والواقعة، وثم هاجموه بالسيوف بضربة واحدة وأخذوا رأسه وأحضروه لسليمان، وعرضه سليمان لوالده الذي حاول أن يتحمل تحت هذه المأساة».

وهذا كلام ابن عذاري المراكشي في كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب[1]:

الأصل	الترجمة	ترجمة الترجمة
واستخلف موسىٰ علىٰ الأندلس ابنه عبدالعزيز، وتزوج بعد خروج أبيه أمَّ عاصم امرأة رذريق (واسمها أيله) وسكن معها بإشبيلية. فلما دخل بها، قالت له: (إن الملوك إذا لم يتوجوا فلا ملك لهم! فلو عملت لك مما بقي عندي من الجوهر والذهب تاجًا؟) فقال لها: (ليس ذلك في ديننا) فقالت له: (ومن أين يعرف أهل دينك ما أنت فيه في خلوتك؟) فلم تزل به حتىٰ فعل. فبينما هو ذات يوم جالس معها، والتاج علىٰ رأسه، إذ دخلت عليه امرأة كان قد تزوجها زياد بن نابغة التميمي، من بنات ملوكهم؛	Musa appointed his son Abdel Aziz to be in charge over Al-Andalus. After his father left, he married Umm Asim, who had been Rodrigo's wife (her name was Ayla), and lived with her in Seville. After they married she said to him, "-Kings who have not been crowned have no authority! How about if I make you a crown from the jewels and gold I have left?" He replied, "That's not done in our religion! so she said, "How would the people of your religion know what you're doing when you're alone?" and wouldn't let it go until he did so. One day while he was sitting with her, crown on head, just then a woman entered whom Ziyad ibn al-Nabigha al-Tamimi had married and who was a daughter of one of their kings,	عين موسىٰ ولده عبدالعزيز ليكون مسؤولا علىٰ الأندلس. بعد أن غادر والده، تزوج أم عاصم، التي كانت زوجة رودريقو (كان اسمها أيلا)، وعاش معها في إشبيلية. بعد أن تزوجا قالت له: «الملوك الذين لم يتوجوا ليس لهم سلطان! ماذا لو صنعت لك تاجًا من الجواهر والذهب الذي تبقىٰ عندي؟» فأجاب: «هذا ليس في ديننا!» فقالت: «كيف سيعرف أهل دينك ما تفعله عندما تكون وحدك؟» ولم تدع الأمر حتىٰ فعل ذلك. وفي أحد الأيام بينما كان جالسًا معها والتاج علىٰ رأسه، دخلت امرأة تزوجها زياد بن نابغة التميمي والتي كانت ابنة أحد ملوكهم،

(١) ج٢، ص٢٣.

فعاينته، والتاج على رأسه. فقالت لزياد (ألا أعمل لك تاجا؟) فقال لها: (ليس في ديننا استحلال لباسه!) فقالت له: (ودين المسيح! إنه على رأس ملككم وإمامكم!) فأعلم بذلك زيادٌ حبيبَ بن أبي عبدة ثم تحدثا بذلك حتىٰ علمه خيار الجند، فلم يكن له همٌّ إلا كشف ذلك، حتىٰ رأوه عيانا. فقالوا (قد تنصّر!) ثم هجموا عليه، فقتلوه. وأكثر الناس علىٰ أنَّ هذه الحكاية لا تصح، وإنما قتلوه بأمر سليمان. وقيل أيضا: إنما قتلوه لأنه خلع طاعة سليمان بن عبدالملك. قال الرازي: كان من خير الولاة، إلا أن مدته لم تطل، لوثوب الجند عليه وقتلهم له، لأشياء نقموها عليه».

and she saw him with the crown on his head. She said to Ziyad, "Shall I not make you a crown?" and he replied, "Wearing one is not allowed in our religion! and she said to him, "By our Lord Jesus Christ, it is on the head of your king and leader! Ziyad informed Habib bin Abi 'Abda about this and then they spoke about it until the top soldiers had heard about it, and he cared for nothing other than exposing this until they had seen it with their own eyes. They said, "He's become a Christian! and then attacked him, and so they killed him. Most people believe this story isn't true, that instead they killed him by order from Sulayman. It's also been said that they rather killed him because he refused to obey Sulayman ibn Abd al-Malik. Al-Razi said, "He was one of the best of rulers. However, his period did not last long because the soldiers rose up and killed him for things they were angry with him about.

ورأته مع التاج علىٰ رأسه. فقالت لزياد: ألا أصنع لك تاجا؟ فأجاب: لبس واحدٍ غير جائزٍ في ديننا! فقالت له بربنا يسوع المسيح، إنه علىٰ رأس ملككم وقائدكم. وأعلم زياد حبيب بن أبي عبدة بذلك، ثم تحدثوا عنه حتىٰ سمع عنه الجنود الأعلىٰ، واهتم بلا شيء غير كشف هذا حتىٰ رأوه بأعينهم. وقالوا: «لقد أصبح مسيحيًا!» ثم هجموا عليه فقتلوه. ويؤمن معظم الناس أن هذه القصة غير صحيحة، بل إنهم قتلوه بأمر من سليمان. وقيل أيضًا بل إنهم قتلوه بسبب أنه رفض أن يطيع سليمان بن عبد الملك. قال الرازي: كان أحد أفضل الحكام. لكن فترته لم تدم طويلًا بسبب أن الجنود قاموا وقتلوه لأشياء كانوا غاضبين منه لأجلها».

تمَّت النقول.

استواء الأساليب

وقد رأيتَ فيما تقدَّم من النقول أن كلام العرب بعيدٌ عن كلام الإفرنج في ألفاظه واستعمالاته وأساليبه، وكلام المعاصرين يكاد يطابقه. والأصل في ذلك أن يعرفه المرء بذوقه كما تقدَّم أول الكتاب، ولا حاجة إلىٰ سبيل البيان التي اتخذتها. إلا أنَّ أكثر الناس فسدت أذواقهم، فاستوىٰ عندهم الكلام كله ما دام ظاهره عربيًّا، فلزم مثل هذا البيان. ولمثل هذا الفساد ترىٰ الرجل يكتب كلامًا ينسبه إلىٰ الحسن البصريِّ، فيستحسنه الناس ويطربون له، والكلام علىٰ الحقيقة فرنجيٌّ ليس من العربية في شيء. وأنتَ ترىٰ من هذا الأمر عجبًا، فكثيرًا ما يكون الناسب من طلبة العلم أو من أساتذة الجامعات الذين يُظن أن لهم اشتغالًا بكلام المتقدمين، لا من غمار العامة. وأعجب من ذلك أنك تجد الرجل إذا أنكر عليهم هذه النسبة لأن فيها تركيبًا مولَّدًا أو استعمالًا متفرنجًا أو عجمةً ظاهرة، هجموا عليه كأنما هجمَ عليهم، وقالوا ما أدراك أنه لم يقلها! أقرأت كلَّ كتبه! أوستقصيت كلَّ جُمَلِه! والناس تشربت هذه اللغة المتفرنجة فاستوت عندها الأساليب، وأجدر بمن لا يميز بين مقالةٍ لعُمرَ بن الخطَّاب ومقالةٍ لبعض المعاصرين أن يستوي عنده كلام عمر رضي الله عنه وكلام عبده خال، ويستوي عنده شعر عَمْرِ بن كلثوم وشعر أدونيس، ويستوي عنده كلام عبدالقاهر الجرجاني وكلام الكيَّالي. وأجدر بمن كانت هذه حاله ألا يتذوق كتابَ الله ولا يعرف إعجازه وبيانه وبلاغته وأن يكون عنده كسائر كلام الناس.

وقد يبلغ التفرنج بالمرء أشدَّ من استواء الأساليب، فيستوحش من أساليب العرب ويستثقلها ويرميها بكلِّ قبيحة، لا لوحشيتها هي، بل لأنَّ نفسَه تشرَّبت الكلام المتفرنج فلم تستأنس بغيره. فهو لتعوده أساليب الإفرنج صارت أدنىٰ إلىٰ نفسه من أساليب العرب، وصار إذا نظرَ إلىٰ الكلام لم يختلف عن الفرنجي إذا نظر فيه. والفرنجي إذا أراد فَهم كلام العرب جعل يفسِّر كلَّ لفظةٍ -في نفسه- علىٰ حدة، فلا يتذوق الكلام ولا يحس بوقعه ولا يراه إلا ألفاظًا لها معانٍ إذا

عرفها فقد قضىٰ من اللغة وطرَه، أما ألفاظ الكلام وتخيُّرها وتصريفها وتقديمها وتأخيرها وأسلوب تركيبها ورصفها ونظمها فليس كلُّ ذلك عنده بشيء. وهَبْ فرنجيًّا وقف علىٰ قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -في حسن عشرة النبي ﷺ لأزواجه وزيارته لهنَّ جميعًا في اليوم الواحد-، قالت: (كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ لَا يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي اَلْقَسْمِ مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا، وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا)، فإذا قرأه جعل يترجمه في نفسه لفظةً لفظة، ولعله يفهم أكثر الحديث، إلا أنه بعيدٌ عن تذوقه، يشربه كالماء الكدر كلُّه قذىٰ، يتجرعه ولا يكاد يسيغه. وتراه يستثقل تراكيبَ الحديث كما في قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (القَسمِ من مكثه عندنا) وقولها (قلَّ يومٌ)، فيراها بعيدةً من نفسه وإن فهمها. والمسلم يتحرَّج من ذكر استيحاشه من هذه الأساليب لحُرمة كلام الله وكلام النبيِّ وصحابته عنده، فإن رآها عند غيرهم تجرَّأ علىٰ ذمِّها لذهاب الحرمة. أما الممارس للكلام الفصيح فعبارة عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ نفسه كالمنهل العذب من المورد الصافي، كلما هنأَ منها بشربةٍ استزاد. وأكثر الناس -مع الكلام الفصيح- كهذا الأعجمي، ينظرون في أفراد الألفاظ ويترجمونها في عقولهم، لكنهم أجانب عن الكلام الفصيح لا يتذوقون حلاوةَ عباراته لأنهم لا يقرؤونها إلا كما تقرأ الحواسيبُ الكلامَ، ولا يرونها إلا كما تراها الآلة التي تترجم الألفاظ بعقلها، وليس لها روحٌ تتذوق بها الكلام وتستشعره ولو جلست تقرأه آناء الليل وآناء النهار. وقد تقدَّم ذكر هذا وبيانه في الباب الأول من الكتاب.

ختام الباب

وليست هذه العجمة في الألفاظ والتراكيب والأساليب شيئًا زِيدَ في العربية فكثَّرها، وإنما هو إماتةٌ للعربية وفَرْنجة، وما يكاد يدخل من كلام الإفرنج شيءٌ إلا وقد أماتَ شيئًا من كلام العرب وحلَّ مكانه، فاللفظ يميت ألفاظًا والتركيب يميت تراكيب، والأساليب الإفرنجية تغلب علىٰ الألسنة وتُذهِب منها أساليب العرب. ولو كان هذا التحريف يسيرًا قليلًا لما تكلَّفنا الكلام فيه والتنبيه عليه، لكنه تبديلٌ لكلام العرب كلِّه وقَلبه كلامًا فرنجيًّا ليس له من العربية إلا ظاهره وأدبار ألفاظه. وقد بسطتُ لك في البيان وأكثرت من ذكر الأدلة علىٰ عجمة هذه اللغة العرنجية ومباعدتها لكلام العرب وموافقتها لكلام الإفرنج. فإن أبيتَ بعد ذلك إلا أن تسلك سبيل هذه اللغة العرنجية، فلا أملك لك شيئًا، وليس لي عليك سلطانٌ، لكن لا تنسب هذه اللغة المتفرنجة إلىٰ لغة القرآن، وتقول متكثرًا إني أكتب بهذه اللغة لأنها لغة القرآن ولغة العرب التي كتبوا بها سنين عددًا، فإن لغة العرب من العرنجية براء، وأنتَ والكاتب بالعامية الهاجر للفصيحة سواء. بل هو أحسن منك حالًا لأنه حفظ ما لم تحفظه من أساليب العرب واستعمالاتهم وألفاظهم وتراكيبهم وتصريفاتهم وتفننهم في كلامهم، أما أنتَ فأمتَّ أكثر ذلك وعدلتَ عنه إلىٰ عربيةٍ متفرنجة، ولم تبق إلا شيئًا من هذا الإعراب الذي تمنُّ علىٰ أمِّنا به، أغنىٰ الله العربيةَ عن مِنَّتك.

تقويم اللسان

والحقُّ أن هذا الباب ثقيلٌ الكلامُ فيه، فإنما يجرؤ عليه من عرف من نفسه استقامةَ اللسان وحسنَ البيان، وأنا ما زلتُ أطلب تقويمَ لساني وأطلع علىٰ شيءٍ من عجمته فأجتهد في تهذيبه وإصلاحه. وحسبي ها هنا أن أقفك علىٰ ما وقفتُ عليه -في سعيي- من سبلٍ وفوائد وكلامٍ للعلماء، لعلك تجد في شيءٍ منها نفعًا، والله المستعان.

وجعلتُ هذا الباب علىٰ قسمين، قسمٍ للناس عامة، وقسمٍ للمترجمين خاصة. وقد أوجزتُ هنا القولَ جدًّا.

تعلُّمُ اللسان:

كنتُ قبل الاشتغال بالعربية مشتغلًا بعلوم اللغة التي جاءت من الإفرنج، ويسميها أهلُ عصرنا (اللغويات). وفيها بابٌ من العلم يسمونه: تعلُّم اللغة الأعجمية. وقد أتىٰ فيه الإفرنج بالعجائب، وأحسنوا جدًّا. ومن ذلك أنَّهم لا يقدمون علىٰ النظر في اللغة وتشربها شيئًا. فيحملون المرء علىٰ قراءة القصص والاستماع إلىٰ كلام الناس ومخالطته والإكثار من ذلك جدًّا، حتىٰ إني أذكر بعضَ أساتذتي كان يقول: لا تتعلمُ الإنجليزية حتىٰ تصير كالهواء الذي تتنفسه، فتصبح بها وتفطر وتسير إلىٰ حوائجك وأنتَ تستمع إليها وحتىٰ تَقلِبَ كلَّ عيشك

إنجليزيًّا، فتكتب بالإنجليزية، وتؤجلز جوَّالك، وتكتب خواطرك بالإنجليزية وتكلِّم نفسك وأنتَ في خلوتك بالإنجليزية، بل تحدِّث نفسك -في سرِّك- بالإنجليزية. أما النحو، فإنهم يقولون: خذ منه بالمعروف، ولا تفرده بالنظر والدراسة. فإنك إن أفردتَه بالدراسة كانت معانيه مجرَّدةً من سياقها، لا يُتوصل معها إلىٰ تقويم كلام. وأنتَ ترىٰ كثيرًا من الفضلاء إذا أرادَ أن ينصح في هذا الباب حثَّ علىٰ الاشتغال بالنحو وكتبه وحفظِ شواهد العرب، فينتهي المرء إلىٰ صنعة، لا يقيم جملةً ولا يتذوق كلامًا. وأنا لا أعلم أحدًا أفصح في لغات الإفرنج وحصَّل فيها ملكةً بحفظ قواعدها وشواهدَ علىٰ هذه القواعد، وإنما تُحصَّل اللغة بمخالطة كلامِ الناس في مجالسهم وأحاديثهم التي رُفع عنها التحفظ وكتبهم التي أفاضوا فيها من غير طلب المحسِّنات البلاغية وتكلفها. أما أن يحفظ القاعدةَ بعد أختها ويحفظ عليها شاهدًا من غير أن يتبعه بالنظر في كلام أهل اللغة، فهذا لا ينفعه، بل يؤخره عن تعلم اللغة الذي لا يحصل إلا بمخالطة اللغة. وهذه سبيلٌ يعرفها علماؤنا إلا أنهم لم يفيضوا فيه ويستبحروا كما صنعت الإفرنج. ومن ذلك ما ذكره ابن خلدون في مقدمته عن تحصيل ملكة العربية، فقال:

«نجد كثيرًا ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنَّين من المنظوم والمنثور، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول، ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئًا من قوانين صناعة العربية. فمن هنا يُعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية، وأنها مستغنية عنها بالجملة. وقد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيرًا بحال هذه الملكة، وهو قليل واتفاقي، وأكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه. فإنه لم يقتصر علىٰ قوانين الإعراب فقط، بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم، فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة، فتجد العاكف عليه والمحصل له، قد حصل علىٰ حظّ

من كلام العرب واندرج في محفوظه في أماكنه ومفاصل حاجاته، وتنَبَّهَ به لشأن الملكة فاستوفىٰ تعليمها فكان أبلغ في الإفادة . . . وأما المخالطون لكتب المتأخرين العارية عن ذلك إلا من القوانين النحوية مجرَّدةً عن أشعار العرب وكلامهم فقلَّ ما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة أو ينتبهون لشأنها فتجدهم يحسبون أنهم قد حصلوا علىٰ رتبةٍ في لسان العرب وهم أبعد الناس عنه . . . فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل وبعدت عن مناحي اللسان وملكته. وأفاد ذلك حَمَلتَها في هذه الأمصار وآفاقها البعدَ عن الملكة بالكلية، وكأنهم لا ينظرون في كلام العرب. وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز أساليبه وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم، فهو أحسن ما تفيده الملكة في اللسان. وتلك القوانين إنَّما هي وسائل للتعليم، لكنهم أجروها علىٰ غير ما قُصِدَ بها وأصاروها علمًا بحتًا وبعدوا عن ثمرتها. وتعلم مما قررناه في هذا الباب أنَّ حصول ملكة اللسان العربي إنّما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتىٰ يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتىٰ حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد علىٰ نحو كلامهم . . . [فإذا حصلت للمرء الملكة] سهل عليه أمر التركيب حتىٰ لا يكاد ينحو فيه غير منحىٰ البلاغة التي للعرب وإن سمع تركيبًا غير جارٍ علىٰ ذلك المنحىٰ مجَّه ونبا عنه سمعه بأدنىٰ فكر، بل وبغير فكرٍ إلَّا بما استفاد من حصول هذه الملكة». اهـ[1].

(١) ص٧٧٣-٧٧٥.

وكلام ابن خلدون هذا من أنفس ما أنتَ قارئٌ في تعلم اللغة، فتنبه له.
فإذا نظر المرء في كتب النحو نظر في مختصرها ويسيرها مما لا ينقلب قصدًا يُدرس لذاته، كالآجرومية مثلًا، ولا يكن أكبر همِّه في ذلك حفظ القواعد، واذكر أن هذه الكتب دوِّنت لتعينك علىٰ النظر في كلام العرب وتفهِّمك لِمَ رفعوا هذه الكلمة ونصبوا تلك، فتصنعَ مثلهم وأنت علىٰ بصيرةٍ من الأمر، وليست كتب النحو نفسها هي التي تفتق لسانك بكلام العرب، فتنبه. واقرنها -إذا نظرتَ فيها- بشيءٍ من كتب العرب تقرأ فيها وتجتهد في تنزيل ما تعلمتَه، فتعرب الكلام وتحرك أواخره وتحاكيه. فتتشرَّب كلامَ العرب وتكثر من النظر فيه حتىٰ تتحصل في نفسك ملكةٌ تفصح بها وتبين، ولا يلزمك من النحو إلا بالقدر الذي يهديك إذا قرأت الكلام ويدلك إذا أشكلَ عليك الإعراب، اللهم إلا إن أردتَ أن تشتغل بالنحو وعلوم العربية.

وقد ذكرَ العلماء شيئًا كثيرًا من هذه الكتب، وبيَّنوا كيف تُؤتىٰ وتُقرأ. ومن ذلك ما ذكره شيخنا فيصل المنصور في مقالته (السبيل إلىٰ البيان)، فقال:

«أمَّا الكتبُ التي ترتاض بها علىٰ جودةِ الأسلوب، وعلىٰ التصرُّف في فنون البلاغة، والتي تُزلِفُك إلىٰ محاسنِ البيان، فأولُها كتابُ الله ﷻ، ثم نهج البلاغةِ المنسوب إلىٰ علي، والقصائد السبع بشرح أبي بكرِ الأنباريِّ، والمفضليات بشرح أبي محمدٍ الأنباريِّ، وأشعار الستة الجاهليين بشرح البطليوسيِّ، وديوان الحماسة بأيِّ شرح شئتَ، والبيان والتبيين للجاحظ، والكامل للمبرِّد، والأمالي لأبي عليٍّ القالي مع اللآلي لأبي عبيدٍ البكريِّ بتسميطِ الميمنيِّ، وزهر الآداب للحُصْريِّ، ومقامات الحريريِّ. ثمَّ هناكَ بعدُ كتبٌ أخرَىٰ تُقسَّم بحسَب الغالب عليها إلىٰ أقسام مختلفةٍ. فمنها ما تستفيدُ منه أسلوبَ الأدبِ، والحكمةِ، كالأدب الكبير، والأدب الصغير لابن المقفَّع، وديوان أبي تمَّام، وديوان المتنبي، وسقط الزّند،

واللزوميات لأبي العَلاء. ومنها ما تستفيد منه أسلوبَ القصص، وسياقة الأخبار، ككليلة ودمنة لابن المقفع، والبخلاء للجاحظ، وكتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوريِّ، وتاريخ الطبريِّ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهانيِّ.

أمَّا العملُ في كتب هذا الباب، فعلَىٰ وجوهٍ مختلِفةٍ، فمن الفِقَرِ ما تكتفي بقراءته مرَّة واحدةً قراءةً متأنِّيةً متأمِّلة مع التفكُّر في أسلوبِ الكاتب، وطريقتِهِ في الانتقالِ من قضيَّة إلىٰ قضيَّة، ومن غرضٍ إلىٰ غرضٍ، والتدقيقِ في ألفاظِه التي يستعملُها في كلامِه، وتحفُّظِ الجيِّدِ منها. ومن الفِقَرِ ما تحتاجُ إلىٰ أن تكِرَّ عليها، فتعيد قراءتها، لشرفِها، ونبلِها. وأنا أستحِبُّ لك أن تجهرَ بها، وتُفصِح في نطقِك لها متروِّيًا متمهِّلًا، وأن تقرأها قراءةَ مدقِّقٍ، وقراءةَ منقِّرٍ، وقراءةَ مَن يحترسُ أن تنِدَّ عنه لطيفةٌ، أو تفوتَه نادرةٌ، وأن تقِفَ علىٰ معانيها، وألفاظِها (وقوفَ شحيحٍ ضاعَ في التُّربِ خاتمُه)». اهـ.

وبعض هذه الكتب أحسن من غيرها في تحصيل الملكة أول الأمر لأن فيها كلام الناس علىٰ طبيعتهم ولم يُقصَد بها تجميل العبارة وتهذيبها وزخرفتها، كما في كلام النبي ﷺ، وكلام الرعيل الأول من هذه الأمة، وهم أهل اللغة وأصحابها. وكما في غيرها من الكتب التي تنقل كلام الناس كالأغاني للأصفهاني والبخلاء للجاحظ وعيون الأخبار لابن قتيبة والعقد لابن عبد ربِّه وكتب المحسِّن التنوخي كالمستجاد من فعلات الأجواد والفرج بعد الشدة ونشوار المحاضرة وكتب ابن الجوزي كالأذكياء والحمقىٰ والمغفلين وأخبار النساء وأخبار الظراف والمتماجنين، ونحو ذلك من الكتب من كتب الأخبار والقصص. فهذه كتبٌ تعين علىٰ الإفصاح وتعين المرء علىٰ التفنن فيما شاء من المعاني، وتذوقه الكلام الذي تكلَّمت به العرب. ثم تكون بعد ذلك مرتبة الكتابة وتذوق البلاغة العالية لمن رامها، وتكون بالنظر في الكلام العالي الفصيح كالشعر والكلام

المبيَّتِ المحبَّر، ولا يُبتدأ بهذه. وتأمّل هذا في تعلُّمك لغةً إفرنجية، فأنتَ لا تبتدئ بكلام كبراء شعرائها ومقدمي أدبائها، ولو فعلتَ لكنتَ منبتًّا لا أرضًا قطعتَ ولا ظهرًا أبقيت، وكالرجل يثب يريد بلوغ رأس بناءٍ شاهقٍ بوثبه من غير أن يترقّىٰ في مدارجه من أسفل. والمرء إن طلبَ البلاغة من هذه الكتب العالية رأسًا -كدواوين الشعر ومقامات الأدب- لم يُحسِنِ التعبير عما هو دونها من الأغراض، فتراه إذا كتب في أمرٍ جسيمٍ أحسنَ وصفَّف الكلام وسجّعه واستعمل من بليغ البيان وبديع التشبيه وقوي الألفاظ والعبارات ما كان مطربًا، ثم إذا أراد أن يصف كتابًا أو يذكر خبرًا عن بعض أصحابه أو يحتجّ لتفضيل المنديّ علىٰ الحنيذ أو يأمر أحدًا بأمرٍ غير ذي بالٍ كتبَ بأسلوبٍ متفرنجٍ شديد العجمة، لأنه طلب الفصاحة من هذه الكتب، كالمعلقات والمفضليات ونحوها، فلم يحسن بعدها الكلامَ فيما هو دونها.

وعلىٰ كلِّ حال، أكثر كتب السابقين لعهد الترجمة فيها خيرٌ إن شاء الله، ومعينةٌ علىٰ تحصيل ملكة العربية، لأن العجمة إنما عمّت وغلبت علىٰ العربية بعد عصر الترجمة. واجتَنِبْ ما أُلِّفَ بعد سنة ١٢٥٠هـ، لما ذكرته لك أول الكتاب، علىٰ أن في بعض ما أُلِّفَ بعد هذا الزمان شيئًا فصيحًا رصينًا، إلا أنَّ المرء عند تحصيل ملكته يطلب الكلام المقطوع ببعده عن التفرنج البريء منه. وليس ذلك غضًّا منهم، بل هو قولهم، وكانوا ينهون أن يقرأ أحدٌ لعصريٍّ، ولا يرتضون لمن طلبَ ملكةً في العربية غير كلام الأوائل. وتأمل قول الطاهر ابن عاشورٍ رحمه الله في مقدمة تفسيره:

> وأما استعمال العرب، فهو التملي من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وأمثالهم وعوائدهم ومحادثاتهم، ليحصل بذلك لممارسة المولد ذوقٌ يقوم عنده مقامَ السليقة والسجية عند العربي القح «والذوق كيفيةٌ للنفس بها تدرك الخواص

والمزايا التي للكلام البليغ». قال شيخنا الجد الوزير: «وهي ناشئة عن تتبع استعمال البلغاء فتحصل لغير العربي بتتبع موارد الاستعمال والتدبر في الكلام المقطوع ببلوغه غاية البلاغة، فدعوىٰ معرفة الذوق لا تقبل إلا من الخاصة وهو يضعف ويقوىٰ بحسب مثافنة ذلك التدبر».

ولله دره في قوله المقطوع ببلوغه غاية البلاغة المشير إلىٰ وجوب اختيار الممارس لما يطالعه من كلامهم وهو الكلام المشهود له بالبلاغة بين أهل هذا الشأن، نحو (المعلقات) و(الحماسة) ونحو (نهج البلاغة) و(مقامات الحريري) و(رسائل بديع الزمان)»[1]. اهـ

وأنتَ إذا نظرتَ في هذه الكتب فتأمل مخالفتَها لعربية العصر، فإن كثيرًا من الخلق يخلط في القراءة بين كلام الأوائل وكلام المعاصرين ويتشرب ذلك كلّه فتختلط ملكاته، فلا يميز بين اللغتين ويستوي كل ذلك عنده. وذلك يشبه من ما ذكرتُه لك في الباب الأول من خبر الرجل الذي كان يقول: «أنا أجي من بيت أهله [كذا وكذا] فالتقطت هذه العادة منهم» وهذه معانٍ وأساليب إنجليزية، وإنما دخلت في كلامه بالعربية لاختلاط الملكات واستواء اللغات. وقد يقع مثل ذلك لمن تمازجت في صدره ملكتان، ملكةٌ حصّلها من كتب الأوائل وملكة حصّلها من كلام المعاصرين، فمن خلط بينهما من غير تمييزٍ فكأنما خلط ملكةً عربية بملكةٍ أعجمية. وإنما يتهيّأ للمرء مجانبةُ الفَرْنجةِ إذا ميّزها وعرفها، ويكون ذلك بالتنبه للمواضع التي خالفت فيها لغةُ العصر لغةَ الأوائل، فإن هذه المخالفةَ أكثرها فرنجي. وتهيؤ ذلك أيسر لمن كان يحسن الإنجليزية، فإنه يبصر استعمالات الإنجليز وأساليبهم في لغة العصر لمعرفته بها في الإنجليزية، ولهذا كانت معرفتي بالإنجليزية من أعظم ما بصّرني بعجمة أهل العصر ومباعدتهم للكلام الفصيح.

---

(١) ج١، ص٢١.

الكتب الصوتية

واعلم أنَّ كثيرًا من كتب الأوائل قد سُجِّلت صوتيًّا، وهي مبثوثة في مواقع النتِّ كاليتيوب، وهذه لعَمري نعمةٌ عظيمةٌ، مغبونٌ فيها كثير من الناس. فإنك تجد في اليتيوب مثلًا كليلة ودمنةَ وبخلاء الجاحظ ونحوها من الكتب مسجلةً كاملةً، وهذه مؤونةٌ كُفيتها، وخيرٌ سِيقَ إليك من غير كدٍّ منك، فجزىٰ الله خيرًا من سجَّلها[1]. وقد ذكرتُ لك أول هذا الباب أن بعض أساتذتي كان يحثنا عند تعلم الإنجليزية أن نكثر من سماعها إذا كنا في طريقٍ أو وجدنا في وقتنا فسحةً يصلح فيها التسمع، وكنتُ إذ ذاك ما أركب سيارتي في طريقٍ إلا استمعتُ إلىٰ شيءٍ من كتب الإنجليز في كلِّ فنٍّ، فأستمع إلىٰ القصص والحكايا وإلىٰ كتب العلم وكلِّ ما تيسر لي الاستماع إليه، وكنتُ أقرن ذلك بشيءٍ من دروسهم في سائر العلوم، حتىٰ استمعتُ إلىٰ دروسهم في الشريعة والفقه وأصول الفقه والعربية، كلُّ ذلك بالإنجليزية. وكنتُ رجلًا كثير الأسفار لا يقر لي قرار، فلربما سافرتُ إلىٰ المدينة من مكةَ وقفلت في يومٍ واحد، فأتم في ذلك اليوم كتابًا كاملًا. ووجدتُ أثر ذلك عظيمًا في إنجليزيتي، وملأت منها جوفي حتىٰ صرتُ أستأنس بها وأفهم بلاغتها، وأحسن التعبير بها والتفنن فيها. ثم جرَّبتُ هذا الأمر في كتب العرب، وكنتُ إذ ذاك تنبهت -والحمدلله- إلىٰ عجمة أهل العصر، فاقتصرت علىٰ ما سُجِّل من كتب المتقدمين، واستمعتُ منها إلىٰ شيءٍ كثيرٍ -وما زلت أستمع إليها- فرأيتُ أثر ذلك بيِّنًا في كلامي أيضًا، وصرت أتكلم بما أسمعه في هذه الكتب عفوًا من غير تكلف وأستعمله فيما أكتب. فعليك بهذه الكتب الصوتية فاغتنمها، وما أكثرها في النت والحمدلله، فأكثر كتب الحديث مسجلة، وكذلك كتب التفسير، وكثير من كتب الفقه والأدب والتاريخ وغيرها.

---

(١) ومن هذه القنوات في اليتيوب قناة (يحيىٰ فتحي) وقناة (الكتاب الصوتي - عمر البساطي) وقناة (بلال محمد منصور).

وكنتُ لربما استمعت إلىٰ الفقرة ثم أوقفتُ المقطع وجعلتُ أحاكي لغةَ المصنف وأرد عليه أو أعقب علىٰ كلامه أو أثني علىٰ قوله، وكنتُ أجد في ذلك -أول الأمر- كلفةً لتعود النفس لغةَ المعاصرين، ثم لبثت مدةً أعانني الله فيها فحَسُنَ قولي وانطلق لساني بعض الشيء. ولا عليك أن يُقال فيك متكلفٌ أول الأمر، وهل في الناس من يتكلم بالإنجليزية -مثلًا- علىٰ طبيعته أول ما يتعلمها، بل هو التكلف ورياضة النفس والخطأ بعد الخطأ ومجاراة أهل اللغة حتىٰ يقرب المرء من لغتهم شيئًا فشيئًا وتتنزل اللغة في نفسه منزلةَ الطبيعة ويعبر بها إذ ذاك علىٰ سجيته. وهذا يصدق علىٰ تعلم الإنجليزية وعلىٰ تعلم غيرها من لغات الدنيا، ومنها كلام العرب. وهذه سبيلٌ مجرَّبةٌ في تعلم لغات الإفرنج، ومن جربها عرف نفعها. فيحدث المرء نفسه بالفصيحة ويتجشم إنشاء المناظرات المُتَخيَّلة بينه وبين نفسه، ويحدث نفسه في بيته فيأمرها بمحقرات الأمور وصغائرها، كأن يقول: «ويحي أما تنهض نفسي لكنس الدار، فوالله كأنما أنادي للهوام أن أقبلي! يا غلام، إليّ بالمكنسة وأعنّي أصلحك الله!» وهذا كلُّه صنعناه وجربناه وانتفعنا منه عند الدربة علىٰ تعلم الإنجليزية، وهو نافعٌ لا ريب فيها وفي غيرها من لغات الدنيا.

والناس في تقويم اللسان علىٰ مذاهب، وهذا الذي جربته في أمري وانتفعت به، وما زلتُ بعد في التعلم والطلب. وإن شئتَ فالتمس غير هذه السبيل فأنتَ أعلم بما هو أصلح لك.

تقويم اللسان للترجمان

ذكرتُ في القسم الأول من هذا الباب بعض ما اهتديتُ إليه في سبيل تقويم اللسان، وهي تصلح للترجمان إذا أراد تقويم لسانه وتصلح لسائر الناس، إلا أنَّ علىٰ الترجمان قدرًا زائدًا علىٰ عامة الناس لمعالجته كلام الإفرنج والنقل عنه ومباشرته. والمرء إذا تكلَّم أصالةً بالعربية كان في فسحة من أمره يعبر كيفما شاء، فإذا أراد أن يعبر عن المعاني التي عبرت عنها الإفرنج تحجر عليه الواسع وضاقت عليه اللغة بما رحبت، فهو مقيد بقيد الإفرنج، فلا بد له من قدرٍ من التعلم والدربة زائدٍ علىٰ غيره.

وقد هداني الله إلىٰ سبيلٍ حسنةٍ في هذا الباب، وهي النظر في كتب الأوائل التي تُرجمت إلىٰ لغات الإفرنج. وذلك لأن الكتاب إذا كان لبعض المتقدمين أيقنتَ أنه سليمٌ من تفرنج العصر، وتكون ترجمته الإنجليزية علىٰ أساليب الإنجليز، فأنتَ ترىٰ التراكيب الإفرنجية وترىٰ ما يناظرها في الكلام الفصيح.

وصورة هذه الدربة أن تقرأ الكلام الأعجمي فتقلب النظر فيه وتتخيله أصلًا تترجم عنه، ثم تحدث نفسك بترجمته إلىٰ العربية، ثم تنظر بعد ذلك إلىٰ الكلام العربي فتهذب ترجمتك وتصوبها تبعًا له، وتعلم كيف عبرت العربُ عن هذه

اللفظة الإفرنجية وذاك التركيب الإفرنجي. وأضرب لك بعض الأمثلة من الكلام الفصيح، فمن ذلك ما ورد في ترجمة صحيح البخاري:

Religion is very easy and whoever overburdens himself in his religion will not be able to continue in that way

إذا قرأتَ هذه العبارة وجدتَ شيئًا من التراكيب التي غلَّبتها الإنجليزية كـ whoever will (كل من يفعل كذا ... سوف يقع له كذا). وأنتَ إذا نظرتَ في الأصل العربي وجدتَه ﷺ يقول: «إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلاَّ غَلَبَهُ ...»، وهذا تركيبٌ فصيحٌ لا تزال العامة تستعمله، فيقولون مثلًا: «ما فهم أحد هذا الشيء إلا نجح»، ولا يوجد هذا التركيب في الإنجليزية، فنبهك هذا الحديث علىٰ أن هذا التركيب الفصيح يناظر قول الإنجليز whoever .. will، فلا تكون ترجمتك لفظية وتغلِّب بذلك أساليب الإفرنج وتميت أساليب العرب.

ثم انظر إلىٰ غير كتب الحديث من الكتب الفصيحة، ومن ذلك نهج البلاغة المنسوب إلىٰ عليٍّ رضي الله عنه، وفيه أنه قال:

Then you should take care of your secretarial workers. Put the best of them in charge of your affairs Your selection of these people should not be on the basis of your understanding (of them), confidence and good impression.

فانظر كيف قالَ المترجم (اختيارك لهؤلاء الناس لا ينبغي أن يكون علىٰ أساس كذا ...)، والإنجليز يسرفون في لفظة (ينبغي أو يجب should)، وهذه مما أسرف فيه أهل العصر تبعًا للإنجليزية، كما في قول بعضهم: «لا يا خالد، لا يجب أن تقول ذلك، فالإنسان لا يستطيع الهروب من واقعه». وأنتَ ترىٰ بعض الحُذَّاق يريد أن يصلح قولهم (لا يجب أن تفعل كذا)، ويحثهم علىٰ قول: (يجب ألا تفعل كذا)، وهذه إن خرجت من خطأ المعنىٰ لم تخرج من عجمة الأسلوب. فاقرأ الترجمة الإنجليزية، ثم انظر إلىٰ الأصل العربيِّ تجده:

«انظر في حال كُتّابك فولِّ علىٰ أمورك خيرَهم . . . ثم
لا يكن اختيارك إياهم علىٰ فِراستك واستنامتك وحسن الظن
بهم»

فتعرف أن لفظة should إذا جاءت في كلام الإنجليز فلا يلزم منها أن تُترجَم وقد يريدون بها مطلق الأمر والنهي، ولذلك ترىٰ الإنجليز يستعملون (ينبغي ويجب) في ترجمة مثل هذه الأحاديث: «وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَتِهِ فَلْيَتَحَرَّىٰ الصَّوَابَ، فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ يُسَلِّمْ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْن» و«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُه».

ثم انظر إلىٰ غير ذلك من تراجم الكلام الفصيح، وهذا مثالٌ من ترجمة فتوح الشام للواقدي:

Maysarah and his men were being confronted by the Romans in intense daily battles and they would only separate at night. The Romans received reinforcements daily while the Muslims suffered from fatigue and wounds but did not lose heart. It was as if they were a people whom Allah had veiled from death.

وأنتَ ترىٰ في هذا المثال شيئًا من أساليب الإنجليز، كقول daily، والإنجليز تقول مخالِفةً لأساليب العرب: ساعيًّا ويوميًّا وليليًّا وأسبوعيًّا وشهريًّا وسنويًّا، يريدون بها أن الأمر يتكرر كلَّ ساعةٍ وكلَّ يومٍ ونحو ذلك. والعرب إنما تعبر عن ذلك بـ (كلّ كذا) وتأمل ذلك في الأصل:

«وأما ميسرة ومن معه فإنهم دارت بهم الروم من كل جانب، وهم يقاتلون في كل يوم أشدَّ القتال إلىٰ أن يقبل الظلام فيفترقون، وفي كل يوم يزيد عددهم ومددهم، وقد لحق المسلمين من التعب والجراح ما لحقهم، ولكن من غير فشلٍ، وكأنهم قوم قد حُجب عنهم الموت بإذن الله تعالىٰ».

تأمَّل هذا النص كلَّه تجد فيه شيئًا من الكلام الفصيح يصلح بديلًا لبعض ما أشاعته لغات الإفرنج، فأنت ترىٰ الإنجليزي يقول (تعزيزات) محلَّ (مَدَد)، وهذه لفظةٌ فصيحة ما زالت العامة تكثر من استعمالها. والإنجليز يترجمونها غالبًا بتعزيزات، كما صنعوا في ترجمتهم لقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ (ينزل ثلاثة آلاف ملك كتعزيز).

وهذا مثالٌ من ترجمة البخلاء:

Despite his meanness, Abu Sa'id Mada'ini was a proud man with a deep sense of self-respect.

فأنتَ إذا نظرتَ في النصِّ وجدتَ فيه (a deep sense of self-respect شعور عميق باحترام الذات)، و(شعور احترام الذات) هذه من التراكيب التي دخلت لغةَ العصر من الترجمة اللفظية، واستعمالها كثيرٌ عند العصريين. كما في قول بعضهم: «ولعلنا في هذا المشهد بحاجة ماسة إلىٰ من يوقظ فينا شعور احترام الذات . . .». فإذا نظرتَ في الأصل العربي عند الجاحظ وجدتَه يقول:

«وكان أبو سعيد هذا، مع بخله، أشد الناس نفسًا وأحماهم أنفًا»

فترجم الإفرنجيُّ (حميّ الأنف) بقوله: عنده شعور عميق باحترام الذات. فعرفتَ بذلك تحقيق المعنىٰ الذي استعملت له الإنجليز هذه العبارة، وهو الأنفة والإباء وعزة النفس ونحو ذلك.

وقد يكون في التراجم الإنجليزية شيءٌ من الأغلاط والأوهام، فتنبَّه لذلك.

وقد مرَّ ذكر شيء كثيرٍ مثل ذلك مما يُهتدىٰ به إلىٰ الاستعمالات والأساليب الفصيحة بالنظر في تراجم الإنجليز لكلام الأوائل، وأذكر ها هنا فقرة تتدرَّب بها، فانظر إلىٰ النصِّ الإنجليزي، وترجمه في نفسك أو في ورقةٍ إلىٰ العربية،

ولا تنظر إلىٰ الأصل إلا بعد أن تأتي علىٰ الفقرة بتمامها حتىٰ لا تفسد علىٰ نفسك الدربة:

Umar arrived at al-Jabiya, he decided to divide the land among the Muslims. Muadh said to him: 'By God, this will lead to something reprehensible. If you divide it, the people will come into a tremendous amount of wealth. Then upon their death it may pass on to a single man or a woman. Those who come after them and replace them in the defence of Islam will not find anything. Consider a measure that will be equally beneficial for those present and those who come later.''

Ibn Qays [related] that he heard Umar discussing the division of the land with the people." He then mentioned this statement of Muadh and said: Umar adopted the view expressed by Muadh.

وهذه الفقرة من ترجمة عمران خان نيازي لكتاب الأموال للقاسم بن سلَّام، وهذا الأصل العربي:

قدم عمر الجابية، فأراد قسم الأرض بين المسلمين، فقال له معاذ: والله إذًا ليكونن ما تكره، إنك إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم، ثم يبيدون، فيصير ذلك إلىٰ الرجل الواحد أو المرأة، ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسدًّا، وهم لا يجدون شيئا. فانظر أمرًا يسع أولهم وآخرهم. قال هشام: وحدثني الوليد بن مسلم، عن تميم بن عطية، عن عبدالله بن أبي قيس أو ابن قيس: أنه سمع عمر، يكلم الناس في قسم الأرض، ثم ذكر كلام معاذ إياه، قال: فصار عمر إلىٰ قول معاذ.

وجرِّب هذه الدربة أيضًا في ترجمة هذا الكلام، اقرأه وترجمه في نفسك ولا تجاوزه إلىٰ الأصل العربي حتىٰ تتمه:

While I was lodging there, a cousin of mine and his son came to stay. Out of the blue, I received this note from Kindi:

"A planned stay of a night or two by these two newcomers can be tolerated but condoning an overnight stay might encourage them to sojourn for longer.»

I wrote advising him that they would be staying for about a month, to which he replied,

"The rent for your apartment is thirty dirhams a month; with the six of you, that works out at five dirhams per person, per month. Now that your number has increased by two, I have no choice but to impose a supplement of two fivers. From today, your rent will be forty dirhams.»

I wrote back:«What harm does their presence do to you or the weight of their bodies to ground that bears the weight of mountains? The expense of their visit is my responsibility, not yours. I invite you to advise me of your reasons in writing.»

Well, little idea did I have of what I'd stirred up and dropped myself into! He sent me the following letter:

"The catalogue of factors prompting the increase is extensive and widely acknowledged. It includes the high cost of having the cesspit drained more frequently because it fills up faster. There is the fact that, the more feet there are, the more the roof and floors are walked on»

وهذه الفقرة من ترجمة جِم كلفل لكتاب البخلاء، وهذا الأصل العربي:

قال معبد: فبينا أنا كذلك، إذ قدم ابن عمٍّ لي ومعه ابنٌ له، وإذا رقعة منه قد جاءتني:

«إن كان مقام هذين القادمين ليلةً أو ليلتين، احتملنا ذلك. وإن كان إطماع السكان في الليلة الواحدة يجرُّ علينا الطمعَ في الليالي الكثيرة». فكتبت إليه: «ليس مقامهما عندنا إلا شهرًا أو نحوه». فكتب إليَّ: «إن دارك بثلاثين درهمًا، وأنتم ستة، لكل رأسٍ خمسة، فإذا قد زدتَ رجلين، فلا بد من زيادة خمستين. فالدار عليك من يومك هذا بأربعين». فكتبتُ إليه: «وما يضرك من مقامهما، وثِقَلُ أبدانهما على الأرض التي تحمل الجبال، وثقل مؤونتهما عليَّ دونك؟ فاكتب إليَّ بعذرك لأعرفه». ولم أدر أني أهجم على ما هجمت، وإني أقع منه فيما وقعت، فكتب إلي:

«الخصال التي تدعو إلى ذلك كثيرة، وهي قائمةٌ معروفة، من ذلك سرعة امتلاء البالوعة، وما في تنقيتها من شدة المؤنة، ومن ذلك أن الأقدام إذا كثرت، كثر المشي على ظهور السطوح المطيَّنة، وعلى أرض البيوت المجصَّصة . . .».

وجرِّب هذه الدربة أيضًا في ترجمة هذا الكلام، اقرأه وترجمه في نفسك ولا تجاوزه إلى الأصل العربي حتى تتمه:

In the sixth [twelfth] century, the Almohad dynasty flourished and had possession of both shores. The Almohads organized their fleet in the most perfect manner ever known and on the largest scale ever observed. Their admiral was Ahmad as-Siqilli, who belonged to the Sadghiyan, a branch of the Sadwikish, who lived on the island of Jerba. The Christians had captured him there, and he had grown up among them. The ruler of Sicily (Roger II) selected him for his

service and employed him in it, but he died and was succeeded by his son, whose anger (Ahmad) somehow aroused. He feared for his life and went to Tunis, where he stayed with the chief of Tunis, one of the Banu 'Abd-al-Mu'min. He went on to Marrakech, and was received there by the caliph Yusuf al-'Ashrt b. 'Abd-al-Mu'min with great kindness and honor. (The caliph) gave him many presents and entrusted him with command of his fleet. (As commander of the fleet) he went to wage the holy war against the Christian nations. He did noteworthy and memorable deeds during the Almohad dynasty. In his period, the Muslim fleet was of a size and quality never, to our knowledge, attained before or since. When Salah-ad-din Yusuf b. Ayyub, the ruler of Egypt and Syria at this time, set out to recover the border cities (ports) of Syria from the Christian nations and to cleanse Jerusalem of the abomination of unbelief and to rebuild it, one fleet of unbelievers after another came to the relief of the border cities (ports), from all the regions near Jerusalem which they controlled. They supported them with equipment and food. The fleet of Alexandria could not stand up against them. (The Christians) had had the upper hand in the eastern Mediterranean for so long, and they had numerous fleets there. The Muslims, on the other hand, had for a long time been too weak to offer them any resistance there, as we have mentioned. In this situation, Salah-ad-din sent 'Abd-alKarim b. Munqidh, a member of the family of the Banu Munqidh, the rulers of Shayzar, as his ambassador to Ya'qub al-Mansur, the Almohad ruler of the Maghrib at that time. Salahaddin had taken Shayzar away from the Banu Munqidh but had spared them to use them in his government. Now, he sent 'Abd-al-Karim, a member of that (family), to the ruler of the Maghrib to ask for the support of his fleets, to prevent the fleets of the unbelievers from achieving their desire of bringing relief to the Christians in the Syrian border cities (ports).

والنص من ترجمة روزنتال لمقدمة ابن خلدون، وهذا الأصل:

ولـمَّا استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خِطَّةَ هذا الأسطول علىٰ أتم ما عرف وأعظم ما عهد، وكان قائد أسطولهم أحمدَ الصِّقِليَّ، أصله من (صدغيار)، الـمُوطِنِين بجزيرة جربة من سرويكش، أسره النصارىٰ من سواحلها ورُبِّيَ عندهم، واستخلصه صاحبُ صقلية واستكفاه ثم هلك. وولي ابنه فأسخطه ببعض النزعات وخشي علىٰ نفسه ولحق بتونس ونزل علىٰ السيد بها من بني عبد المؤمن، وأجاز مراكش فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمبرة والكرامة وأجزل الصلة وقلَّده أمرَ أساطيله، فجلَّىٰ في جهاد أمم النصرانية وكانت له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين. وانتهت أساطيل المسلمين علىٰ عهده في الكثرة والاستجادة إلىٰ ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه ولـمَّا قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهده باسترجاع ثغور الشام من يد أمم النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر، وبنائه، تتابعت أساطيلهم الكفرية بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه، فأمدوهم بالعُدَد والأقوات، ولم تقاومهم أساطيل الإسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعدد أساطيلهم فيه، وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم هناك، كما أشرنا إليه قبل. فأوفد صلاح الدين علىٰ أبي يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهده من الموحّدين رسولَه عبدَالكريم بنَ منقذٍ من بيت بني منقذ ملوك شيزر، وكان ملكها من أيديهم وأبقىٰ

عليهم في دولته. فبعث عبدالكريم منهم هذا إلىٰ ملك المغرب طالبًا مدد الأساطيل لِتَحُولَ في البحر بين أساطيل الأجانب وبين مرامهم من إمداد النصرانية بثغور الشام.

وأنتَ تجد في هذه الفقر القصيرة فوائدَ كثيرةً جدًّا، فما ظنك بما تجده في كتابٍ كامل. وكتب العرب التي تُرجمت إلىٰ الإنجليزية كثيرة، أذكر بعض ما يحضرني منها هنا من غير ترتيب، فمنها أكثر كتب الحديث، كالبخاري ومسلم وسنن أبي داود وابن ماجه والترمذي والنسائي وموطأ مالك ومسند أحمد، وتُرجمت رسالة الشافعي، وسيرة ابن هشام، وبخلاء الجاحظ وطائفة من رسائله، والأموال لابن سلَّام، وتاريخ الطبري كاملًا، وفضل العرب لابن قتيبة، وحي بن يقظان لابن طفيل، ونهج البلاغة -المنسوب لعليٍّ ﷺ- للشريف الرضي، والعقد لابن عبد ربِّه، وطوق الحمامة والأخلاق والسير لابن حزم، والفرج بعد الشدة للتنوخي، والمناظر لابن الهيثم، والشفا للقاضي عياض، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وفتوح البلدان للبلاذري، وفتوح الشام للواقدي، والاعتبار لابن منقذ، والنوادر السلطانية لابن شدَّاد، والفهرست للنديم، وأدب الدنيا والدين للماوردي، ومقدمة ابن خلدون، ورحلة ابن بطوطة، ورحلة ابن جبير، ورحلة ابن فضلان، والتصريف للزهراوي، ومفتاح الطب لأبي الفرج بن هندو، وتهافت الفلاسفة للغزالي، وشرح النووي لصحيح مسلم، وكتاب الإيمان لابن تيمية ومدراج السالكين لابن القيم، والتنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء، والتفسير الكبير للرازي، وتفسير ابن كثير، وغير ذلك كثير. وبعض هذه الكتب مسجلٌ عربيُّه صوتيًّا ككتاب البخلاء والأخلاق والسير ومدارج السالكين، فاستمع إلىٰ الكتاب العربيِّ وأنت تتابع بعينك نصَّ الترجمة الإنجليزية.

البحث عند الترجمة

هذا من جهة تقويم لسان الترجمان، أما البحث وتحقيق المعاني عند الترجمة، فسبيله أن تنظر إلىٰ الكلام الأعجمي فتفهم ألفاظه وتراكيبه حقيقةً، فإن لم يقع في نفسك معناها علىٰ الحقيقة ولم تهتد إلىٰ نظيرها ففتش عنها في معاجم الإنجليز، كأن تمر بك عند الترجمة لفظة self-respect، فتفتش عنها في معاجم الإنجليز، فتجد تعريفها في معجم كمبرج -ما معناه-: «أن تعظم نفسك تعظيمًا يُري أنك تعرف لها قدرها»، وفي معجم كولنز: «أن تعتد وتفخر بقَدْرِك وبما أنت عليه قادر». فإن تركتَ اللفظة (self-respect) وجعلتَ تتأمل في هذين التعريفين وتتفكر كيف تعبر عنهما، خرجتَ بألفاظٍ كثيرة، إن كان لك من كلام العرب حظٌّ طيِّب. ولا بأس أن تفتش في هذه الكتب المترجَمة التي مرَّت فتهديك إلىٰ فصيح الاستعمالات والتراكيب.

فهَب أنك تترجم جملةً فيها mature، وأكثر الناس تترجمها بـ (ناضج)، وهذه من الاستعمالات التي غلَّبتها الإنجليزية في وصف الناس، فإذا أردتَ أن تنظر كيفَ كانت العرب تعبِّر عن هذا المعنىٰ في غالب كلامها، فتفتش أولًا عنها في ترجمة أفصح كلامٍ عربيٍّ، في ترجمة القرآن الكريم(١)، فإنك تجد شواهد منها:

الأصل	الترجمة	ترجمة الترجمة
﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾	So if you noticed maturity in them then give their properties back to them	فإذا لاحظتم نضجًا فيهم فأعيدوا ممتلكاتهم إليهم

(١) ومن أجمع المواقع لتراجم القرآن الإنجليزية (https://www.islamawakened.com)

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	When he reached maturity, We gave him judgement and knowledge: this is how We reward those who do good	حينما بلغ النضج، أعطيناه الحكم والمعرفة، هكذا نكافئ أولئك الذي يفعلون الخير
﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾	Their father had been a righteous man, so your Lord intended them to reach maturity and then dig up their treasure as a mercy from your Lord.	لقد كان أبوهم رجلًا صالحًا، فربك أرادهم أن يبلغوا النضج وينقبوا عن كنزهم كرحمة من ربك
﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾	Do not give those who are of immature mind your property which God has granted you as a means of support: make provision for them out of it, and clothe them, and give them good advice	لا تعطوا أولئك الذين هم غير ناضجي العقول ممتلكاتكم التي منحكم هي الله كوسيلة للدعم، اجعلوا لهم رزقًا منها، واكسوهم، وأعطوهم نصائح جيدة

ثم فتش أيضًا في تراجم الحديث[١]، وهَبك تترجم قول الإنجليز conviction أو convince، وهذه أكثر الناس يترجمونها بقولهم (قناعة واقتنع) وهي -غالبًا- من مولدات الترجمة أو من مغلّباتها، فإذا فتشتَ عنها وجدتَ:

---

(١) في مثل هذا الموقع: www.sunnah.com

رد الترجمة	الترجمة	الأصل
أي أحد يتلوها بقناعة في الصباح ويموت خلال ذلك اليوم سوف يدخل الجنة	Whoever recites it with conviction in the morning and dies during that day shall enter Paradise	«فَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ»
رفع رأسه وقال ثلاث مرات: «يا الله، عاقب قريشًا» فكان الأمر صعبًا علىٰ أبي جهل ورفقائه عندما دعا النبي الله ضدهم، لأنه كان عندهم قناعة أن الدعوات والتضرعات يتم قبولها في هذه المدينة	He raised his head and said thrice, "O Allah! Punish Quraish." So it was hard for Abu Jahl and his companions when the Prophet invoked Allah against them as they had a conviction that the prayers and invocations were accepted in this city	فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ). ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ - قَالَ وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ»
أدرك هرقل كرههم تجاه الإسلام، وعندما فقد الأمل من اعتناقهم الإسلام، أمر أن يرجعوهم إلىٰ حضرته. لما رجعوا قال: الذي تم قوله سابقًا فقط لاختبار قوة قناعتكم، وقد رأيتها.	Heraclius realized their hatred towards Islam and when he lost the hope of their embracing Islam, he ordered that they should be brought back in audience. (When they returned) he said, 'What was already said was just to test the strength of your conviction and I have seen it.	فَلَمَّا رَأَىٰ هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ. وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ.

ثم فتِّش في مصنفات العرب التي تُرجمت إلىٰ الإنجليزية، وقد يسَّر الله لبعض الفضلاء جمع قدرٍ لا بأس به من الكتب الفصيحة ورصفوها بمحاذاة تراجمها الإنجليزية، ثم جعلوها في موقعٍ واحدٍ في النت، وما زالوا بعد يجمعون. وسموا موقعهم: (الرصائف)، اختصارًا لقولهم: (الرصائف الفِصاح، للتراجم الصحاح[١]).

فهبك لم تستحسن ترجمةَ (conviction) بـ (قناعة)، أو (role) بـ (الدور)، أو (according) بـ (وفقًا)، أو (personal-ly) بـ (شخصي وشخصيًّا) أو (lifestyle) بـ (أسلوب حياة)، أو (attractive) بـ (جذَّاب) أو (under these circumstances) بـ (تحت هذه الظروف) أو (weak point) بـ (نقطة ضعف)، ففتش عن هذه الألفاظ والتراكيب في (الرصائف) لتنظر كيف عبر الأوائل عن هذا المعنىٰ، أيامَ هم فصحاء لم تغلب علىٰ عربيتهم عجمةُ العصر، وتفرنجُ العربية، وتأجلزُ اللسان. وهذه الرصائف معينةٌ لك والله علىٰ أن تُذهبَ العجمة من تراجمك فتستقيم وترصن، فهي:

رصائفُ خُطَّت للمترجم منهجًا تُثَقِّفُ من أقلامه ما تعوَّجا[٢]

وأنتَ في ذلك كلِّه محكِّمٌ لذوقك، مقيمٌ للملكة التي حصَّلتها من كثرة مخالطتك لكلام العرب حتىٰ إذا نظرتَ في النص الإفرنجي عرفتَ كيف تسبكه سبكًا عربيًّا علىٰ طريقة العرب، وإنما تعينك (الرصائف) وما شابهها فيما يشكل من الألفاظ والتراكيب. واسعَ -ما استطعتَ- ألا تُؤتىٰ العربية من قِبَلِك، واحتسب ذلك، واجتهد في تصفية نيتك، تقبل الله منا ومنك، وغفر لنا ولك.

تمَّ بذلك كتاب العرنجية

فالحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا

---

(١) وهذا رابط الموقع: rasaif.com

(٢) أكرمنا بالبيت الشاعر الفحل أيوب الجهني.

المراجع

١- لغة قريش، لمختار الغوث، دار المعراج الدولية للنشر بالرياض، ١٤١٨هـ.

٢- الخصائص لابن جني (ت: ٣٩٢)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٢١هـ.

٣- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، ج٢، تحقيق منذر محمد أبو شعر، المكتب الإسلامي ببيروت، ١٤٢٩هـ.

٤- البيان والتبيين للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، ج٢، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ.

٥- تاريخ دمشق لأبي القاسم ابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، ج٣٧، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر ببيروت، ١٤١٦هـ.

٦- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق ناصر العقل، عالم الكتب ببيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ. والنقل عن الشاملة: https://al-maktaba.org/book/11620/515

٧- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزمٍ الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، ج١، تحقيق أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة ببيروت.

٨- تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي لجمال الدين الشيال (ط: ١٣٧٠هـ)، دار الفكر العربي بالقاهرة.

٩- ترجمة الطهطاي لـ «جغرافية ملطبرون»: ملاحظات وتفسيرات، لإبراهيم عوض، نُشر في صحيفة دنيا الوطن (١٤٢٩هـ)، وهذا رابطه:

https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/140900.html

١٠- إتحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا، لخليفة بن محمود، وهو ترجمة لمقدمة تاريخ الإمبراطور شرلكان (والكتاب في الأصل بالإنجليزية History of the reign of the Emperor Charles V, by Robertson 1769، إلا أن الترجمة العربية نُقلت عن الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب Histoire de l'empereur Quint-Charles وكلا الكتابين الأعجميين موجودان في كتب قوقل)، وهذا رابط الترجمة العربية:

https://archive.org/details/IthafAlMolokAlAlebba/page/n2/mode/2up

١١- الجملة القرآنية لمصطفىٰ الرافعي، في مجلة الزهراء، العدد ٦، ١٣٤٣هـ. وهذا الرابط: https://archive.alsharekh.org/Articles/262/18893/427536

١٢- لسان غصن لبنان في انتقاد العربية العصرية لشاكر اللبناني (ط: ١٨٩١)، المطبعة العثمانية ببعبدا.

١٣- حاضر المصريين أو سر تأخرهم لمحمد بن عامر (ط: ١٣٢٠هـ) مطبعة المقتطف بالقاهرة.

١٤- أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر (١٨٨٢-١٩٢٢) لسلامة بن جرجس (ط: ١٣٨٦هـ)، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة.

١٥- لسان حال العربية لحافظ بن إبراهيم (١٩٠٣) في العدد ١٧ من مجلة الهلال، وهذا الرابط: https://archive.alsharekh.org/Articles/134/12951/253073

١٦- البؤساء، ترجمة حافظ بن إبراهيم (ط: ١٣٢١هـ)، وهذا الرابط:

https://archive.org/details/albouassahafiz-201511/

١٧- تعريب الأساليب لعبدالقادر المغربي، في الجزء الأول من مجلة مجمع اللغة الملكي (١٣٥٣هـ)، المطبعة الأميرية ببولاق بالقاهرة.

١٨- الصناعتين: الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل. دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧١هـ.

١٩- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، والنقل عن الشاملة:
https://al-maktaba.org/book/9986/34

٢٠- الكناش في فني النحو والصرف لأبي الفداء عماد الدين (ت: ٧٣٢هـ) تحقيق رياض بن حسن الخوام. المكتبة العصرية ببيروت، والنقل عن الشاملة:
https://al-maktaba.org/book/33587/220

٢١- معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب بالقاهرة الطبعة، ١٤٢٩هـ.

٢٢- ترجمات التوراة للأب أنستاس الكرملي، في مجلة لغة العرب، ج٨، ١٣٤٨هـ (١٩٣٠م).

٢٣- روض القلوب المستطاب، لحسن رضوان (ت: ١٣١٠)، مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية، ١٣٢٢هـ.

٢٤- تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين للويس شيخو (ت: ١٣٤٦هـ)، دار المشرق ببيروت، ١٣٢٨هـ، والنقل عن الشاملة: https://al-maktaba.org/book/10438

٢٥- المفتاح في الصرف لعبدالقاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٦- كشف المخبا عن فنون أوربا لأحمد فارس الشدياق (ت: ١٣٠٤هـ)، والنقل عن نسخة مؤسسة هنداوي بالقاهرة.

٢٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس أحمد الفيومي (ت: ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية ببيروت، والنقل عن الشاملة:
https://al-maktaba.org/book/12145

٢٨- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير لفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي ببيروت، والنقل عن الشاملة: https://al-maktaba.org/book/23635

٢٩- تقويم اللسانين لمحمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعارف بالرباط، ١٤٠٤هـ.

٣٠- الفرج بعد الشدة، للمحسن التنوخي (ت: ٣٨٤هـ). تحقيق عبود الشالجي، الجزء الثاني، دار صادر ببيروت، ١٣٩٨هـ.

٣١- شوقي علىٰ المسرح، في مجلة المشرق، لإدوار إبراهيم حنين، في مجلة المشرق النصرانية، في رمضان، ١٣٥٣هـ (يناير، ١٩٣٥م)، السنة ٣٣، العدد ١، ص٨٥.

٣٢- موسوعة مصر القديمة لسليم بن حسن، ١٣٥٩هـ، والنقل عن نسخة هنداوي بالقاهرة، ١٤٤٠هـ.

٣٣- تربية سلامة موسىٰ، لسلامة موسىٰ، ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م)، والنقل عن نسخة هنداوي بالقاهرة، ١٤٣٥هـ.

٣٤- زعماء الإصلاح في العصر الحديث لأحمد أمين، ١٣٦٧هـ (١٩٤٨م)، والنقل عن دار الكتب العلمية ببيروت، ١٤٢٦هـ.

٣٥- الحسن البصري: سيرته، شخصيته، تعاليمه وآراؤه لإحسان عباس، دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٣٧٢.

٣٦- في الأدب الأندلسي لجودت الركابي، ١٣٨٣هـ. دار المعارف بمصر، والنقل عن الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ.

٣٧- مقالات في الشعر الجاهلي ليوسف بن سامي اليوسف، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية برام الله، ١٣٩٥هـ.

٣٨- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (ت: ٦٦٨هـ) تحقيق نزار بن رضا، دار مكتبة الحياة ببيروت.

٣٩- بغية الطلب في تاريخ حلب لكمال الدين ابن العديم (ت: ٦٦٠هـ) تحقيق سهيل بن زكار، دار الفكر ببيروت. والنقل عن الشاملة:

https://al-maktaba.org/book/10798/2992

٤٠- تهذيب اللغة لأبي منصورٍ الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) تحقيق محمد بن عوض، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٤٢٢هـ. والنقل عن الشاملة:

https://al-maktaba.org/book/7031/912

٤١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، بدمشق. والنقل عن الشاملة:
https://al-maktaba.org/book/9057/4727

٤٢- دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) تحقيق محمود بن شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ. والنقل عن الشاملة: https://al-maktaba.org/book/31634/27

٤٣- مفهوم الشعر عند العرب كما يصوره كتاب الموازنة للآمدي للدكتور عبدالقادر القط، دار المعارف بالقاهرة، ١٤٠٢هـ.

٤٤- معركة الإسلام وأصول الحكم للدكتور محمد عمارة، دار الشروق بالقاهرة، ١٤١٠هـ، والنقل عن الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٤٥- منال الطالب في شرح طوال الغرائب لأبي السعادات ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق محمود الطناحي، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٤٦- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية ببيروت.

٤٧- تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين ببيروت، والنقل عن الشاملة:
https://al-maktaba.org/book/23235/2228

٤٨- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعليان بقُم.

٤٩- جارميات، بحوث ومقالات للشاعر والأديب اللغوي علي الجارم، جمعها ابنه أحمد بن علي الجارم، دار الشروق بالقاهرة، ١٤١٠هـ، والنقل عن الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٥٠- التاريخ والمؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية لجمال بن فوزي بن عمار، دار القاهرة بالقاهرة، ١٤٢٢هـ.

٥١- سيرة مدينة عمان في الأربعينات لعبدالرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ.

٥٢- فايز الصياغ شيخ المترجمين العرب، لنضال برقان، في مجلة أفكار، العدد ٣٢٤، ١٤٣٧هـ (٢٠١٦م).

٥٣- استطلاع حول سر غياب أدب الخيال العلمي عند العرب، جواب جلال برجس، العدد ٣٤٣، ١٤٣٨هـ (٢٠١٧م).

٥٤- انعكاس الربيع العربي في الموسيقىٰ والغناء لفتحي الضمور، في مجلة أفكار، العدد ٣٥٦، ١٤٤٠هـ (٢٠١٨ م).

٥٥- الحداثة . . . المثقف والسلطة للزبير مهداد، في مجلة أفكار، العدد ٣٦٤، ١٤٤٠هـ (٢٠١٩م).

٥٦- التاريخ الإسلامي الوجيز لمحمد بن سهيل بن طقوش، دار النفائس ببيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٣٢هـ.

٥٧- فتوح مصر والمغرب لعبدالرحمن بن عبدالحكم (ت: ٢٥٧هـ)، تحقيق علي بن محمد بن عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، والنقل عن الشاملة:

https://al-maktaba.org/book/11404/235

٥٨- الكامل في التاريخ لعز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) تحقيق عمر بن عبدالسلام، دار الكتاب العربي ببيروت، ١٤١٧هـ.

٥٩- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (ت: ٦٩٥هـ) تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ. والنقل عن الشاملة:

https://al-maktaba.org/book/11782/343

٦٠- مقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر لابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر ببيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ. والنقل عن الشاملة:

https://al-maktaba.org/book/12320/772

٦١- السبيل إلىٰ البيان، نُشر في ملتقىٰ أهل اللغة سنة ١٤٣١هـ. وهذا رابطه:
https://www.ahlalloghah.com/showthread.php?t=2505

٦٢- تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، الجزء الأول، الدار التونسية للنشر بتونس، ١٤٠٤هـ.

المراجع الإنجليزية

Aspland, A. (1873). The Four Evangelists. Arabic and Latin. Manchester: Holbein Society.

Willcocks, W. (1935). Sixty years in the East. Edinburgh: W. Blackwood.

Smith, E., & Van Dyck, C. V. A. (1900). Brief Documentary History of the Translation of the Scriptures into the Arabic Language. Beirut: American Presbyterian Mission Press.

المواقع التي استعنتُ بها:

- https://al-maktaba.org
- https://rasaif.com
- https://sunnah.com
- https://www.islamawakened.com
- https://www.thefreedictionary.com
- https://www.kfcris.com/pdf/0f391f75f59211ca6010918ce7a0dd275875ce43c0233.pdf
- https://suheillaher.wordpress.com/2019/09/30/coffee-as-mustahabb/